المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة جازان

مجلة جامعة جازان

فرع العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة

المجلد ٢ العدد ١ محرم ١٤٣٤هـ (ديسمبر ٢٠١٢م)

ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

قواعد النشر في المجلة

مجلة جامعة جازان دورية محكمة تنشرها الجامعة، وهي تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر إنتاجهم العلمي وتقوم المجلة بنشر المواد الآتية:

١- البحث: ويندرج تحت تخصص الباحث ويجب أن يحتوي على إضافة للمعرفة في مجاله.

٢- المقالة الاستعراضية التي تتضمن عرضاً نقدياً لبحوث سبق إجراؤها في مجال معين أو أجريت في خلال فترة زمنية محددة.

٣- البحث المختصر.

٤- نقد الكتب.

٥- الخطابات الموجهة إلى المحرر، والملاحظات والردود، والنتائج الأولية.

تقوم هيئة التحرير، بالنظر في نشر المواد المعرفية ذات الصلة بذلك الفرع، وتقدم البحوث الأصلية، التي لم يسبق نشرها، وفي حال قبول البحث للنشر، لا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.

تعليمات النشر في المجلة

١- تقديم المواد: يقدم أصل البحث مخرجاً في صورته النهائية متضمناً الإشارة إلى أماكن الجداول والأشكال داخل المتن ومطبوعاً على هيئة صفحات مرقمة ترقيماً متسلسلاً، مع ضرورة إرفاق قرص ممغنط مطبوع عليه البحث على برنامج Ms Word باستخدام النظام المتوافق مع IBM، وسيعتذر عن قبول أي بحث لا يلتزم مؤلفه بهذه التعليمات.

٢- الملخصات: يرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية للبحوث والمقالات الاستعراضية والبحوث المختصرة. على ألا يزيد عدد كلمات كل منهما على ٢٠٠ كلمة، وعلى عمود واحد بعرض كتابة ١٣ سم.

٣- لا بد من احتواء كل بحث على كلمات مفتاحية (Key Words) توضع أسفل الملخصين العربي والانجليزي على ألا تزيد عن عشر كلمات.

٤- الجداول والمواد التوضيحية: يجب أن تكون الجداول والرسومات واللوحات مناسبة لمساحة الصف في صفحة المجلة (١٦ × ٢٤سم بالحواشي، ويتم إعداد الأشكال الخطية على برامج الحاسب الآلي، ولا تقبل إلا أصول الأشكال. كما يجب أن تكون الخطوط واضحة ومحددة ومنتظمة من حيث كثافة الحبر وتناسب سمكها مع حجم الرسم، ويراعى أن تكون الصور الفوتوغرافية (الضوئية) الملونة وغير الملونة مطبوعة على ورق لماع، أو محملة على برنامج (Adobe Photoshop). مع كتابة عنوان لكل جدول، وتعليق لكل شكل وصورة، والإشارة إلى مصدر المادة إن كانت مقتبسة.

٥- الاختصارات: يجب استخدام الاختصارات المقننة دولياً مثل: سم، مم، م، كم، سم، ٢مل، مجم، كجم...إلخ.

٦- المراجع: يشار إلى المراجع داخل المتن بنظام الاسم والتاريخ، وتوضع المراجع جميعها في قائمة المراجع بنهاية المادة مرقمة ومتبعة نظام ترتيب البيانات الببليوجرافية التالي:

أ) يشار إلى الدوريات في المتن بنظام الاسم والتاريخ بين قوسين على مستوى السطر. أما في قائمة المراجع فيبدأ المرجع بذكر الاسم الأخير للمؤلف، ثم الاسم الأول، ثم الأسماء الأخرى أو اختصاراتها بالخط الأسود، ثم سنة النشر بين قوسين، فعنوان البحث كاملاً بين علامتي تنصيص " "، فاسم الدورية، فرقم المجلد، ثم رقم العدد: ثم أرقام الصفحات تفصل بشرطة.

مثال:

هادي، أحمد بن جابر. (٢٠١١م)، "استخدام تقنية النانو لتعريف الشفرات الوراثية" مجلة جامعة جازان، ١، ١: ٢٠٠-٢٢٠.

ب) يشار إلى الكتب في المتن داخل قوسين بالاسم والتاريخ.

أما في قائمة المراجع، فيكتب الاسم الأخير للمؤلف، ثم الاسم الأول، ثم الأسماء الأخرى أو اختصاراتها، ثم سنة النشر بين قوسين، فعنوان الكتاب بين علامتي تنصيص، ثم بيان الطبعة، فالناشر، فمدينة النشر: ثم صفحات الكتاب إن وجدت.

مثال:

عبدالهادي، محمد علي، (١٤٣٣هـ)، "مقدمة في التقنية الحيوية"، جامعة جازان، جازان.

ويجب عدم استخدام الاختصارات المرجعية مثل: المرجع نفسه. المرجع السابق...إلخ.

٧ – أ. الحواشي: تستخدم لتزويد القارئ بمعلومات توضيحية، ويشار إليها في المتن بأرقام مرتفعة عن السطر. وترقيم التعليقات متسلسلة داخل المتن. وفي حال الضرورة؛ يمكن الإشارة إلى مرجع داخل الحاشية عن طريق استخدام كتابة الاسم والتاريخ بين قوسين وبنفس طريقة استخدامها في المتن، وتوضع الحواشي أسفل الصفحة التي تخصها والتي ذكرت بها و تفصل بخط عن المتن وبخط أصغر.

ب- يستخدم في تخريج الأحاديث والآثار الطريقة المنهجية المعتمدة في هذا الفن وهي كالآتي/ اسم المؤلف – اسم الكتاب – رقم الجزء والصفحة والحديث)

٨- المواد المنشورة في المجلة لا تعبر؛ بالضرورة، عن رأي جامعة جازان.

٩- المستلات: يعطى المؤلف (٢٠) عشرين نسخة مجانية من بحثه.

١٠- المراسلات: توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس هيئة التحرير

مجلة جامعة جازان

٤٤٢١- حي الروابي

وحدة رقم ٨

جازان ٨٢٨٢٢-٦٥٦١

المملكة العربية السعودية

١١- تصدر المجلة مرتين في العام.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة جازان

مجلة جامعة جازان

دورية علمية محكمة

المجلد ٢ العدد ١ محرم ١٤٣٤هـ (ديسمبر ٢٠١٢م)

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٢٨ | إدارة النشر العلمي والمطابع بجامعة جازان الرقم: ٨١٠٠٠٦ | ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

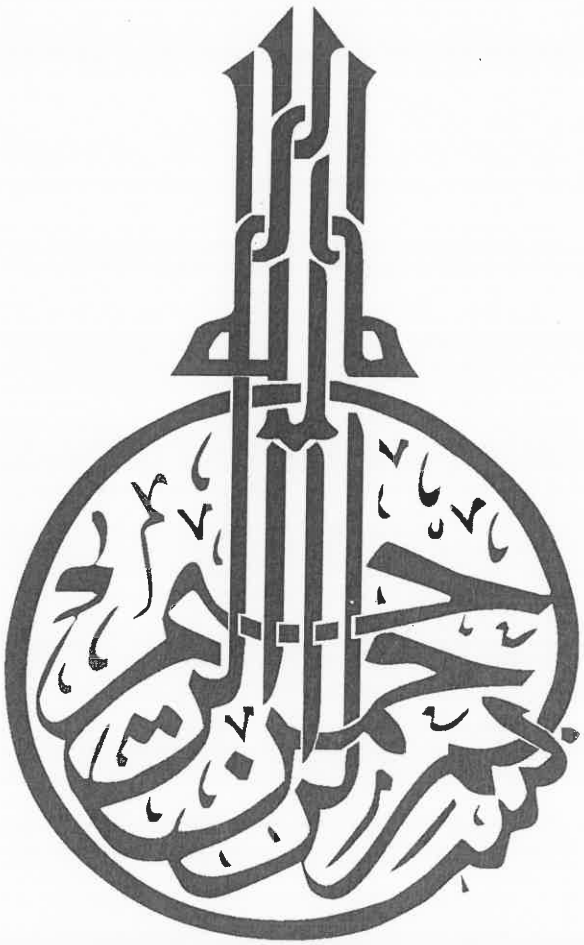
بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جامعة جازان

فرع العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة

المجلد ٢ العدد ١ محرم ١٤٣٤هـ (ديسمبر ٢٠١٢م)

المشرف العام

أ. د. محمد بن علي آل هيازع

نائب المشرف العام

أ. د. محمد بن علي ربيع

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عبدالله بن يحيى باصهي

هيئة التحرير

أ. د.علي بن محمد عريشي

أ. د. علي بن أحمد الكاملي

أ. د. سلطان بن حسن الحازمي

أ. د. يحيى بن محمد حكمي

د. محمد بن حسن أبو راسين

مدير التحرير

أ. إبراهيم بن أحمد مسملي

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس هيئة التحرير

مجلة جامعة جازان

٤٤٢١- حي الروابي

وحدة رقم ٨

جازان ٨٢٨٢٢-٦٥٦١

المملكة العربية السعودية

أو على البريد الإلكتروني

jju@jazanu.edu.sa

© ٢٠١٢م (١٤٣٤هـ) جامعة جازان

جميع حقوق الطبع محفوظة. لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من رئيس تحرير المجلة.

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

لولا: أحكامها ودلالتها في الحديث الشريف - دراسة تطبيقية في الكتب الستة
يحيى بن محمد حكمي ٠١-١٩

الصراع الإسلامي الصليبي في معركة البلاط (ساحة الدم) ٥١٣هـ / ١١١٩م
عائشة بنت مرشود الحربي ٢٠-٣٣

الدستور الإنجليزي خصوصية بنيانه العرفي ومعطيات إشكالياته
أحمد صادق الجيزاني ٣٤-٤٧

نظائر السيوطي النحوية والتصريفية للقواعد الفقهية (دراسة تحليلية)
جمال حسن بشندي ٤٨-٧٢

درجة التزام طلاب جامعة جازان بالمملكة العربية السعودية بممارسات التربية المرورية كما تبدو في نظام المرور ولائحته التنفيذية من وجهة نظر الطلاب أنفسهم
علي يحيى العريشي - وائل عبد الرحمن التل ٧٣-٩٩

"عبيد الشعر" هل كانوا عبيدًا للشعر؟
مختار سيدي الغوث ١٠٠-١٤٥

لولا: أحكامها ودلالتها في الحديث الشريف
دراسة تطبيقية في الكتب الستة

يحيى بن محمد حكمي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

تناولت هذه الدراسة الحرف: (لولا) بالتحليل والإحصاء فانتظمت في ثلاثة مباحث، خُصص الأول منها لتركيب (لولا) وخلاف النحويين فيه، والثاني لما سمَّاه النحويون: (لولا) الامتناعية، والثالث لما عُرف بـ:(لولا) التحضيضية. وقد سلكت هذه الدراسة مسلك المزاوجة بين التنظير والتطبيق حيث تقوم باستعراض الأحكام النحوية المتعلقة بـ:(لولا) استعراضا نظرياً من خلال ما ذكره النحويون عنها، ثم يتم عرض تلك الأحكام على نصوص الحديث الشريف المشتملة على (لولا) معتمدة على الكتب الستة بالدرجة الأولى، بهدف التطبيق. وقد أفرزت هذه الدراسة نتائج من أبرزها: ترجيح رأي البصريين فيما يتعلق بتركيب (لولا) والعامل في الاسم الواقع بعدها، وتنوع الاسم الواقع بعدها إلى ثلاثة أنواع، وتحديد مدلول (لولا) بحسب السياق الذي ترد فيه، وتحديد أنواع الجملة الواقعة جواباً لـ: (لولا) كما قدمت الدراسة إحصاءً دقيقاً لورود (لولا) في الكتب الستة، وتفرع ذلك الإحصاء على كل المباحث المتعلقة بها بنوعيها.

الكلمات المفتاحية: لولا–التركيب–الامتناع–الحذف–الجواب–الوجود–النفي–الوجوب–التحضيض.

مُقدّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد لا أجانب الحقيقة إذا زعمت أن حروف المعاني ما زالت قادرةً على استيعاب دراسات متخصصة تفصح عن دورها في استجلاء كوامن النص العربي.

ومن جملة تلك الحروف (لولا) إذ إن في ذلك الحرف خصائص تسوغ إفراده بدراسةٍ مفصلة، فهو حرف ذو تركيب خاص، وله دلالات متنوعة، وربما كان لطبيعة تركيبه دور في دلالاته وربما سهل علينا فهم البناء التركيبي لهذا الحرف التحليلَ الدلالي لما يتعلق به في كثير من السياقات؛ لذلك تجردت هذه الدراسة لتناول حرف المعنى (لولا) من حيث تركيبه، وعلاقة ذلك بدلالاته، ودراسة نوعَيه، والقضايا المتعلقة بكل نوع، والدلالات السياقية لهذا الحرف.

وقد اتخذت هذه الدراسة منهج المزاوجة بين التنظير والتطبيق؛ بحيث يعرض الأول اراء النحويين في (لولا) وما يتعلق بها من أحكام، ثم تعرض تلك الأحكام على النص العربي للتطبيق للخروج بنتيجة مدى انطباق تلك الأحكام على نصوص الحديث الشريف.

وقد سار التنظير والتطبيق في هذه الدراسة في خط واحد؛ بحيث يتم التطبيق بعد التنظير مباشرة في كل مبحث من مباحث (لولا) نظراً لتشعب تلك المباحث واحتوائها على نقاط عدة.

ولم أجد بعد كلام الله نصاً أجدر بالدراسة والتحليل والتطبيق من كلام رسول الله ﷺ فهو –ولا ريب– أفصح الخلق لساناً وأكثرهم بياناً.

وقد وقع الاختيار من بين كتب الحديث على أكثرها شهرة، وأوثقها نسبة، وأبعدها عن الضعف، أعني بذلك الكتب الستة: (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، سنن النسائي) وفي الوقت نفسه ستقتصر هذه الدراسة على كلام النبي ﷺ دون تعليقات الصحابة والرواة، وإذا تكررت روايات الحديث فإن الدراسة ستختار رواية واحده لتساوي الروايات في الصحة والإسناد من خلال تلك الكتب، وإذا لم يوجد شاهد في الكتب الستة على إحدى نقاط الدراسة فإنها ستعتمد على كتب الحديث الأخرى في تلك

البريد الإلكتروني: dr.yahya@windowslive.com
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

النقطة فقط مع التنبيه على ذلك في موضعه.

وقد اشتملت هذه الدراسة على إحصاء كامل للأحاديث الواردة في الكتب الستة المشتملة على الحرف (لولا) لذلك يعد المنهج العام للجانب الإحصائي للبحث هو المنهج الاستقرائي التام بالنسبة للكتب الستة، والمنهج الاستقرائي الناقص بالنسبة لكتب الحديث الأخرى.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: تركيب (لولا).

المبحث الثاني: (لولا) الامتناعية.

المبحث الثالث: (لولا) التحضيضية.

وسُبقت هذه المباحث بمقدمة وقُفِّيت بأهم نتائج الدراسة. والله الموفق،،،

المبحث الأول: تركيب (لولا)

(لولا) حرف مركب، وقد وقعت خلاف بين النحاة حول ما رُكِّبت منه (لولا) على النحو التالي:

١- (لولا) مركبة من (إن) و(لو):

يقول ابن السراج عن لولا: "هي مركبة مِنْ معنى إنْ ولَو، وتبدأ بعدها الأسماء، وذلك أنها تمنع الثاني لوجود الأول، تقول: لَولا زيدٌ لهَلكنا تريدُ: لولا زيدٌ في هذا المكان لهلكنا، وإنما امتنع الهلاك لوجود زيدٍ في المكان، وقال عز وجل: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقد يستعملونها بمعنى هَلا يولونها الفعل"[٢].

وكذلك نص الجوهري على أنّ (لولا) مركبة من (إن) و(لو)[٣].

٢- (لولا) مركبة من (لو) و(لا):

يقول سيبويه: "وأما (لا) فتكون كـ: "ما" في التوكيد واللغو. قال الله -عز وجل: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤]. أي: لأن يعلم، وتكون (لا) نفيًا لقوله يفعل ولم يقع الفعل، فتقول: لا يفعل. وقد تغير الشيء عن حاله كما تفعل ما، وذلك قولك: لولا، صارت لو في معنى آخر كما صارت حين قلت: لوما تغيرت كما تغيرت حيث بـ:(ما)، وإن بـ:(ما)"[٥].

فقد غيرت (لا) دلالة (لو) عندما ركبت معها ؛ لأن طبيعة التركيب تقتضي تعديلا في وظيفة الحرف المركب، يقول ابن الأنباري:"الحرف إذا ركّب مع حرف آخر تغير عما كان عليه في الأصل قبل التركيب، ألا ترى أن (لو) حرف يمتنع به الشيء لامتناع غيره، فإذا ركبت مع ما تغير ذلك المعنى وصارت بمعنى (هلا)، فكذلك -أيضا- إذا ركبت مع (لا) كقوله -من الطويل- (**لولا الكميَّ المقنعا...**) "[٦].

وينص ابن جني على أن " الشيئين إذا خُلِطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا، ألا ترى أن (لولا) مركبة من (لو) و(لا)، ومعنى (لو) امتناع الشيء لامتناع غيره ومعنى (لا) النفي أو النهي فلما ركبا معا حدث معنى آخر وهو امتناع الشيء لوقوع غيره "[٧].

ويفهم من كلام ابن جني أن المعنى الجديد الذي اكتسبته (لولا) بتركيبها من (لو) و(لا) لم يكن منقطع الصلة عن المعنى الأصلي لكل حرف على حدة؛ إذ إن (لو) تفيد امتناع الشيء لامتناع غيره، و(لا) تفيد النفي، والدلالة التي اكتسبتها (لولا) تتمثل في امتناع الشيء لوقوع غيره، فتشتمل على دلالة كل من(لو) و(لا) مجتمعتين، يقول العكبري: "(لولا) يمتنع بها الشيء لوجود غيره، وأصلها (لو) و(لا) فلما رُكِّبَتَا حدث لهما معنى ثالث غير الامتناع المفرد وغير النَّفي، وتحقيقه أنَّ (لو) يمتنع بها الشيء لامتناع غيره، ففيها امتناعان، و(لا) نافية والنفي إذا دخل عليه الامتناع صار إيجابا"[٨].

وقد اشتقوا فعلا من هذا الحرف المركب، يقول ابن جني: "سألتك حاجة فلوليت لِي، أي: قلت لي (لولا)، فاشتقّوا الفعل من الحرف المركب من (لو) و(لا)"[٩].

والمختار عندي أنّ (لولا) تتركب من (لو) و(لا)، استناداً إلى دليلين:

١- دلالة الحرف المركب (لولا) التي تجمع بين الامتناع

(١) جزء من الآية:٣١ من سورة سبأ.
(٢) الأصول في النحو: ٢١١/٢، وانظر الصحاح في اللغة: ١٥٤/٢.
(٣) انظر الصحاح في اللغة: ١٥٤/٢.
(٤) جزء من الآية:٢٩ من سورة الحديد.
(٥) الكتاب:٣٨٧/١، وانظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٣٨٦/١.
(٦) أسرار العربية: ١٨٨/١.
(٧) سر صناعة الإعراب: ٣٠٦/١.
(٨) إعراب لامية الشنفرى: ٨٨/١، ٨٩.
(٩) الخصائص: ٣٧/٢.

والنفي، فالامتناع دلالة لـ (لو)، والنفي دلالة لـ (لا).

٢- أن تدقيق النظر في تركيب(لولا) الملفوظ يفضي إلى استبعاد القول بأنها مركبة من (إن) و(لو)، فلا وجود لـ(إن) في لفظ (لولا).

المبحث الثاني: لولا الامتناعية

اختصاص (لولا) الامتناعية:

تختص (لولا) الامتناعية بالدخول على الأسماء، ويليها الاسم في صورة من ثلاث:

١- أن يكون اسما ظاهرا: نحو: لولا زيد لأكرمتك.

٢- أن يكون ضمير رفع منفصلا: نحو: لولا أنت لأكرمته.

٣- أن يكون ضميرا متصلا، موضوعا للنصب والجر، كالياء والكاف والهاء.

وقد خاض النحاة غمار (لولا) ودندنوا حولها في قضايا متنوعة، ودار الخلاف بينهم فتعددت آراؤهم واختلفت وجهات النظر في تلك الآراء، وستحاول هذه الدراسة المتواضعة تتبع تلك الآراء ثم عرضها على نصوص الحديث الشريف للجمع بين التنظير والتطبيق وذلك على النحو التالي:

أولاً: العامل في الاسم المرفوع بعد (لولا):

اختلف نحاة البصرة ونحاة الكوفة حول العامل في الاسم المرفوع بعد (لولا)، وقد أفرد أبو البركات الأنباري المسألة العاشرة من كتابه الإنصاف لمناقشة تلك القضية، فمذهب الكوفيين أن (لولا) ترفع الاسم بعدها، نحو: لولا زيد لأكرمتك، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بالابتداء، واحتج الكوفيون لمذهبهم بأنّ (لولا) ترفع الاسم بعدها؛ لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم؛ لأن التقدير في قولك: لولا زيد لأكرمتك: لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو)، فصار بمنزلة حرف واحد...، والحذف في كلامهم لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثر من أن يحصى، فدل على أن الفعل محذوف هاهنا بعد (لولا)، وأنه اكتفى بـ(لولا) على ما بينا، فوجب أن يكون مرفوعا بها"[١٠]، وقد استدلوا لذلك ببعض الحالات التي يحذف فيها الفعل ويعوضه الحرف، كما استدلوا على ذلك بفتح همزة (أنَّ) بعدها وجوبا في نحو لولا أن زيدا ذاهب لأكرمتك، ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكون الهمزة مكسورة[١١].

أما البصريون فكانت حجتهم أنَّ: "الحرف إنما يعمل إذا كان مختصا، و(لولا) لا تختص بالاسم دون الفعل بل قد تدخل على الفعل كما تدخل على الاسم"[١٢].

ومن ذلك قول الشاعر:

قالت أُمامةُ لما جِئْتُ زائرَها
هلاَّ رَمَيْتَ بَبَعْض الأَسْهُم السُّودِ؟
لَا دَرَّ دَرُّكِ إني قد رَمَيْتُهُمُ
لولا حُدِدْتُ ولا عُذْرَى لِمَحْدود[١٣]

وكذلك لو كان الاسم مرفوعا بـ (لولا) لكان ينبغي أن يعطف عليها بـ (ولا)؛ لأن الجحد يعطف عليه بـ(ولا) والذي يدل على أنه ليس مرفوعا بـ(لولا) بتقدير: لو لم يمنعني زيد لأكرمتك أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يعطف عليها بـ(ولا)؛ لأن الجحد يعطف عليه بـ(ولا) قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[١٤].

"فلما لم يجز أن يقال لولا أخوك ولا أبوك دل على فساد ما ذهبوا إليه"[١٥].

وقد أيد صاحب الإنصاف رأي الكوفيين، ورد على أدلة البصريين بأن (لولا) الامتناعية حرف مختص بالأسماء، وليس مشتركا وأما ما توهمه البصريون من دخولها على الفعل في قول الشاعر:

لولا حددت ولا عذري لمحدود

فقد أجاب عنه أبو البركات الأنباري بقوله: "(لو) التي في هذا البيت ليست مركبة مع (لا) كما هي مركبة مع (لا) في قولك لولا زيد لأكرمتك وإنما (لو) حرف باق على أصله من الدلالة على امتناع الشيء لامتناع غيره،

(١٠) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧١، ٧٢.

(١١) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٣.

(١٢) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٧٣.

(١٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٣. البيت من البسيط، وقد نسبه ابن منظور للجَمُوح الظفري، انظر لسان العرب: ج ٤/ص ٥٤٥ وفيه (لله درك)بدلا من (لَا دَرَّ دَرُّكِ)

(١٤) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٤. والآيات من سورة فاطر من ١٩ إلى ٢٢.

(١٥) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٥.

و(لا) معها بمعنى (لم) لأن (لا) مع الماضي بمنزلة (لم) مع المستقبل، فكأنه قال قد رميتهم لو لم أحد، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يقتحم العقبة"(١٦).

كما أنَّ الحروف إذا رُكِّب بعضها مع بعض تغير حكمها الأول، وحدث لها بالتركيب حكم آخر، فـ(لولا) بتركيبها أخرجت (لو) من حدِّها و(لا) من الجحد إذ ركبتا فصيرتا حرفا واحدا؛ "فلهذا لم يجز العطف عليها بـ(ولا)"(١٧).

وعلى الرغم من اختيار أبي البركات لرأي الكوفيين فإن الباحث يختار رأي البصريين للأسباب التالية:

١- (لولا) حرف واحد مركب من (لو) و(لا)، ولكن تتحدد دلالته حسب ما يذكر بعده، فقد تكون (لولا) امتناعية إذا وليها اسم، وقد تكون (لولا) تحضيضية إذا وليها فعل، فـ(لولا) التحضيضية لا تختلف من حيث التركيب عن (لولا) الامتناعية، يقول سيبويه: "ومثل ذلك: (هلا) و(لولا) و(ألاَّ)، ألزموهنّ لا وجعلوا كلَّ واحدة مع (لا) بمنزلة حرف واحد، وأخلصوهنّ للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض"(١٨).

وعلى ذلك فـ (لولا) حرف مشترك، وإن اختلفت دلالته حسب ما يدخل عليه، وهناك كثير من حروف المعاني المشتركة التي تختلف دلالتها حسب السياق، ومثال ذلك (هل) فإنها تأتي للاستفهام، كما تأتي بمعنى النفي، وقد رأى بعضهم أنها تأتي بمعنى (قد)، يقول الجوهري: "هل: حرف استفهام، فإذا جعلته اسما، شدَّدته. أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ قال: معناها قد أتى. و(هل) قد تكون بمعنى (ما)، قالت ابنةُ الحُمارِسِ:

هل هي إلاَّ حِظَةٌ أو تطْليقْ

أي: ما هي، فلهذا أدخلت إلاَّ"(١٩).

فلا ريب أن نحكم على (لولا) بأنها حرف مشترك تتعدد دلالاته حسب السياق.

٢- نص النحاة على أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير، ورأي الكوفيين لا يفتقر إلى تقدير فعل فحسب، وإنما يفتقر إلى توهم وجود حرفين مفردين، قد رُكِّبَا معا بعد حذف الفعل، فـ(لولا) ترفع الاسم بعدها لأنها "نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم؛ لأن التقدير في قولك: لولا زيد لأكرمتك: لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو) فصار بمنزلة حرف واحد"(٢٠).

٣- استدل الكوفيون على أن الاسم مرفوع بـ(لولا) بوجوب فتح همزة (أنَّ) بعدها في نحو: لولا أنَّ زيدا ذاهب لأكرمتك، ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكون الهمزة مكسورة(٢١).

وقد ذكر سيبويه أنه يجب فتح همزة (أنَّ) في هذه الحالة لتقديرها مع معموليها بمصدر يقع في محل رفع، وقد وقعت جملة (أنّ) بعد (لولا) موقع الاسم الواقع بعدها، وقد اتفق الجميع على وجوب فتح همزة (أن) إذا أُوِّلت مع ما بعدها بمصدر، يقول سيبويه تحت عنوان (هذا باب من أبواب أنّ): "تقول: ظننت أنَّه منطلق، فظننت عاملة، كأنّك قلت: ظننت ذاك،وكذلك وددت ذاك، وتقول: لولا أنَّه منطلق لفعلت، فأنَّ مبنيَّة على (لولا) كما تبنى عليها الأسماء".

وتقول: لو أنّه ذاهب لكان خيرا له، فـ(أنَّ) مبنيَّة على (لو) كما كانت مبنيَّة على (لولا)، كأنك قلت: لو ذاك، ثم جعلت أنَّ وما بعدها في موضعه"(٢٢).

ثانياً: أحكام الضمير المتصل بعد (لولا):

اختلف النحاة حول الضمير المتصل بـ (لولا)، فمذهب سيبويه أنَّ الضمير المتصل بـ (لولا) في محل جر، جاء في الكتاب تحت باب: ما يكون مضمَرا فيه الاسم متحولا عن حاله: "وذلك لولاك ولولاي، إذا أضمرت الاسم فيه جُرّ، وإذا أظهرت رُفع، ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت: لولا أنت، كما قال سبحانه: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾؛ ولكنهم جعلوه مضمَرا مجرورا.

والدليل على ذلك أنَّ الياء والكاف لا تكونان علامةَ

(١٦) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٦. والآية من سورة البلد: ١١.
(١٧) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٨.
(١٨) الكتاب: ١/٢٠٠.
(١٩) الصحاح في اللغة: ٢/٢٥٣.
(٢٠) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧١، ٧٢.
(٢١) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٣.
(٢٢) الكتاب: ١/٢٠١، و١/٢٠٥، وانظر الأصول في النحو: ١/٢٧٧.

مضمَر مرفوع، قال الشاعر، يزيد بن الحكَم:

وكم موطنٍ لولايَ طِحتَ كما هوى

بأجرامه من قُلةِ النّيقِ مُنهَوي"(٢٣).

ومذهب الكوفيين أنَّ الياء والكاف في لولاي ولولاك في موضع رفع، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين على حين يذهب البصريون إلى أنَّ الياء والكاف في موضع جر بـ(لولا)، وذهب أبو العباس المبرد إلى أنه لا يجوز أن يقال: لولاي ولولاك، ويجب أن يقال: لولا أنا ولولا أنت، فيؤتى بالضمير المنفصل كما جاء به التنزيل في قوله: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ولهذا لم يأت في التنزيل إلا منفصلا "(٢٤).

أما ابن السراج فيرى أنَّ دخول (لولا) على الضمير المتصل لحن، حيث يقول: "واعلم أن الذي حكي من قولهم: لولاي ولولاه شيء شذَّ عن القياس كان عند شيخنا يجري مجرى الغلط، والكلام الفصيح ما جاء به القرآن: لولا أنت، كما قال عز وجل: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ والذين قالوا: لولاك ولولاي قالوا: لأنها أسماء مبنية يؤكد المرفوع منها المخفوض فكأنهم إنما يقتصرون العبارة عن المتكلم والمخاطب والغائب لا بأي لفظ كان؛ لأنه غير ملبس، ولكنهم لا يجعلون غائبا مكان مخاطب، لا يقولون: لولاه مكان لولاك، فأما قولهم: عساك فالكاف منصوبة؛ لأنك تقول: عساني فعساك مثل رماك وعساني مثل رماني "(٢٥).

ولكل من البصريين والكوفيين حجة، وقد عرض صاحب الإنصاف تلك الحجج و رجح كفة الكوفيين ورد حجة البصريين بما حاصله(٢٦) أنه يجوز أن تدخل علامة الرفع على الخفض، وأنَّ قولهم: قد تكون الحروف في موضع مبتدأ لا تتعلق بشيء، ليس على إطلاقه، فالأصل في حروف الخفض أن لا يجوز الابتداء بها، وأن لا تقع في موضع مبتدأ، وإنما جاء ذلك نادرا في حرف زائد يجوز حذفه، ولا يتغير المعنى وأن عدم مجئ الضمير المتصل في التنزيل لا يدل على عدم جوازه، ألا ترى أنه لم يأت في التنزيل ترك عمل "ما" في المبتدأ والخبر، نحو: ما زيد قائم وما عمرو منطلق، وإن كانت لغة جائزة فصيحة وهي لغة بني تميم "(٢٧).

وقوع الاسم بعد (لولا) في الكتب الستة:

وقعت (لولا) الامتناعية في الكتب الستة في **اثنين وستين موضعا**، وجاء الاسم الواقع بعد (لولا) على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الاسم الواقع بعد (لولا) اسم ظاهر:

وقد جاء هذا في **ثمانية وخمسين موضعا**، وتنوع الاسم الظاهر بعد (لولا) إلى نوعين:

١- اسم صريح:

ووقع هذا في **خمسة عشر موضعا**، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "**لو أنَّ الأنصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت في وادي الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار**"(٢٨).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم صريح هو (الهجرة)، فقد امتنع كون النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأنصار لوجود الهجرة، وسبقها وشرفها، وكونها أمرا دينيا، فدلت (لولا) على الشرف الكبير بالانتساب إلى الأنصار، كما دلت على أن خصوصية الهجرة سبقت، وهي أعلى وأشرف من الانتساب إلى الأنصار، وقد علق الإمام البخاري على هذا الحديث بقوله: "المعنى: لولا أنَّ الهجرة أمر ديني وعبادة مأمور بها ولها أجر وفضل لانتسبت إليكم، وعددت نفسي واحدا منكم"(٢٩).

والمعنى: أن الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء والألصق بي من سائر الناس، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، أي: أتسمى باسمهم، ولا أنتسب إلا إليهم، لكن خصوصية الهجرة سبقت، وهي أعلى وأشرف، فلا يبدل بها غيرها.

ومن أمثلة وقوع الاسم بعد (لولا) اسما صريحا ما رواه أبو الدرداء، قال: "قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم،

(٢٣) الكتاب: ١/١٦٦. والبيت من الطويل.
(٢٤) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٨٧.
(٢٥) الأصول في النحو: ٢/١٢٤.
(٢٦) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٩٠.
(٢٧) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٩٤، ٦٩٥.
(٢٨) صحيح البخاري: ٣/١٣٧٧.
(٢٩) صحيح البخاري: ٣/١٣٧٧.

فسمعناه يقول: "أعوذ بالله منك، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا، وبسط يده كأنه يتناول شيئا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله: قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك. قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار؛ ليجعله في وجهي، فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، **والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة**"(٣٠).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم صريح هو (دعوة)، وامتنع وثاق إبليس وما يترتب عليه من لعب ولدان أهل المدينة به لوجود دعوة سليمان –عليه السلام– وهي: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٣١)، والمراد: لولا توهم عدم استجابة هذه الدعوة لأخذته، لا أنه بالأخذ يلزم عدم استجابتها؛ إذ لا يبطل اختصاص تمام الملك لسليمان بهذا القدر"(٣٢).

٢– مصدر مؤول بالصريح:

وذلك في **ثلاثة وأربعين موضعا**، وقد انقسم المصدر المؤول بالصريح قسمين:

أ– مصدر مؤول من (أنْ) والفعل المضارع:

وقع هذا في الكتب الستة في اثنين وعشرين موضعا، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء**"(٣٣).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أن) والفعل المضارع (أشق)، وامتنع الأمر بالسواك عند كل وضوء لوجود المشقة على الأمة في حالة الأمر بذلك، فدلالة (لولا) في الحديث الشريف قد صرفت الأمر عن الوجوب إلى الندب، يقول ابن رجب: "وهذا الحديث: نصٌّ على أنه غير واجبٍ على الأمة ؛ فإن المراد: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك أمر فرضٍ وإيجابٍ، لا أمر ندبٍ واستحبابٍ؛ فإنه قد ندب إليه واستحبه، ولكن لم يفرضه، ولم يوجبه"(٣٤).

وعلّق ابن الجوزي على هذا الحديث بقوله: "وفي هذا دليل على أن مطلق الأمر يقتضي الوجوب لأنه أعلمهم أنه لو أمر لوجب، ولا يحسن أن يقال: يجوز أن يأمرهم ويكون أمر ندب؛ لأنه لا يصرف أمره إلى الندب إلا بقرينة، وهو بهذا القول قد ندب"(٣٥)، فقرينة صرفه إلى الندب هي (لولا).

ومن أمثلة وقوع الاسم بعد (لولا) مصدرا مؤولا من (أنْ) والفعل المضارع ما أورده ابن ماجة في باب حجة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من حديث طويل عن جابر بن عبد الله: "... أفاض رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى البيت. فصلى بمكة الظهر. فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم، فقال: "**انزعوا بني عبد المطلب، لولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**) فناولوه دلوا فشرب منه"(٣٦).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أن) والفعل المضارع (يغلب)، وامتنع نزعه – صلى الله عليه وسلم – معهم لوجود الخوف من غلبة الناس وازدحامهم على البئر واعتقادهم أنَّ الاستقاء من مناسك الحج، فـ(لولا) في الحديث الشريف أسهمت في الدلالة على فضيلة العمل في هذا الاستقاء، كما دلت على أنَّ هذا النزع ليس من مناسك الحج، يدل على ذلك ما أورده الإمام النووي في شرحه للحديث حيث قال: "معناه: لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم؛ لكثرة فضيلة هذا الاستقاء وفيه فضيلة العمل في هذا الاستقاء"(٣٧).

ب– مصدر مؤول من (أنَّ) وجملتها:

وقع هذا في الكتب الستة في **واحد وعشرين موضعا**، فمن ذلك ما رواه ابن عباس –رضي الله عنهما–: "أهدى الصعب بن جثامة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– حمار

(٣٠) صحيح مسلم:١/ ص٣٨٥.
(٣١) سورة: ص الآية: ٣٥.
(٣٢) حاشية السندي على النسائي:٣/١٤.
(٣٣) صحيح البخاري:٢/٦٨٢.
(٣٤) فتح الباري لابن رجب:٦/١٦٨.
(٣٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين:١/٩٩٧.
(٣٦) سنن ابن ماجه:٢/١٠٢٢.
(٣٧) شرح النووي على مسلم: ٨/١٩٤.

وحش وهو محرم، فرده عليه، وقال: **لولا أنا محرمون لقبلناه منك**"(٣٨).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أنَّ) والجملة الاسمية، وامتنع قبول الرسول-صلى الله عليه وسلم- للهدية التي هي حمار الوحش لوجود الإحرام، فدلت (لولا) أنَّ الإحرام هو سبب الامتناع، لذلك "استدل بهذا الحديث على تحريم الأكل من لحم الصيد على المحرم مطلقا لأنه اقتصر في التعليل على كونه محرما فدل على أنه سبب الامتناع خاصة"(٣٩).

ومن أمثلة وقوع الاسم بعد (لولا) مصدرا مؤولا من (أنَّ) وجملتها ما رواه أبو أيوب حين حضرته الوفاة، حيث قال: " كنت كتمت عنكم شيئا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -يقول: "**لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم**"(٤٠).

فـ (لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أنَّ) والجملة الاسمية، فقد امتنع خلقُ اللهِ لخلق يذنبون فيغفر لهم لوجود ذنوبكم، ودلت (لولا) في الحديث على أن ارتكاب الذنوب صفة لازمة للبشر، وهذا يدل على أمرين مهمين:

الأول: اللجوء إلى التوبة عقب ارتكاب الذنوب؛ لأن بابها مفتوح لا يُغلق.

والآخر: عدم العجب بالعمل؛ لأن هذا يؤدي إلى الكبر والهلاك.

وقد علق صاحب فيض القدير على الحديث بقوله: "جعل العجب أكبر من الذنوب، ولو لم يذنب العبد لاستكثر فعله واستحسن عمله فلحظ أفعاله المدخولة وطاعاته التي هي بالمعاصي أشبه وإلى النقص أقرب، فيرجع من كنف الله وحفظه إلى استحسان فعله؛ فيهلك "(٤١).

النوع الثاني: الاسم الواقع بعد (لولا) اسم مبهم:

لم يرد الاسم الواقع بعد (لولا) مبهما في الكتب الستة إلا في موضعين، الموضع الأول في حديث قذفِ هلال بن أمية امرأته، فقد روى ابن عباس -رضي الله عنهما - أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي - صلى الله عليه وسلم- بشريك بن سحماء، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (البينةَ أو حَدٌّ في ظهرك). فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة! فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (البينة وإلا حد في ظهرك). فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق؛ فلينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه (والذين يرمون أزواجهم)، فقرأ حتى بلغ (إن كان من الصادقين). فانصرف النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب). ثم قامت، فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت، ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء). فجاءت به كذلك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: **(لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن)** "(٤٢).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم مبهم هو (ما) الموصولة، وامتنع أن يكون للرسول معها شأن برجمها لوجود آيات اللعان(٤٣)، أسهمت (لولا) في الدلالة على أنه لا اجتهاد مع النص، وامتنع الاجتهاد برجمها لوجود آيات اللعان، على الرغم من وجود أكثر من قرينة في القصة تدل على ارتكابها جريمة الزنا كنزول آيات اللعان، وتلكئها في الشهادة الخامسة، وقولها: لا أفضح قومي سائر اليوم(٤٤)، وأمر الرسول-صلى الله عليه وسلم- صحابته بتتبع ملامح ابنها، وكذلك امتناع الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن رجمها بسبب نزول آيات اللعان.

(٣٨) صحيح مسلم: ٨٥١/٢.
(٣٩) فتح الباري ابن حجر: ٣٣/٤.
(٤٠) صحيح مسلم: ٢١٠٥/٤.
(٤١) فيض القدير: ٣٤٢/٥.
(٤٢) صحيح البخاري: ١٧٧٢/٤. ومعنى (أكحل) شديد سواد الجفون خلقة من غير اكتحال. ومعنى (سابغ الأليتين) ضخمهما ومعنى (خدلج) ممتلئ.
(٤٣) الآيات من: ٦ إلى ٩ من سورة النور
(٤٤) هذا إذا كانت قد قالت ذلك علنا، ولم يكن هذا استنباطا من ابن عباس، كأن يكون ذلك عن طريق مناجاتها لنفسها التي لمحها الحاضرون

يعلق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: "أي: لولا ما سبق من حكم الله، أي: أن اللعان يدفع الحد عن المرأة لأقمت عليها الحد من أجل الشبه الظاهر بالذي رُميت به، ويستفاد منه أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يحكم بالاجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه وحي خاص، فإذا أُنزل الوحي بالحكم في تلك المسألة قطع النظر، وعمل بما نزل، وأجرى الأمر على الظاهر، ولو قامت قرينة تقتضي خلاف الظاهر"(٤٥).

والموضع الثاني الذي جاء فيه الاسم الواقع بعد (لولا) مبهما في الكتب الستة في الحديث الذي رواه أبو أمامة: "أتت النبي –صلى الله عليه وسلم– امرأة معها صبيان لها. قد حملت أحدهما وهي تقود الآخر. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **(حاملات والدات رحيمات. لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة)**"(٤٦).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم مبهم هو (ما) الموصولة، فقد امتنع دخول مصلياتهن الجنة لمجرد الصلاة لوجود إتيانهن الأذى في حق أزواجهن، فقد أسهمت (لولا) في الدلالة على كثرة صدور الأذى منهن وكفران العشير، فـ"لو صلين وتركن الأذى لدخلن الجنة إلا أنهن كثيرات الأذى قليلات الصلاة "(٤٧).

جاء في شرح سنن ابن ماجه "وقوله: لولا ما يأتين أي: لولا صنيعهن بأنهن يؤذين أزواجهن، ويحملنهم إلى ما طاقة لهم دخلن الجنة، بشرط أداء الصلاة، أي: مجرد أداء الصلاة يكفي في نجاتهن لو أحسنَّ إلى أزواجهن، فكأن هذه المتاعب والمشاق كافية لإسقاط أوزارهن، لكن استثنى من الأوزار اثنين: كفران العشير وترك الصلاة"(٤٨).

النوع الثالث: الاسم الواقع بعد (لولا) ضمير منفصل:

لم يرد الاسم الواقع بعد (لولا) ضميرا منفصلا في الكتب الستة إلا في موضعين، الموضع الأول: في الحديث الذي رواه العباس بن عبد المطلب حين قال: "يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال: "**نعم هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**"(٤٩).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها ضمير منفصل، هو (أنا)، وامتنع كونه في الدرك الأسفل من النار لوجود شفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بسبب نصرة أبي طالب له – صلى الله عليه وسلم –، ففي الحديث دلالة على أن الله تعالى قد يعطي الكافر عوضا من أعماله التي مثلها يكون قربة لأهل الإيمان بالله تعالى، لأنه أخبر أن عمه نفعته تربيته إياه وحياطته له التخفيف الذي لو لم ينصره في الدنيا لم يخفف عنه، فعلم بذلك أنه عوض نصرته، لا لأجل قرابته منه، فقد كان لأبي لهب من القرابة مثل ما كان لأبي طالب فلم ينفعه ذلك(٥٠).

والموضع الثاني: لوقوع الضمير المنفصل بعد (لولا) في الكتب الستة كان في موقف ترديد الرسول – صلى الله عليه وسلم – لشِعر عبد الله بن رواحة الذي جاء فيه الضمير المنفصل بعد (لولا)، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلا كثير الشعر وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا(٥١).

وقد روي أيضا باسم ظاهر بدلا من الضمير المنفصل هكذا:

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا صمنا ولا صلينا(٥٢).

فـ(لولا) هنا حرف وجوب لوجوب، وقد وقع بعدها ضمير منفصل، هو (أنت)، ووجب الاهتداء لوجود توفيق الله، و دلت (لولا) على أن هداية التوفيق من الله هي أهم وأسبق من هداية الإرشاد، يقول الإمام الطبري في تفسيره لقول الله –عز وجل–: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا

(٤٥) فتح الباري ابن حجر ٩/٤٦١، ٤٦٢.
(٤٦) سنن ابن ماجه: ١/٦٤٨.
(٤٧) سنن ابن ماجه: ١/٦٤٨.
(٤٨) شرح سنن ابن ماجه – السيوطي وآخرون: ١/١٤٥.
(٤٩) صحيح البخاري:٥/٢٢٩٣.
(٥٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري:٣٢/٤٢٥.
(٥١) صحيح البخاري:٣/١١٠٣. البيت من الرجز، وقد زيد في أوله سبب خفيف، ويسمى الخزم.
(٥٢) صحيح البخاري:٦/٢٤٤١.. والشطر الأول من الرجز، وأما الشطر الثاني فقد يعد من الهزج، وإن كانت صورة ضربه لم ترد في صور ضرب بحر الهزج حيث زيد سبب خفيف في آخر التفعيلة، وهذا ليس من علل الزيادة، ولا صلينا مفاعيلان.

﴿لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(٥٣): "الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله، وصرف عذابه"(٥٤).

وأما الضمير المتصل فلم يرد واقعا بعد (لولا) في الكتب الستة، وقد ورد ذلك في المعجم الأوسط في حديث بشير بن الخصاصية، حيث قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلحقته بالبقيع، فسمعته يقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين، فانقطع شسعي، فقال لي: أنعش قدمك. قلت: يا رسول الله: **طالت عزوبتي، ونأيت عن دار قومي. فقال: يا بشير ألا تحمد الله الذي أخذ بناصيتك للإسلام من بين ربيعة قوم يرون أن لولاهم لائتفكت الأرض بمن عليها**"(٥٥).

فقد وقع الضمير المتصل (هم) بعد (لولا) الامتناعية، ومحله الجر على مذهب البصريين، والرفع على مذهب الكوفيين، وقد امتنع ائتفاك الأرض بمن عليها في نظر ربيعة لوجودهم، وقد أسهمت (لولا) في الدلالة على عجب ربيعة وتكبرهم.

دلالات (لولا):

اصطلح النحاة على تسمية (لولا) بالامتناعية، مع أنها قد تتجرد للوجود في بعض أحوالها نحو: لولا زيد لم أحسن إليك. فقد وجب الإحسان لوجود زيد. فدلالة لولا هنا لا تدل على الامتناع، فهي حرف وجوب لوجوب أو وجود لوجود.

يقول المالقي:"الصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب، نحو قولك: لولا زيد لأحسنت إليك. فالإحسان امتنع لوجود زيد، وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك. وإن كانتا موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب، نحو: لولا زيد لم أحسن إليك. وإن كانتا منفية وموجبة فهي حرف امتناع لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك "(٥٦).

ويفهم من كلام المالقي أن دلالة لولا تتحدد بتحديد طبيعة تكوين جملتيها كالتالي:

١- حرف امتناع لوجوب أو لوجود:

وهذا عندما تكون الجملتان بعدها موجبتين مثل: لولا زيد لأحسنت إليك. فالإحسان امتنع، لوجود زيد.

وقد حظي هذا النوع بالنصيب الأوفر من حيث الورود في أحاديث الكتب الستة، فقد وردت جملتا (لولا) موجبتين في اثنين وخمسين موضعا، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس -رضي الله عنه- أن: "النبي -صلى الله عليه وسلم- مر بتمرة مسقوطة فقال: "**لولا أن تكون صدقة لأكلتها** "(٥٧).

ف(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجوب أو لوجود، فقد امتنع أكله -صلى الله عليه وسلم- التمرة لوجود احتمالية كونها صدقة، وقد دلت (لولا) في الحديث على مدى ورع الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتحريه الحلال في مطعمه، فعلى الرغم من أنه غير متيقن من كونها صدقة فإنه لم يأكلها، وقد ذكرت بعض روايات الحديث أن التمرة كانت على فراشه، وهذا أبلغ في الورع، يقول ابن حجر: "والنكتة في ذكره هنا ما فيه من تعيين المحل الذي رأى فيه التمرة وهو فراشه - صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك لم يأكلها وذلك أبلغ في الورع "(٥٨)، وذلك لـ "أن آل محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يأكلون الصدقة"(٥٩).

ومن أمثلة ورود جملتي (لولا) موجبتين ما رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-قال: "مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لصلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده، فلا ندري أشيء شغله في أهله أو غير ذلك؟ فقال حين خرج: إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم **ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلى**"(٦٠).

ف(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجوب أو لوجود، فقد امتنع إلزامه-صلى الله عليه وسلم- لهم بأن يصلوها

(٥٣) جزء من الآية: ٤٣ من سورة الأعراف.
(٥٤) تفسير الطبري: ٤٣٩/١٢.
(٥٥) المعجم الأوسط: ١٧٧/٣.. الشسع: سير يمسك النعل بأصابع القدم، اللسان: شسع، وائتفكت: أي انقلبت. اللسان: أفك.
(٥٦) رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٤٦/١.
(٥٧) صحيح البخاري: ٧٢٥/٢.
(٥٨) فتح الباري - ابن حجر: ٢٩/٤.
(٥٩) صحيح البخاري: ٥٤١/٢.
(٦٠) صحيح مسلم: ٤٤٢/١.

في هذا الوقت المتأخر لوجود الثقل والمشقة، وقد دلت (لولا) في الحديث على أفضلية هذا الوقت، وعلى صعوبته في الوقت نفسه، فقد "صرح بأن ترك التأخير إنما هو للمشقة ومعناه-والله أعلم- أنه خشي أن يواظبوا عليه، فيفرض عليهم ويتوهموا إيجابه، فلهذا تركه"(٦١).

٢- حرف وجود لامتناع:

وهذا إن كانت الجملتان منفيتين، نحو: لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك.

فقد امتنع الإحسان لوجود عدم قيام زيد.

وهذا النوع لم أجد له نماذج في الكتب الستة ولا في غيرها من كتب الحديث، كما أنني لاحظت عدم وروده في القرآن الكريم، مما يدل على قلته، وأعتقد أن سبب ذلك هو تركيب الحرف (لولا)، فهو مركب من (لو) و(لا)، فيشتمل في تركيبه على النفي، لذا لا يسوغ دخوله على منفي؛ وعليه فالمثال الذي ذكره المالقي لم تشتمل الجملة الأولى فيه على أداة نفي صريحة، وإنما اشتملت على السلب -سلب القيام-، وإن كان السلب فيه معنى النفي إلا أنه لم تستخدم أداة نفي صريحة؛ لأن (لولا) تشتمل على النفي في تركيبها، وأدوات النفي هي الأصل في السلب، وما عداها هو فرع لها، يقول ابن جني: "اعلم أن كل فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل فإن وضع ذلك في كلامهم على إثبات معناه لا سلبهم إيَّاه، وذلك قولك: قام، فهذا لإثبات القيام، وجلس لإثبات الجلوس، وينطلق لإثبات الانطلاق، وكذلك الانطلاق، ومنطلق: جميع ذلك وما كان مثله إنما هو لإثبات هذه المعاني لا لنفيها. ألا ترى أنك إذا أردت نفي شيء منها ألحقته حرف النفي فقلت: ما فعل، ولم يفعل، ولن يفعل (ولا تفعل) ونحو ذلك"(٦٢).

والملاحظ أن المتكلم إذا احتاج إلى نفي في الجملة الأولى بعد (لولا) فإنه يجعله داخل الجملة، لا في صدرها، وقد ورد هذا في ثلاثة مواضع في الكتب الستة، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "**والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل**"(٦٣).

فـ(لولا) في الحديث حرف وجوب لوجوب، فقد وجب التخلف عن بعض السرايا لوجود رجال من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولم يجد ما يحملهم عليه، وقد جاء النفي في إطار الجملة الأولى، وهو في جملة (**لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني**)، وكذلك الجملة المعطوفة (**ولا أجد ما أحملهم عليه**)، فلم يُعَبَّر مثلا بـ (**لولا عدم طِيب أنفس رجال من المؤمنين**)، (**وعدم وجود ما أحملهم عليه**)، واكتُفي بالنفي داخل إطار الجملة الموجبة.

ومن ذلك أيضا ما روي عن أنس بن مالك: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**"(٦٤).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجوب أو لوجود، فقد امتنعت دعوته - صلى الله عليه وسلم - الله - تعالى - أن يسمعهم من عذاب القبر لوجود الخوف من عدم التدافن، وقد جاء النفي في إطار الجملة الأولى، وهو في جملة (أن لا تدافنوا)، فلم يُعَبَّر مثلا بـ (لولا عدم التدافن)، واكتُفي بالنفي داخل إطار الجملة الموجبة.

يقول صاحب فيض القدير معلقا على الحديث: "أي: لولا خوف ترك التدافن من خوف أن يصيبكم من العذاب ما أصاب الميت (لدعوت الله أن يسمعكم)"(٦٥).

٣- حرف وجود لوجود(٦٦):

وهذا إن كانت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية، نحو: لولا زيد لم أحسن إليك، فقد وجب الإحسان لوجود زيد.

وقد وردت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية في **عشرة مواضع**، وهي المواضع المتبقية بعد مواضع الجملتين الموجبتين، ومن أمثلة ذلك ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه -أن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: "**لولا**

(٦١) شرح النووي على مسلم: ١٣٨/٥.
(٦٢) الخصائص: ٧٥/٣.
(٦٣) سنن النسائي٢٢/٢
(٦٤) صحيح مسلم: ٢٢٠٠/٤.
(٦٥) فيض القدير: ٣٤١/٥.
(٦٦) أو وجوب لوجوب.

بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها"(٦٧).

ف (لولا) في الحديث حرف وجود لوجود، فقد وُجد خنز اللحم لوجود بني إسرائيل، كما وُجدت خيانة الأنثى لزوجها لوجود تزيين حواء لآدم الأكل من الشجرة.

وقد دلت (لولا) في الحديث على أن أول من بدأ خنز اللحم هم بنو إسرائيل، وأنهم لو لم يفعلوا ذلك ما فعله غيرهم، فقد قيل إنهم "ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك"(٦٨).

كما دلت (لولا) على أن أول من بدأ بخيانة الزوج حواء؛ حيث زينت له الأكل من الشجرة، وأنها لو لم تفعل ذلك ما فعله غيرها من النساء، وليس المقصود من الخيانة هنا ارتكاب الفواحش، ويذكر ابن حجر أن في الحديث: "إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسَّنت ذلك لآدم عُدَّ ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها"(٦٩).

ومن أمثلة ورود الجملة الأولى موجبة والثانية منفية ما روي عن عدي بن الحمراء أنه رأى "**رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على ناقته واقف بالحَزْوَرَة**(٧٠)، **يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي. والله لولا أني أخرجت منك ما خرجت** "(٧١).

ف(لولا) في الحديث حرف وجود لوجود، فقد وُجد خروجه –صلى الله عليه وسلم– من مكة لوجود إخراجه منها بأمر من الله(٧٢).

وقد دلت (لولا) في الحديث على مدى حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– لمكة، وتعلق قلبه بها.

٤– حرف امتناع لامتناع:

وهذا إن كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة، نحو: لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك.

فقد امتنع الإحسان لعدم قيام زيد.

وهذا النوع –كالنوع الثاني – لم أجد له نماذج في الكتب الستة ولا في غيرها من كتب الحديث، كما أنه لم يرد في القرآن الكريم، وقد ذكرت سبب ذلك من وجهة نظري عند الحديث عن النوع الثاني.

هذا ويمكن الخلوص إلى أن دلالة لولا تتحدد بتحديد طبيعة تكوين جملتيها، ولذلك يرى الباحث أن تسمى (لولا) حسب دلالتها مع ما بعدها، حتى نتجنب تسميتها بما لا تدل عليه في سياقها، فهي تسمى (لولا) الامتناعية في كل أحوالها، على الرغم من أنها لا تتجرد للامتناع إلا في حالة واحدة، وذلك عندما تقع الجملة الأولى منفية والثانية موجبة، وتدل على الامتناع والوجود في صورتين، الصورة الأولى إذا كانت جملتاها موجبتين فتكون حرف امتناع لوجود، والصورة الثانية إذا كانت الجملتان بعدها منفيتين فتكون حرف وجود لامتناع، بينما تتجرد للدلالة على الوجود في صورة واحدة، وذلك إذا كانت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية، وبناء على ذلك يمكن تسمية (لولا) بحسب دلالتها مع جملتيها كالتالي:

أ– لولا الامتناعية الوجودية إذا كانت جملتاها موجبتين.

ب– لولا الوجودية الامتناعية إذا كانت الجملتان بعدها منفيتين.

ت– لولا الوجودية إذا كانت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية.

ث– لولا الامتناعية إذا كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة.

أحوال جواب (لولا) من حيث اقترانه بلام التوكيد:

ذكر النحاة لجواب (لولا) من حيث اقترانه بلام التوكيد مع وجود نفي للجواب أو إثبات خمسة أحوال كالتالي:

(٦٧) صحيح البخاري: ١٢١٢/٣، وخنز اللحم: نتانته، انظر لسان العرب: مادة خنز.

(٦٨) فتح الباري – ابن حجر: ٣٦٧/٦.

(٦٩) فتح الباري: ابن حجر: ٣٦٨/٦.

(٧٠) على وزن القَسْوَرَة موضع بمكة، وبعضهم شددها، والحزورة في الأصل بمعنى التل الصغير سميت بذلك لأنه كان هناك تل صغير، وقيل لأن وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد كان ولي أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحا كان هناك، وجعل فيها أمة يقال لها حزورة ؛ فسميت حزورة مكة بها. تحفة الأحوذي: ٢٩٤/١٠.

(٧١) سنن ابن ماجه: ١٠٣٧/٢.

(٧٢) انظر تحفة الأحوذي: ٢٩٤/١٠.

١- جواب (لولا) ماض مثبت، مقترن باللام:

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾(٧٣).

فـ(كنا) فعل ماض جواب (لولا)، وقد اقترن بلام التوكيد.

وقد ورد جواب (لولا) ماضيا مثبتا مقترنا باللام في **ثلاثة وأربعين موضعا** في أحاديث الكتب الستة، فمن ذلك ما روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه -أن عليا- رضي الله عنه -قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم-من اليمن فقال: "(بم أهللت). قال: بما أهل به النبي-صلى الله عليه وسلم-. فقال - صلى الله عليه وسلم -: "**لولا أن معي الهدي لأحللت**"(٧٤).

فـ" أحللت" فعل ماض مثبت، وقع جوابا لـ (لولا)، وقد اقترن بلام التوكيد.

٢- جواب (لولا) ماض منفي:

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾(٧٥).

فجواب (لولا) "ما زكى" وهو ماض منفي بما.

وقد ورد جواب (لولا) ماضيا منفيا بـ(ما) في **سبعة مواضع** في أحاديث الكتب الستة، وكلها من مواضع وقوع (لولا) حرف وجوب لوجود، ومن ذلك ما روي عن أنس بن مالك — رضي الله عنه -أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم -قال: "**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم. ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها، وإنها لتدعو الله عز و جل أن لا يعيدها فيها**"(٧٦).

فجواب (لولا) (ما انتفعتم)، وهو ماض منفي بـ(ما).

٣- جواب (لولا) ماض مثبت خال من اللام:

وهذا قليل، وقد مثلوا له بقول ابن مقبل:

لولا الحياءُ، ولولا الدينُ، عبتُكما

ببعضِ ما فيكُمَا، إذْ عِبتُما عَوَرِي(٧٧)

فقد جاء جواب (لولا) "عبتكما" خاليا من لام التوكيد وهذا قليل، وقد قيل: إن حذف اللام من جواب (لولا) ضرورة(٧٨).

ولم يرد جواب (لولا) ماضيا مثبتا خاليا من اللام في أحاديث الكتب الستة إلا في موضعين، فالموضع الأول هو ما رواه أبو سعيد الخدري: " أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - صلى بنا صلاة المغرب، ثم لم يخرج حتى ذهب شطر الليل، فخرج، فصلى بهم، ثم قال: "إن الناس قد صلوا وناموا، وأنتم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة، **ولولا الضعيف أحببت أن أؤخر هذه الصلاة إلى شطر الليل**"(٧٩).

فقد جاء جواب (لولا) "أحببت" ماضيا مثبتا خاليا من اللام.

والموضع الثاني الذي جاء فيه جواب (لولا) ماضيا مثبتا خاليا من اللام في الحديث الذي رواه أبو أمامة: "أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - امرأة معها صبيان لها. قد حملت أحدهما وهي تقود الآخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حاملات والدات رحيمات. "**لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة**"(٨٠).

فقد جاء جواب (لولا) "دخل" ماضيا مثبتا خاليا من اللام.

٤- جواب (لولا) ماض منفي بما مقترن باللام:

وهذا كقول الشاعر:

لولا رجاء لقاء الظاعنين لما

أبقت نواهم لنا روحا، ولا جسدا(٨١)

فجواب (لولا)"لما أبقت" ماض منفي بما مقترن باللام(٨٢).

ولم يرد جواب (لولا) ماضيا منفيا مقترنا باللام في أحاديث الكتب الستة، ولم أعثر له على مثال في كتب الأحاديث، كما أنه لم يرد في القرآن الكريم.

٥- جواب (لولا) مضارع منفي بـ(لم):

وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع، منها ما روي عن عبد الله بن عمر قال: "أقبل علينا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. فقال: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم

(٧٣) سورة سبأ: الاية ٣١.
(٧٤) صحيح البخاري:٢/٥٦٤.
(٧٥) سورة النور: الآية: ٢١.
(٧٦) سنن ابن ماجه: ٢/١٤٤٤.
(٧٧) البيت من البسيط، انظر تهذيب اللغة: ١/١٥٥، ولسان العرب: ٧/١١٩، وقد ورد في الجنى الداني في حروف المعاني:١/١٠٢. (وباقي الدين) بدلا من (ولولا الدين).
(٧٨) انظر الجنى الداني في حروف المعاني: ١/١٠٢.
(٧٩) سنن ابن ماجه: ١/٢٢٦.
(٨٠) سنن ابن ماجه: ١/ ٦٤٨.
(٨١) البيت من البسيط. انظر الجنى الداني في حروف المعاني: ١/١٠٢، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك:١/٣٨٤.
(٨٢) انظر أنواع جواب لولا شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١/٣٨٤.

بهنَّ-وأعوذ بالله أن تدركوهن- لم تظهر الفاحشة في قوم قط. حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، **ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في بأيديهم**"(٨٣).

فجواب (لولا) (لم يمطروا)، وهو مضارع منفي بـ(لم).

الحذف بعد (لولا):

أولاً: حذف الخبر بعد (لولا):

الاسم الواقع بعد (لولا) يعرب مبتدأ على مذهب البصريين، والخبر يكون محذوفا وجوبا إذا كان كونا عاما على مذهب الجمهور، يقول المرادي: "فلولا... حرف ابتداء، والاسم بعدها مرفوع بالابتداء عند أكثر النحويين. ثم اختلفوا في خبره، فقال الجمهور: هو محذوف، واجب الحذف مطلقًا. ولا يكون عندهم إلا كونا مطلقا. فإذا أريد الكون المقيد جعل مبتدأ، نحو: لولا قيام زيد لأتيتك. ولا يجوز لولا زيد قائم. ولذلك لحنَّوا المعري، في قوله:

يُذِيبُ الرُّعْبُ منه كُلَّ عضْبٍ
فلَولا الغِمْدُ يُمسِكه لسالا(٨٤)

قلت: وتأوَّله بعضهم، على أن يمسكه حال. ورد بأن الأخفش حكى عن العرب أنهم لا يأتون بعد الاسم الواقع بعد (لولا) الامتناعية، بالحال، كما لا يأتون بالخبر. وتأوله بعضهم على تقدير أن، والتقدير: فلولا الغمد أن يمسكه. وأعربه بدلا، أي: لولا إمساكه"(٨٥).

وقد ذكر ابن هشام رأيا غريبا نسبه لابن الطراوة، حيث يرى " أن جواب (لولا) أبدا هو خبر المبتدأ ويرده أنه لا رابط بينهما"(٨٦).

وقد فصل السيوطي القول في خبر الاسم الواقع بعد (لولا) بقوله: "إن كان خبر ما بعدها كونا مطلقا فالحذف واجب، وعليه جاء التنزيل وأكثر الكلام، وإن كان كونا مقيدا فلا يخلو: إما أن يدل عليه دليل أو لا، فإن لم يدل عليه دليل وجب ذكره، نحو قوله عليه السلام: "لولا قومك حديثو عهد بكفر"،...وإن دل عليه دليل جاز الذكر والحذف، نحو: لولا زيد لغلبنا، أي شجاع، وعليه بيت المعري المتقدم"(٨٧).

وعلى ذلك نستطيع تقسيم أحوال الاسم الواقع بعد (لولا) من حيث الذكر والحذف إلى ثلاثة أقسام:

١- واجب الحذف إذا كان كونا مطلقا.

وقد ورد حذف الخبر وجوبا بعد (لولا)؛ لأنه كون مطلق في الكتب الستة في كل المواضع ما عدا موضعا واحدا جاء فيه الخبر كونا مقيدا، ولم يدل عليه دليل.

ومن أمثلة حذف الخبر وجوبا بعد (لولا) لأنه كون مطلق في الكتب الستة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "**للعبد المملوك الصالح أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك**"(٨٨).

فالخبر بعد (لولا) محذوف وجوبا لأنه كون مطلق، والتقدير: لولا الجهاد موجود أو أجره كبير، وقد دلت (لولا) في الحديث على أهمية الجهاد في سبيل الله والحج والبر، كما دلت على عظم أجر العبد المملوك الصالح.

ومن أمثلة حذف الخبر وجوبا بعد (لولا) لأنه كون مطلق ما رواه جابر بن عبد الله حيث قال: أهللنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحج خالصا لا يخالطه شيء، فقدمنا مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة، فطفنا، وسعينا، ثم أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نحل، وقال "**لولا هديي لحللت**"(٨٩).

فجواب (لولا) محذوف وجوبا لأنه كون مطلق، والتقدير: لولا هديي مسوق أو موجود، لقوله – صلى الله عليه وسلم – في رواية أخرى: "**افعلوا ما آمركم به فإني لولا أني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدي محله**"(٩٠).

(٨٣) سنن ابن ماجه: ١٣٣٢/٢.

(٨٤) البيت من الوافر، وقد ورد في الجنى الداني في حروف المعاني: ١٠٢/١، وأوضح المسالك: ٢٢١/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٣٠٧/١. ومغني اللبيب: ٣٦٠/١. و شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١٠٦/١.

(٨٥) الجنى الداني في حروف المعاني: ١ / ١٠٢. وانظر مغني اللبيب: ١ /٣٦٠.

(٨٦) مغني اللبيب: ٣٦٠/١.

(٨٧) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٣٠٧/١، وانظر أوضح المسالك: ٢٢٠/١.

(٨٨) صحيح البخاري: ٩٠٠/٢.

(٨٩) سنن أبي داود: ٥٥٥/١.

(٩٠) صحيح مسلم: ٨٨٣/٢.

٢- واجب الذكر إذا كان كونا مقيدا، ولم يدل عليه دليل:

وقد ورد ذكر الخبر وجوبا بعد (لولا) لأنه كون مقيد، ولم يدل عليه دليل في الكتب الستة في موضع واحد، وهو الحديث الذي استشهد به النحاة على وجوب ذكر الخبر بعد (لولا) إذا وقع كونا مقيدا ولم يدل عليه دليل.

وهو الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-أن النبي صلى الله عليه وسلم – قال: "**يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم، -قال ابن الزبير-بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون**"(٩١).

فـ(حديث عهدهم) خبر واجب الذكر لأنه كون مقيد، ولم يدل عليه دليل.

٣- جائز الذكر والحذف إذا كان كونا مقيدا، وقد دل عليه دليل.

ولم أعثر على الخبر بعد (لولا) كونا مقيدا، وقد دل عليه دليل في الكتب الستة. ومنه بيت أبي العلاء السابق، ومن أمثلته – أيضا – "لولا أنصار زيد حموه ما سلم". فـ(حموه) كون مقيد دل عليه دليل، وهو كلمة (أنصار)؛ لأن الأنصار من شأنهم الحماية، لذلك يجوز حذفه، فنقول: "لولا أنصار زيد ما سلم".

ثانيا: حذف جواب (لولا):

إذا دل دليل على جواب (لولا) جاز حذفه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾(٩٢). فالتقدير لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة ولعاجلكم بالعقوبة أو لأهلككم(٩٣).

وقد ورد حذف جواب (لولا) في الكتب الستة في **سبعة مواضع**(٩٤).

فمن ذلك ما رواه ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – "أخر العشاء ذات ليلة حتى ذهب من الليل، فقام عمر – رضي الله عنه – فنادى: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والولدان، فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –والماء يقطر من رأسه، وهو يقول: **إنه الوقت لولا أن أشق على أمتي**"(٩٥).

فجواب (لولا) محذوف لأنه قد دل عليه دليل وهو قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-: (إنه الوقت)، والتقدير: لجعلت هذا الوقت وقت العشاء.

ومن ذلك –أيضا– ما روي عن قيس بن بشر التغلبي، قال أخبرني أبي – وكان جليسا لأبي الدرداء –قال:" كان بدمشق رجل من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يقال له ابن الحنظلية، وكان رجلا متوحدا قلما يجالس الناس إنما هو في صلاة، فإذا فرغ فإنما هو في تسبيح وتكبير حتى يأتي أهله، فمر بنا ونحن عند أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء...كلمة تنفعنا ولا تضرك قال: قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "**نعم الرجل خريم الأسدي لولا طول جمته، وإسبال إزاره " فبلغ ذلك خريما، فعجل، فأخذ شفرة، فقطع بها جمته إلى أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه**"(٩٦).

فجواب (لولا) محذوف لأنه قد دل عليه دليل، وهو قول الرسول – صلى الله عليه وسلم -: (نعم الرجل خريم الأسدي)، والتقدير: (لكان نعم الرجل).

المبحث الثالث: (لولا) التحضيضية

تختص (لولا) التحضيضية بالدخول على الأفعال، وكذلك باقي حروف التحضيض، و(لولا) في دخولها على الأفعال لها ثلاث حالات:

١- أن يذكر الفعل بعدها،وقد يكون ماضيا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(٩٧).

كما يكون مضارعا نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾(٩٨)

---

(٩١) صحيح البخاري:١/٥٩، وقد ورد هذا الحديث بعدة روايات مختلفة، وهي: لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة، لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم، لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت، لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، لولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت.

(٩٢) سورة النور: الآية: ١٠.

(٩٣) الإنصاف في مسائل الخلاف:٢/٤٦١، والجنى الداني في حروف المعاني:١/١٠٢، ومغني اللبيب:١/٨٥٠.

(٩٤) وقد ذكرت قبل أن جواب (لولا) قد ورد ماضيا مثبتا مقترنا باللام في ثلاثة وأربعين موضعا في أحاديث الكتب الستة، وقد ورد ماضيا منفيا في عشرة مواضع، وقد ورد ماضيا مثبتا خاليا من اللام في موضعين، يتبقى من مواضع ورود (لولا) سبعة مواضع قد حُذف فيها الجواب.

(٩٥) سنن النسائي: ١/٢٦٦.

(٩٦) سنن أبي داود: ٢/٤٥٥. والجمة: الشعر يجاوز شحمة الأذن.

(٩٧) سورة الفرقان: ٢١.

(٩٨) سورة الواقعة: ٧٠.

٢- أن يحذف الفعل بعدها ويفسره السياق، وهذا حين يليها اسم معمول لفعل مقدر: وذلك نحو: "لولا السنة اتبعتَها"

٣- أن يليها اسم معمول لفعل مؤخر، نحو: "لولا زيدًا ضربت"

يقول المرادي عن (لولا) إنها: "تختص بالأفعال، ويليها المضارع، نحو "فلولا تشكرون" والماضي، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾(٩٩). وقد يليها اسم معمول لفعل مقدر، نحو: لولا زيدا ضربته، أو معمول لفعل مؤخر، نحو: لولا زيدا ضربت"(١٠٠).

ويقول الرضي:"وحرف التحضيض لا يدخل إلا على الأفعال بالاستقراء، وقد يقدر الفعل بعدها، إما مفسرا كما في قولك: هلا زيدا ضربته، أو غير مفسر كما في قوله:

تَعُدُّون عَقْر النِّيبِ أفضلَ مجدكم
بَنِي ضَوْطَرَى لولا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا"(١٠١)

أي: لولا تعدون الكمي، أو لولا تبارزون الكمي.

دلالات (لولا) التحضيضية:

إذا دخلت (لولا) على الفعل الماضي أفادت التنديم، وإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت السؤال، والتحضيض، يقول السكاكي:" الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض وهي: هلا وألا ولولا ولوما مأخوذة منهما مركبة مع (لا) و(ما) المزيدتين مطلوبا بالتزام التركيب التنبيه على إلزام (هل) و(لو) معنى التمني، فإذا قيل:هلا أكرمت، أو ألا بقلب الهاء همزة أو لولا أو لوما فكأن المعنى ليتك أكرمت متولدا منه معنى التنديم، وإذا قيل هلا تكرم أو لولا فكأن المعنى ليتك تكرمه متولدا منه معنى السؤال"(١٠٢).

ويذكر ابن هشام أن (لولا) تكون للتحضيض والعرض، فتختص بالمضارع أو ما في تأويله نحو ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾(١٠٣) ونحو ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(١٠٤) والفرق بينهما أن التحضيض طلب بحث وإزعاج والعرض طلب بلين وتأدب "(١٠٥)، وقال الشيخ عبد الغني الدقر: "العَرض" الطلبُ برفق، و"التحضيض" الطَلَب بشدَّة"(١٠٦).

كما ذكر ابن هشام أنها تكون للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي نحو ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾(١٠٧).

ويذكر الشيخ مصطفى الغلاييني الفرق بين التحضيض والتنديم، ويتمثل في " أن هذه الأحرف إن دخلت على المضارع فهي للحض على العمل وترك التهاون به، نحو: "هلا يرتدع فلان عن غيه...، لولا تستغفرون الله..، وإن دخلت على الماضي كانت لجعل الفاعل يندم على فوات الأمر وعلى التهاون به، نحو "هلا اجتهدت"، تقرعه على إهماله، وتوبخه على عدم الاجتهاد، فتجعله يندم على ما فرط وضيع. ومنه قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾(١٠٨).

(لولا) التحضيضية في الكتب الستة:

وردت (لولا) التحضيضية في موضعين في الكتب الستة، وهناك موضع ثالث محتمل أن تكون امتناعية، وأن تكون تحضيضية وذلك كما يلي:

الموضع الأول:

ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري: "أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذا يصلي، فترك ناضحه، وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه، فأتى النبي-صلى الله عليه وسلم-، فشكا إليه معاذا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يا معاذ أفتان أنت!. أو (فاتن) ثلاث مرات **"فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف**

(٩٩) سورة التوبة: ١٢٢.
(١٠٠) الجنى الداني في حروف المعاني:١/١٠٣.
(١٠١) شرح الرضي على الكافية:١/٤٧٠. والبيت من الطويل، وهو لجرير، انظر لسان العرب: جـ٤/ ص٤٨٩، والخصائص: ٢/٤٥. و شرح ابن عقيل:٤/٥٨.
(١٠٢) مفتاح العلوم: ١/١٣٨.
(١٠٣) جزء الآية من سورة النمل:٤٦.
(١٠٤) جزء الآية من سورة المنافقين:١٠.
(١٠٥) مغني اللبيب: ١/٣٦١، وقد ذكر ابن هشام أن بعضهم يرى أن (لولا) في قوله – تعالى: (لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) استفهامية، وقد رد عليه بأنها للعرض.
(١٠٦) معجم القواعد العربية:٢/٨٥.
(١٠٧) مغني اللبيب: ١/٣٦١.وجزء الآية من سورة النور:١٣.
(١٠٨) جزء الآية من سورة الأحقاف:٢٨ ونص الشيخ مصطفى الغلاييني في جامع الدروس العربية:١/٨٣،وانظر تفصيل القول في:التنديم حروفه واستعمالاته في العربية بين تنظير اللغويين وتطبيق المفسرين دراسة تحليلية للباحث منشوره في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط جامعة الأزهر العدد ٢٧،١٤٢٩هـ _٢٠٠٨م.

وذو الحاجة "(١٠٩).

فـ(لولا) في الحديث تفيد التنديم واللوم على الإطالة في الصلاة؛ لأن الفعل بعدها جاء ماضيا.

الموضع الثاني:

ما رواه صفوان بن أمية: أن رجلا سرق برده، فرفعه إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فأمر بقطعه، فقال: يا رسول الله قد تجاوزت عنه. قال:"**فلولا كان هذا قبل أن تأتيني به يا أبا وهب، فقطعه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–**"(١١٠).

فـ(لولا) في الحديث تفيد التنديم على الصفح عن السارق بعد تحكيم الرسول– صلى الله عليه وسلم –؛ لأنه قال في حديث آخر: "**تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب**"(١١١).

الموضع الثالث:

وهو الموضع الذي يحتمل كون (لولا) فيه حرف امتناع، ويحتمل كونها حرف تحضيض، وهو الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "**مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون، ويقولون لولا موضع اللبنة**"(١١٢).

فقد علق الإمام ابن حجر بقوله: "(موضع اللبنة) بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره محذوف: أي لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا، ويحتمل أن تكون (لولا) تحضيضية وفعلها محذوف تقديره لولا أكمل موضع اللبنة"(١١٣).

نتائج الدراسة

وبعد: فقد أفضت هذه الرحلة الاستقرائية والإحصائية مع (لولا) إلى نتائج أبرزها ما يلي:

١– رجحت الدراسة أن (لولا) تتركب من (لو) و(لا)، واستُدل على ذلك بدليلين.

٢– بعد عرض خلاف النحاة حول العامل في الاسم المرفوع بعد(لولا)، رجحت الدراسة رأي البصريين، واستدلت على ترجيحه بثلاثة أدلة.

٣– قدمت الدراسة إحصائية لورود (لولا) الامتناعية في الكتب الستة، حيث وردت في اثنين وستين موضعاً.

٤– جاء الاسم الواقع بعد (لولا) في الكتب الستة على ثلاثة أنواع، حيث وقع اسما صريحا في خمسة عشر موضعا، ومصدرا مؤولا بالصريح في ثلاثة وأربعين موضعا، وقد اتخذ المصدر المؤول بالصريح صورتين، أما الصورة الأولى فتتمثل في وروده مصدرا مؤولا من (أنْ) والفعل المضارع، وقد وقع هذا في اثنين وعشرين موضعا، وأما الصورة الثانية فتتمثل في وروده مصدرا مؤولا من (أنَّ) وجملتها، وقد وقع هذا في واحد وعشرين موضعا، وجاء النوع الثاني للاسم الواقع بعد (لولا) اسما مبهما في موضعين، كما جاء النوع الثالث للاسم الواقع بعد (لولا) ضميرا منفصلا في موضعين.

٥– دلالة(لولا) تتحدد بتحديد طبيعة تكوين جملتيها، ولذلك اقترحت الدراسة أن تسمى (لولا) بحسب دلالتها على ما بعدها، تجنباً لتسميتها بما لا تدل عليه في سياقها.

٦– عللت الدراسة قلة ورود صورتين من صور (لولا)، الصورة الأولى إذا كانت الجملتان بعدها منفيتين، والصورة الثانية إذا كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة بأن تركيب الحرف (لولا) يشتمل على نفي، بدليل أن المتكلم إذا احتاج إلى نفي في الجملة الأولى بعد (لولا) فإنه –في الغالب– يجعله داخل الجملة، لا في صدرها.

٧– أحصت الدراسة أحوال جواب لولا من حيث اقترانه بلام التوكيد في الكتب الستة، حيث ورد جواب (لولا) ماضيا مثبتا مقترنا باللام في ثلاثة وأربعين موضعا، وقد ورد ماضيا منفيا في سبعة مواضع، كما ورد ماضيا مثبتا خاليا من اللام في موضعين، وورد مضارعاً منفياً بـ(لم) في ثلاثة مواضع ولم يرد جواب لولا ماضيا منفيا مقترنا باللام في أحاديث الكتب الستة.

٨– حذف الخبر وجوبا بعد (لولا)؛ لأنه كون مطلق ورد في الكتب الستة في كل المواضع ما عدا موضعا واحدا جاء فيه الخبر كونا مقيدا، ولم يدل عليه دليل.

٩– أحصت الدراسة مواضع حذف جواب (لولا) في

(١٠٩) صحيح البخاري:١/٢٤٩. و(ناضحين) مثنى ناضح، وهو ما استعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل . اللسان : نضح.
(١١٠) سنن النسائي: ٨/٦٨.
(١١١) سنن أبي داود: ٢/٥٣٨، والراوي عمرو بن العاص.
(١١٢) صحيح البخاري: ٣/١٣٠٠.
(١١٣) فتح الباري : ٦/٥٥٩.

الكتب الستة، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع.

١٠- لم ترد (لولا) التحضيضية في الكتب الستة إلا في موضعين وهناك موضع ثالث يحتمل أن تكون (لولا) فيه امتناعية، وأن تكون تحضيضية.

قائمة المراجع

١. أسرار العربية لعبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢. الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت،ط٣، ١٩٨٨م.

٣. إعراب لامية الشنفرى لأبي البقاء العكبري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين:لأبي البركات الأنباري، دار الفكر — دمشق.

٥. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، دار الجيل، بيروت،ط٥، ١٩٧٩ م.

٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧. التنديم حروفه واستعمالاته في العربية بين تنظير اللغويين وتطبيق المفسرين دراسة تحليلية ليحيى الحكمي مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط جامعة الأزهر العدد ٢٧، ١٤٢٩هـ _٢٠٠٨م.

٨. تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق عبد السلام هارون و"آخرون"،الدار المصرية لتأليف والترجمة، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٧٦م.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠. جامع الدروس العربية للشيخ العلامة مصطفى الغلاييني، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

١١. -الجامع الصحيح المختصر للبخاري الجعفي، دار ابن كثير،اليمامة،بيروت،ط٣، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.

١٢. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي،تحقيق: طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

١٣. حاشية السندي على النسائي لنور الدين بن عبد الهادي أبي الحسن السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٤. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب، بيروت.

١٥. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق:علي محمد معوض و"آخرون"، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٦. سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان لابن جني، لدار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٧. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٨. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، د.ت.

١٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٢٠. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر - دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.

٢١. شرح سنن ابن ماجه للسيوطي،قديمي كتب خانة،كراتشي،د.ت.

٢٢. - شرح الكافية، للرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٣. الصحاح في اللغة للجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٢٤. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

٢٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي، ط١،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٢٦. فتح الباري لابن رجب المكتبة الشاملة الإلكترونية.
٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٨. -فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
٢٩. الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٣٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار النشر/ دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣١. لسان العرب لابن منظور، دار صادر — بيروت، ط١، د.ت.
٣٢. المجتبى من السنن لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية،حلب،ط٢، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.
٣٣. المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
٣٤. معجم القواعد العربية للشيخ عبد الغني الدقر، المكتبة الشاملة الإلكترونية.
٣٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، دار الفكر، بيروت،ط٦، ١٩٨٥م.
٣٦. مفتاح العلوم للسكاكي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، د.ت.
٣٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

Without: its Provisions and its Significance in the Hadith An Empirical Study in the Six Books

Y. M. Hakami

Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Jazan University, K.S.A.

Abstract

This study deals both analytically and statistically with the article "without" in three chapters. The first presents its form and how grammarians are divided over it; and while the second introduces its prohibitive function، the third introduces its urging function.

The study presents the theoretical and practical aspects of "without". First، it reviews its theoretical rules as discussed by grammarians، then، later، the rules are applied to the texts of the glorious Hadith in its six main books. The study gives more weight to Basra grammarians' views about: the way "without" governs its following noun; and the three variants of this noun; how the meaning of without is being defined according to its context; and how the answer in its sentences are being classified and specified. Besides، the study presents an accurate statistical frequency of the article with its types in the six books of Hadith.

Keywords: Without- form- prohibition- deletion- answer- negation- necessity- existence.

Email: dr.yahya@windowslive.com

الصراع الإسلامي الصليبي في معركة البلاط (ساحة الدم) ٥١٣هـ/١١١٩م

عائشة بنت مرشود الحربي
قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

في هذا البحث سنقف على أحداث معركة "البلاط" التي وقعت سنة ٥١٣هـ/١١١٩م بين الجانبين الإسلامي والصليبي، وتعتمد دراستنا لهذه المعركة على عدة محاور من أهمها الأوضاع السياسية في مدينة حلب قبيل المعركة، وسنوضح أهمية موقع حلب، والجهود الإسلامية لإنقاذها، التي كانت أحدى نتائجه وقوع "معركة البلاط"، وانتصار المسلمين فيها على الصليبيين وسنوضح في هذه الدراسة الخطة العسكرية التي وضعها المسلمون خلال القتال، وأهم العوامل التي ساعدت على انتصارهم، ونتائج هذه المعركة. وختم البحث بالحديث والتحليل عن أسباب عدم سيطرة "إيلغازي" على أنطاكية مع أن الفرصة كانت متاحة له بشكل كبير. فضلاً عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تلك الدراسة.

الكلمات المفتاحية: حلب – ألب أرسلان – لؤلؤ الخادم – محمد ملكشاه – تل دانيث – الأراتقة – بلدوين الثاني– تل عفرين – البلاط – أنطاكية.

مُقدّمة

شهد تاريخ الحروب الصليبية –الذي امتد لمدة قرنين من الزمان في أواخر القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري (من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي)– كثيرا من المعارك الحاسمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كتب النصر في بعضها — بإذن الله — للمسلمين، وهذا النصر بدوره أسفر عن نتائج بعيدة المدى.

في هذا البحث سنقف على أحداث معركة "البلاط" التي وقعت سنة ٥١٣هـ/١١١٩م بين الجانبين الإسلامي والصليبي، وقد عرفت عند مؤرخي الحروب الصليبية "بساحة الدم". Ager sanguini

تعتمد دراستنا لهذه المعركة على عدة محاور من أهمها الأوضاع السياسية في مدينة حلب قبيل المعركة، إذ أسهمت الأوضاع السيئة فيها إلى ازدياد الصراع بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كما سنوضح أهمية موقع حلب، والذي يعد بمثابة الهدف الأساس للتنافس على الفوز بها، كما سنقف على تضافر الجهود الإسلامية لإنقاذ حلب، التي كان أحد نتائجها وقوع "معركة البلاط" سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، وانتصار المسلمين فيها على الصليبيين وسنوضح في هذه الدراسة الخطة العسكرية التي وضعها المسلمون خلال القتال، وأهم العوامل التي ساعدت على انتصارهم، ونتائج هذه المعركة.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة عن هذه المعركة تتلخص في: إيضاح أهمية السيطرة على المواقع والمدن الإستراتيجية لأي قوة سياسية تتطلع أن يكون لها نقطة ارتكاز في المنطقة التي تتطلع للسيطرة عليها إذا واتتها الفرصة المناسبة، وإدراك صدى توحيد الجبهة الإسلامية الداخلية، وأثرها في دحر العدوان الخارجي، فضلاً عن التأكيد على مبدأ أن النصر الحقيقي ليس الذي يتحقق على ساحة المعركة ساعة اللقاء والالتحام بل هو ما يتوطد بعد ذلك من فتح وتثبيت لدعائم ذلك النصر. وقد حرصت أثناء كتابة هذا البحث بأن أطلع على كتابات المؤرخين السابقين والمحدثين، وذلك حتى أقف على النقاط التي كانت مثارًا للتساؤل والتحليل، كي أدلي برأيي العلمي فيها، وفي الوقت ذاته أطرح ما لدي من إيضاح وتساؤلات حول بعض الجوانب التي لم يتطرق إليها من سبقني من الباحثين الذين تناولوا تلك المعركة في خضم حديثهم عن أحداث تاريخية أُخرى، ولم تكن المعركة نفسها في

البريد الإلكتروني: ay.1430@hotmail.com
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

صميم حديثهم، وفي النهاية ختمت البحث بالحديث والتحليل لأسباب عدم سيطرة "إيلغازي" على أنطاكية مع أن الفرصة كانت متاحة له بشكل كبير. فضلاً عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تلك الدراسة.

الأوضاع السياسية في حلب قبيل معركة البلاط

كانت حلب هدفًا لأطماع الصليبيين منذ قدومهم إلى الشام، وبخاصة إمارة أنطاكية الصليبية[١] التي كانت حلب تقع في شرقها،وفي متناول هجماتها[٢].

هذا فضلاً عن أنها كانت ذات أهمية بالغة لمن يريد مجابهة الصليبيين وإيقاف خطرهم، فإن موقعها يسمح لها بالاتصال بالقوى الإسلامية التركمانية المنتشرة في الجزيرة والفرات والأناضول وشمالي الشام وأواسطه مما يعد أساسًا حيويًا لاستمرار حركة الجهاد وتحقيق أهداف حاسمة ضد الصليبيين. لذاكانت مدينة حلب للمسلمين طريقا عريضا، في حركة الجهاد ضد الصليبيين. بالإضافة إلى ما كانت تتمتع به حلب من مركز إستراتيجي حيوي من النواحي البشرية والعسكرية والسياسية والاقتصادية وإشرافها على خطوط المواصلات، فهي تقع في مركز وسط حصين بين إمارتين صليبيتين هما الرها[٣] وأنطاكية[٤].

من العرض السابق لأهمية حلب نجد أنها كانت بمثابة الصفقة الرابحة لمن يسيطر عليها من الجانبين الإسلامي أو الصليبي على حد سواء.

وكان من الطبيعي أن يشتد التنافس للسيطرة على حلب، ولاسيما أن أوضاعها الداخلية قد شجعت على ذلك، وخاصة عندما توفي الأمير "رضوان بن تتش" حاكم حلب سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م. وترك ولدين هما "ألب أرسلان" و"سلطان شاه"، ونظرًا لصغر سنهما فقد كان الوصي عليهما الأتابك "لؤلؤ الخادم"، والذي عرف بطيشه وسوء تدبيره[٥]، فحكم حلب باسم "ألب أرسلان" الذي كانت سياسته قائمة على الانتقام وحب الانفراد بالسلطة.

وعن ظروف حلب في عهد "ألب أرسلان" نستطيع أن نقول: إن الخطر الصليبي كان يحيط به من الخارج، إضافة إلى تحكم "لؤلؤ الخادم" بالأمور دونه، لذا رأى أنه لابد من الاعتماد على الأتابك" طغتكين "(٤٩٧-٥١١هـ/١١٠٣-١١١٧م) في دمشق لحسن رأيه وتدبيره، فضلاً عن خبرته العسكرية الواسعة المدى[٦].

وما إن وجه "ألب أرسلان" الدعوة "لطغتكين" للقدوم إلى حلب، حتى سارع بتلبية الدعوة.

وكان من نتيجة قدوم طغتكين على حلب وحاكمها "ألب أرسلان" أن أتاح فرصة لإصلاح أحوالها، لكن مما يؤسف له أن "ألب أرسلان" أراد استغلال وجود"طغتكين "لتدعيم سلطته دون اعتبار للمصلحة العامة فشرع بقتل كل من يراه منافسًا له أو يشك به[٧].

ولنا أن نقف عند موقف "طغتكين" وأهل حلب من تصرفات وسياسة "ألب أرسلان" السابقة.

في الحقيقة استاء "طغتكين" من سوء تصرفات "ألب أرسلان "لذا قفل راجعًا إلى دمشق، وفي الوقت ذاته قام" لؤلؤ الخادم" بالاتفاق مع بعض أمراء حلب على التخلص من "ألب أرسلان"، فتم قتله سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م[٨].

سارت الأوضاع في مدينة حلب نحو الأسوأ، فقد نصب "لؤلؤ الخادم" "سلطان شاه".

—الابن الثاني لرضوان— حاكمًا على حلب، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز ست سنوات[٩]، إذ كان يهدف إلى أن تظل الأمور بيده، لكن أوضاع حلب الداخلية ازدادت تدهورًا، بسبب وقوع كثير من الأراضي والقرى الزراعية المحيطة بالمدينة تحت سيطرة الصليبيين، كما

(١) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها. انظر الحموي: معجم البلدان، المجلد الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت)، صـ ٢١٣.

(٢) عبد الغني زهرة :الهدن والمفاسخات، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م. صـ ٣٩.

(٣) الرها: من ديار مضر وهي مدينة رومية عظيمة فيها آثار عجيبة وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي عن الفرات. انظر أبو الفدا: تقويم البلدان، باريس، ط ١٨٥٠م، صـ ٢٧٧.

(٤) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م. ، صـ ٢٣٤ — ٢٣٥.

(٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت)، صـ ١٨٩، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، طبعة دمشق، ١٩٥١م، ج٢، صـ ١٦٧.

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، صـ ١٧٠، وإبراهيم المزيني: إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م، صـ ١٦٢.

(٧) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، صـ ١٧٠ — ١٧١.

(٨) ابن القلانسي: ذيل، صـ ١٩١.

(٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م، ج١٠، صـ ٥٠٨.

انقطعت عنها القوافل التجارية التي كانت تحمل الأغذية والبضائع، وذلك لانعدام الأمن في الطرق المؤدية إليها(١٠).

حاول "لؤلؤ الخادم" أن يصلح من الوضع المتدهور في حلب، فعمد إلى طلب الاستغاثة والعون العسكري من الأمراء المسلمين وفي مقدمتهم "طغتكين" حاكم دمشق، وأبدى "لؤلؤ الخادم" استعداده لتسليم حلب لمن يسارع إلى نجدته أولاً، لكن لم يجبه أحد، وتركوا "لؤلؤ الخادم" وحيدًا في خضم الأحداث الداخلية والخارجية(١١).

تفسر الباحثة موقف الأمراء المسلمين بأنهم في هذه الفترة انشغلوا في خلافاتهم الداخلية مع بعضهم البعض، فضلاً عن كثرة هجمات الصليبيين على الأراضي الإسلامية، وهذا يتطلب في المقام الأول من كل أمير مسلم أن يدفع الخطر الصليبي عن بلاده، هذا بالإضافة إلى عدم ثقتهم بوعود "لؤلؤ الخادم" لهم، وبخاصة بعد ما رأوا سوء صنيعه بأبناء رضوان.

في الواقع لم يجد "لؤلؤ" سبيلاً أمامه سوى الاستنجاد بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٨م)، ووعده بتسليمه حلب وخزائنها نظيرًا لمساعدته، لذا استجاب له السلطان "محمد بن ملكشاه" سريعًا، لكن "لؤلؤ الخادم" ما لبث أن راودته المخاوف إذ أدرك بأنه لن ينال شيئًا من حلب إذا دخلها السلطان، لذا كان لزامًا عليه أن يستدرك خطأه لتظل حلب في قبضته(١٢). كما أن استغاثته بالسلطان "محمد السلجوقي" ليست إلا على سبيل المغالطة والخداع كي يستفيد من عنصر الزمن ويوهم أنه لا يريد الإمارة لنفسه(١٣).

ولذا سارع "لؤلؤ الخادم" بالاتصال "بطغتكين" حاكم دمشق، ووعده أن يسلمه حلب على أن يعوضه بأقطاع من أعمال دمشق، فوافق "طغتكين" على هذا العرض لأنه سيحقق له فوائد عدة منها، رغبته في الاستيلاء على شمال الشام، ومن ثم توحيد بلاد الشام كلها تحت رايته، إضافة إلى خوف "طغتكين" على إمارته من مجاورة دولة السلاجقة فهو يسعى للحيلولة دون سيطرة السلطان على حلب(١٤).

كما أن "لؤلؤ الخادم" راسل "نجم الدين إيلغازي الأول بن أرتق" (٥٠٠-٥١٦هـ/١١٠٦-١١٢٢م) صاحب ماردين(١٥) الذي استجاب بدوره لطلب "لؤلؤ الخادم".

ولعل مادفع "لؤلؤ الخادم" إلى مراسلة أكثر من قوة إسلامية عدة أمور من أهمها رغبة لؤلؤ في أن تتنافس القوى الإسلامية لمساعدته لاسيما بعد أن جعل حلب ثمنًا لتلك المساعدة، فضلا عن أن "لؤلؤ الخادم" رغب ألا يقع تحت سيطرة حاكم مسلم واحد فهو يريد أكثر من قوة في آن واحد حتى يستطيع مساومتها على تسليم حلب نظير ما يفرضه عليهم من شروط.

ومن ثم فرح "لؤلؤالخادم" بقدوم كل من "طغتكين" و"إيلغازي" لنجدته وهذا مما شجعه على عدم تسليم المدينة للسلطان "محمد بن ملكشاه". مما أثار غضب الأخير على "لؤلؤالخادم"(١٦).

نظر السلطان السلجوقي إلى قدوم "طغتكين" و"إيلغازي" لحلب دون إذنه على أنه خروج على سلطانه، وفسر انقلاب "لؤلؤالخادم" المفاجئ عليه بأنه اعتمد على تأييد "طغتكين" و"إيلغازي" له، لذا رأى أن يدمر هذا التحالف الذي حال دون سيطرته على حلب(١٧).

شرع السلطان بالقيام بعدة خطوات لتنفيذ فكرته، وأمر قائده "برسق بن برسق" بالتوجه من حلب إلى حماة والسيطرة عليها، وذلك حتى يجبر "طغتكين" على الخروج من حلب، لأن حماة تمثل مركز التموين لدمشق، ثم سار بقواته إلى "رفنية"(١٨) فاستولى عليها.

وكان لتحركات برسق السابقة أثر بالغ على طغتكين؛ حيث تسرب الخوف بل استبد القلق "بطغتكين" على دمشق، لذا خرج بقواته من حلب وبرفقته "إيلغازي بن

(١٠) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٣.
(١١) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٣.
(١٢) ابن العديم، زبدة، ج٢، ص ١٧٤.
(١٣) أرشيد يوسف: سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م، ص ١٦٠.
(١٤) إبراهيم المزيني: إمارة حلب، ص ١٦٧.
(١٥) ماردين: من ديار ربيعة وهي حصن من بلاد الجزيرة، ولها قلعة منيعة وتقع بالقرب من نصيبين. انظر الحموي :معجم البلدان،م٤،ص١٩٤. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٧٩، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د (ت)، ص ٢٥٩.
(١٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥٠٩
(١٧) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١٠، ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٥.
(١٨) رفنية: كوره ومدينة من أعمال حمص، الحموي: معجم، م٢، ص ٤١١.

أرتق"، واتجهوا إلى أنطاكية، حيث استنجدوا بصاحبها "روجر" (٥٠٦-٥١٣هـ/١١١٢-١١١٩م) Roger prince of Antioch. واتفق رأيهم على مناورة قوات "برسق" وعدم الدخول معها في اشتباك حاسم[١٩].

ومما يؤسف له أن يستنجد المسلمون بالصليبيين لدفع خطر بعضهم عن بعض.

ومن ثم اكتفت القوات الإسلامية الصليبية المتحالفة بالمرابطة دون وقوع اشتباكات عسكرية مع قوات السلطان "محمد بن ملكشاه".

ويعلل ذلك ابن العديم بسبب ضخامة عدد قوات "برسق"[٢٠] كما تورد الباحثة لذلك عدة اعتبارات من أهمها:

- أن كل طرف كان يخشى من حجم قوات الطرف الآخر.
- كما أن الفرقة دبت بين قواد القوات المتحالفة،فكان كل واحد منهم يرغب أن يفوز بمفرده بالسيطرة على حلب دون أن يشاركه أمير آخر في ذلك.
- إضافة إلى أن هدفهم من التحالف كان لإرهاب "برسق"، حتى ينسحب من حلب.

وعلى الرغم من ذلك فقد انفك هذا التحالف وعاد كل منهم إلى بلاده، لكن برسق عاد فجأة لحصار حلب بعد فترة وجيزة من رحيل القوات المتحالفة، وهذا مما جعل "لؤلؤالخادم" يطلب النجدات العاجلة من حليفه "روجر" والذي استجاب له سريعًا بدوره. وتمكن من هزيمة "برسق"[٢١] في معركة "تل دانيث" سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م[٢٢].

ولكن لماذا استنجد "لؤلؤالخادم بروجر" دون بقية حلفائه الآخرين؟.

يبدو أن "لؤلؤالخادم" استنجد "بروجر" دون بقية حلفائه الآخرين، لأنه رأى فيه الحليف الأقوى والأقرب، كما أن الجانب الصليبي يمثل العدو اللدود "لبرسق" القائد السلجوقي، ذلك مما يجعله يقاتله بلا هوادة، وهذا ما حدث بالفعل.

وبهذا استطاع "لؤلؤالخادم" أن يحتفظ بحلب بعد معركة "تل دانيث"، لكنه ما لبث أن اغتيل سنة ٥١٠هـ/١١١٥م[٢٣]. وساءت أوضاع حلب للغاية، فقد حاول "ياروقتاش" -أحد خدام الملك رضوان- أن يسيطر على المدينة لكن سرعان ما ظهر منافس له وهو "آق سنقر البر سقي"، وكانت حجته في ذلك أن السلطان السلجوقي قد أقطعها إياه[٢٤].

وإزاء هذا الأمر قرر "ياروقتاش" أن يستنجد بالقوى المجاورة الإسلامية والصليبية على حد سواء، فاستنجد "بإيلغازي بن أرتق" صاحب ماردين، كما استنجد "بروجر" صاحب أنطاكية، والذي بدوره وصل إلى حلب قبل إيلغازي[٢٥].

لذا اضطر "آق سنقر" أن ينصرف عن حلب[٢٦]، وعقد ياروقتاش اتفاقًا مع "روجر" صاحب أنطاكية الصليبية، وبذل له كثيرا من الأموال مقابل حماية حلب، كما تنازل عن حصن القبة (قبة ملاعب) الواقعة بين حلب ودمشق[٢٧]، ومنحه حق استيفاء رسوم معينة على القوافل المتجهة من حلب إلى الحجاز[٢٨].

وبذلك قدم مسلمو حلب التنازلات والامتيازات مقابل أن يستظلوا بالحماية الصليبية ضد القوى الإسلامية الأخرى.

لكن "ياروقتاش" لم يهنأ له الحال طويلاً إذ قبض عليه وأخرج من حلب، وتولى الحكم خادم آخر من خدم رضوان[٢٩].

حلب في ظل حكم الأراتقة

تولى "ابن الملحي الدمشقي"[٣٠] الوصاية على "سلطان شاه" ابن الأمير "رضوان"، في الوقت الذي اشتدت

(١٩) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١٠.
(٢٠) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٥.
(٢١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١١.
سعيد برجاوي: - الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص ٢٣٦.
(٢٢) تل دانيث: بلد من أعمال حلب بين حلب وكفر طاب. الحموي: مصدر سابق، م٢، ص ٢٨٥.، ص ٧٦، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١٢.

(٢٣) ابن الأثير:الكامل، ج ١٠،ص٥٣١.
(٢٤) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٧.
(٢٥) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٩.
(٢٦) ابن القلانسي: ذيل، ص ١٩٩.
(٢٧) فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية،بيروت،مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م،ص ١٦١.
(٢٨) ابن العديم: ذيل، ج٢، ص ١٧٩.
(٢٩) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٩٩.
(٣٠) ابن القلانسي: ذيل، ص ١٩٩.

هجمات الصليبيين على مزارع وقرى حلب مما أضعفها بل دمرها اقتصاديًا، لذا اضطر أهلها للجوء إلى "إيلغازي" صاحب ماردين،وعرضوا عليه تسليمه المدينة لتسليمه حلب سنة ٥١١هـ/١١١٦م. فجاء إليهم. ودخل المدينة وتكفل بالإشراف على تربية "سلطان شاه بن رضوان السلجوقي"،كما قام على الحكم باسمه.

وقد اتخذ "إيلغازي" عدة خطوات لمجابهة العدوان الصليبي على حلب، من أهمها:

أولا: الهدنة مع الصليبيين:

كانت حلب في حالة سيئة للغاية سياسيًا واقتصاديًا، لذا رأى" إيلغازي" أن يهادن الصليبيين على مال سنوي يؤديه لهم[٣١]، وترى الباحثة أن الغرض من هذه الهدنة هو أن يستغل "إيلغازي" الوقت لإعادة بناء الجبهة الداخلية في حلب بعد سبر أغوارها، وجمع الحلفاء حتى يكون مستقبلاً قادراً على مجابهة العدوان الصليبي، فضلاً عن أنه يريد اختبار مدى استعداد قواته للحرب.

ثانيا: العودة إلى ماردين:

عاد "إيلغازي" إلى ماردين سنة ٥١١هـ / ١١١٦م بعد أن استخلف ابنه "حسام الدين تمرتاش" نائبًا عنه في حلب[٣٢]، وكان يهدف من عودته إلى ماردين أن يجمع عددًا كبيرًا من التركمان ويرجع بهم إلى حلب.

ساءت الأوضاع في حلب بعد رحيل "إيلغازي" عنها فقد قام الجند المقيمون في بالس[٣٣] بالإفساد في أعمال حلب، بسبب الغلاء الذي عم موقعهم، فضلاً عن أن الصليبيين قد شرعوا في فرض الحصار على بالس، فلما علم "إيلغازي" بخبرهم عاد مسرعًا على رأس قواته لإنقاذ بالس، عندها اضطر الصليبيون للانسحاب عن بالس، ولذا عاد "إيلغازي" مرة أخرى إلى ماردين[٣٤].

وفي تلك الأثناء قدم إلى حلب كل من "طغتكين" و"آق سنقر" يرغبان في إنقاذ حلب وتحسين أوضاعها المتدهورة، لكن أهالي حلب رفضوا تسليم المدينة لهم.

(٣١) الحريري: الأخبار السنية في تاريخ الحروب الصليبية،، مكتبة الفاروق، القاهرة، ص ٣٧٠.

(٣٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥٣٢، ابن أبي الهيجاء: تاريخ أبي الهيجاء، دار رياض الصالحين، تحقيق د: صبحي عبد المنعم، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٧٤.

(٣٣) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. الحموي: معجم البلدان، م١، ص ٢٦١.

(٣٤) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨٠.

بل فضلوا أن يدخلوا في حماية الصليبيين، لذا أرسلوا إلى حليفهم القديم "روجر الأنطاكي"، فانصرف كل من "طغتكين" و"آق سنقر" نحو بلاده، لأن "روجر" بالقدوم إلى حلب[٣٥].

لكن الصليبيين ما أن دخلوا حلب حتى عاثوا فيها بالفساد، فتوجه أهل حلب إلى طلب المساعدات الإسلامية، فاستجاب "طغتكين" لدعوتهم، لكنه لم يستطيع الصمود أمام القوات الصليبية التي هزمته[٣٦].

وقد شجع النصر الصليبيين على مهاجمة قلعة عزاز شمالي حلب[٣٧] والسيطرة عليها والاستفادة منها في زراعة الغلات الزراعية، مما أضر بحلب اقتصاديًا لأنها كانت تعتمد على مزارع عزاز في تموينها[٣٨]. وترى الباحثة أن هذا الأسلوب يترادف تمامًا مع حرب الحصار الاقتصادي في العصر الحديث في الطريقة والهدف.

كان من نتيجة ذلك أن راسل أهل حلب "إيلغازي" حاكم ماردين لإنقاذهم من الخطر الصليبي وزيادة على ذلك وعدوه بأن يؤمنوا له ما لا يصرفه على جنده فقدم إلى حلب بجند قليلة العدد والعتاد، لذا رأى أهل حلب أنه من الأفضل منعه من دخول حلب[٣٩].

ويبدو أن أهل حلب ربما توجسوا خيفة من مستقبل دخول إيلغازي إلى حلب وبخاصة ما تمثله حلب من أهمية كبرى لإيلغازي ومستقبل إمارته.

بعد ذلك قفل "إيلغازي" راجعًا إلى بلاده امتثالا لرغبة أهالي حلب، لكن كبار أعيان حلب لحقوا به وطلبوا منه الرجوع إليهم وألحوا في طلبهم حتى عاد معهم[٤٠].

وقد خشي هؤلاء من الوقوع تحت الحماية الصليبية لاسيما بعد ما اكتشفوا نواياهم الاستعمارية، فلذا فضلوا الركون إلى الحماية الإسلامية فهي خير لهم من البقاء تحت رحمة الصليبيين.

(٣٥) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

(٣٦) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

(٣٧) عزاز: بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب. الحموي: مصدر سابق، م٣، ص ٣٢٤.

(٣٨) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

(٣٩) ابن القلانسي: ذيل، ص ١٩٩.

(٤٠) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

المقدمات العسكرية لمعركة البلاط

لما دخل "إيلغازي" حلب وسيطر عليها، بدأ يتخذ الخطوات الفعلية لمجابهة الصليبيين، فكانت أولى خطواته هي البحث عن الحلفاء فاختار محالفة "طغتكين" حاكم دمشق في المقام الأول.

ولهذا التحالف مبررات عدة، من أهمها: أواصر الصداقة التي كانت قائمة بينهما من قبل، فطغتكين كان في مقدمة حلفاء "إيلغازي". إضافة إلى تعرض دمشق أيضًا إلى هجمات الصليبيين، وهذا يشكل وحدة العدو المشترك[٤١]. وفضلا عن ذلك فإن "طغتكين" لديه الخبرة العسكرية والسياسية في مجابهة الصليبيين.

لذا توجه "إيلغازي" سنة ٥١٢هـ/١١١٨م إلى دمشق للاتفاق مع "طغتكين" على مجابهة الصليبيين فتم التحالف بينهما بنجاح، وجعلا ميقاتهما المعلوم للقاء هو صفر من عام ٥١٣هـ/١١١٩م[٤٢].

بعد ذلك عاد "إيلغازي" إلى ماردين ليجمع قواته، ويتجهز لاستقبال ما يقدم عليه من الكتائب المؤلفة من الكرد النازلين بالشمال، ومن القبائل العربية الضاربة ببادية الشام. ورأى "إيلغازي" من الناحية الشكلية أن يطلب المساعدة من السلطان "محمود ملكشاه"، غير أنه لم يتلق ردًا على طلبه[٤٣]، وهذا موضع للتساؤل.

وترى الباحثة أن السلطان "محمودًا" اتبع سياسة والده بالنظر إلى" إيلغازي" و"طغتكين" بأنهما خارجان عن طاعة السلطان، إذ خرجا للجهاد دون إذن مسبق من السلطان.

أما "بنو منقذ" -أمراء شيزر-[٤٤] فإنهم وعدوا بأن يحملوا "روجر" أمير أنطاكية على الانصراف إلى جهة أخرى، بأن يزمعوا مهاجمة الأطراف الجنوبية لممتلكاته[٤٥]

ولما شرع بنو منقذ يغيرون على "أفامية"[٤٦]، أرسل إليهم إيلغازي بعضًا من جنوده، حتى يتقووا بهم على الصليبيين، وقام "إيلغازي" على رأس جيشه الأساس بالإغارة الخاطفة على بلاد "الرها"، غير أنه لم يحاول مهاجمة عاصمتها المنيعة[٤٧].

ويبدو أن "إيلغازي" كان يريد اتباع سياسة المناورات العسكرية لاستعراض واختبار مدى قوة جيشه، ولم يهاجم العاصمة حتى لا تتبدد قواته أو تدخل في مصادمات قوية مع الصليبيين قد تفقده بعضاً من جنده.

وفي تلك الآونة قام الصليبيون في بداية عام ٥١٣هـ/١١١٩م بالاستيلاء على "حصن بزاعا"[٤٨]، ثم عاثوا فسادًا في باقي أعمال حلب. لذا عمد أهالي المدينة إلى مراسلة الخليفة العباسي "المسترشد بالله" (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م) لإغاثتهم، لكنه لم يجبهم نظراً لضعف الخلافة العباسية آنذاك[٤٩].

لذا لم يجد الأهالي بدًا من الاستغاثة "بإيلغازي"، وبخاصة بعد ما اشتد عليهم الخطر الصليبي من جهة الأثارب[٥٠]، فاستجاب لهم "إيلغازي" وسارع بالتوجه نحو حلب[٥١].

ما إن علم القادة الصليبيون بقدوم "إيلغازي" حتى سارع "روجر" صاحب أنطاكية بالاستنجاد "بجوسلين" أمير "الرها" (٥٠٦-٥٢٥هـ/١١١٢-١١٣١م) Joscelin count of Eeddssa و"بونز" أمير "طرابلس" (٥٠٦-٥٣١هـ/١١١٢-١١٣٧م) Pons count of the tripolic، و"بلدوين الثاني" ملك بيت المقدس[٥٢] (٥١٢-٥٢٥هـ/١١١٨-١١٣١م) king

(٤١) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، ص ٢٤٠.
(٤٢) ابن القلانسي: ذيل، ص ٢٠٠.
(٤٣) ابن القلانسي: ذيل، ص ٢٠٠،رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٢٣٦.
(٤٤) شيزر: قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعرة وتعد في كوره حمص، الحموي: معجم البلدان، م٣، ص ١٧١.
(٤٥) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٣٦.
(٤٦) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وهي من كور حمص، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٢٢٧، أبو الفدا: تقويم البلدان: ص ٢٤٣.
(٤٧) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٣٧.
(٤٨) بزاعا:بلدة من أعمال حلب في وادي البطان بين منبج وحلب،وبين كل منهما مرحلة.انظر:الحموي:معجم البلدان،المجلد الأول،ص٣٢٤.
(٤٩) القلانسي: ذيل، ص ٢٠٠، محمد محمد مرسي: الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١٩٩٠.، ص٣٩ - ٤٠. ولمعرفة أوضاع الدولة العباسية بالتفصيل انظر حسن محمود،احمد الشريف:العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٥م.
(٥٠) الأثارب: قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية بينهما وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ، الحموي: معجم البلدان، م١، ص ٨٠.
(٥١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م. ج٥، ص ٤٨٧.
(٥٢) ابن الأثير:الكامل،ج ١٠،ص ٥٥٤، فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص ١٦٤.

of Jerusalem BaldwinII وتقدم "روجر" بقواته حتى عسكر عند أرتاح[٥٣] على الطريق الرئيس المتجه إلى أنطاكية لحمايتها من جهة ولمراقبة تحركات إيلغازي. ولانتظار النجدات الصليبية[٥٤].

وقد اختلفت الروايات في تقدير قوات "روجر الأنطاكي". فذكر "وليم الصوري" أن عددها سبعمائة فارس و ثلاثة آلاف من المشاة المدربين[٥٥]. وقد ذكر "رنسيمان" أن عدد جنده سبعمائة فارس وأربعة آلاف راجل[٥٦].

أما "ابن القلانسي" فقد قدّر الجيش بنحو عشرين ألف مقاتل[٥٧]. وترى الباحثة أن العدد مبالغ فيه عند "ابن القلانسي". إذ لو كانت قوات "روجر" بهذا العدد الهائل لما طلب النجدة من الأمراء الصليبيين، وكذلك من ملك بيت المقدس "بلدوين الثاني"، كما أن المنطقة الجبلية -تل عفرين-[٥٨] لا تستقطب هذا العدد من الجند، ولذا عوض النقص البشري للجند بالحصانة الطبيعية للموقع الجبلي.

الأحداث العسكرية لمعركة البلاط

قام "روجر" بالزحف بقواته وعسكر بالقرب من الأثارب في موضع يقال له تل عفرين وذلك في موقع بين جبال ليس لها طريق إلا من جهة واحدة ضيقة بالقرب من البلاط[٥٩]، فسيطر على هذا الطريق وانتظر حتى تصله الإمدادات العسكرية الصليبية.

وقد بلغ من اطمئنان الصليبين إلى حصانة الموقع ومنعته، أن أرسل "روجر" إلى "إيلغازي" يقول له: "لا تتعب نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك"[٦٠].

ويكشف كلام "روجر" أنه انتوى المسير إلى حلب والسيطرة عليها.

سعى "إيلغازي" إلى التحقق من مدى قوة المعسكر الصليبي، لذا أرسل جواسيس على هيئة تجار[٦١].

وكان "إيلغازي" في ذلك الوقت معسكرا في قنسرين[٦٢]، وقد اتخذها قاعدة لشن الهجمات[٦٣] على حارم[٦٤] وجبل السماق[٦٥]، وهذه تعتبر نقاط قوة لمن يسيطر عليها.

رجع جواسيس "إيلغازي" بالمعلومات العسكرية، فتأهب للهجوم على جيش "روجر" دون انتظار قدوم حليفه "طغتكين" حاكم دمشق، الذي تجاوز الميقات المحدد للقاء المتفق عليه آنفًا دون أن يحضر بجيشه أو أن يرسل — على الأقل — رسولا يوضح أسباب تأخره.

ولعل "طغتكين" لم يكن يريد الدخول في معارك حاسمة مع الصليبيين بشكل مباشر وذلك خوفًا من أن يثأر منه الصليبيون لاحقًا بالسيطرة على دمشق، كما أن "طغتكين" كان لايريد قطع صلاته الدبلوماسية مع ملوك بيت المقدس فهو كثيرًا ما يعقد معهم اتفاقيات[٦٦] حتى يتقوى بهم أمام المسلمين فلا ينافسوه في السيطرة على دمشق.

مهما يكن من أمر فقد تقدم المسلمون بقيادة "إيلغازي"نحو "البلاط "، وكان مسير إيلغازي يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأول سنة ٥١٣هـ/١١١٩م[٦٧].

وقد أحسن المسلمون في اختيار يوم الجمعة بدءًا للزحف وذلك حتى تستغل الخطبة في وعظ الجنود وحثهم

(٥٣) أرتاح: اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب، الحموي: معجم البلدان، م١، صـ ١١٨.

(٥٤) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني، دار العالم العربي، ط١، ٢٠٠٨م، صـ ٨٠.

(٥٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م،صـ ٣٤٩

(٥٦) رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٧.

(٥٧) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠٠.

(٥٨) تل عفرين: مدينة بين مرعش وأنطاكية وهي من أعمال حلب، انظر الحموي: معجم البلدان، ج١، صـ ٣٧٦.

(٥٩) البلاط: مدينة بين مرعش وأنطاكية وهي من أعمال حلب، انظر الحموي: معجم البلدان، ج١، صـ ٣٧٦.

(٦٠) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، صـ ٥٥٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م صـ ١٨٤، الذهبي: دول الإسلام، ج٢، تحقيق حسن إسماعيل، بيروت، ط ١٩٩٩م، صـ ٤٠. Nicholson، The Growth of the Latin States،p٤١٣

(٦١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٧.

(٦٢) قنسرين: كوره بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، الحموي: معجم البلدان، م٤، صـ ٩٤.

(٦٣) عماد الدين خليل: الأمارات الارتقية، صـ ٢٤٢.

(٦٤) حارم: حصن وكوره تجاه أنطاكية، وهي من أعمال حلب. الحموي: معجم البلدان، م٢، صـ ١٠٨.

(٦٥) جبل السماق: جبل عظيم من أعمال حلب الغربية يشتمل على مدن كثرة وقرى وقلاع. وسمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق. الحموي: معجم البلدان، م٢، صـ ٢٩.

(٦٦) عن هدن طغتكين مع الصليبيين انظر ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ١٥٦ — ١٥٧.

(٦٧) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠٠.

على الثبات والجهاد في سبيل الله[٦٨].

وكان الصليبيون قد شرعوا في عمارة حصن مطل على "تل عفرين" معتقدين أن المسلمين سيهاجمون حصني "الأثارب"[٦٩] أو "زردنا"[٧٠]، لكن "إيلغازي" اتبع أسلوبا عسكريا مميزا إذ بدأ في يوم السبت السابع عشر من ربيع الأول بعدة غارات خاطفة بعد أن أحكم الطوق على الصليبيين من ثلاث جهات، وهذا كان تكتيك عسكري موفق، لأن في الغارة السريعة الخاطفة تكون قوة الجنود أعظم، واتحادهم أقوى، وتحركاتهم سريعة فضلاً عن أنها تجعل هجوم الجيش كوثوب القائد الواحد.

وفي الحقيقة نجحت هذه الخطة العسكرية إذ اضطربت الصفوف الصليبية، وفي الوقت ذاته هبت من الجنوب رياح الخماسين وتضاءل الطعام والماء بالعسكر، فقرر "روجر" أن يقتحم صفوف العدو، وإلا تعرض للهلاك[٧١].

ومما هو جدير بالملاحظة أن "روجر" بهذا القرار قد خالف تعليمات الملك الصليبي بلدوين الثاني الذي أمره بالتزام سياسة الدفاع فقط دون الهجوم إلى حين وصول القوات الصليبية المتحالفة[٧٢].

ولعل سبب مخالفة روجر هو الوضع الراهن المتمثل في شن الغارات الإسلامية فضلاً عما لحق بالصليبيين من أذى[٧٣].

وأثناء التحام الجيشين تغير هبوب الرياح فجأة إلى الشمال، فساقت غمامة بالتراب إلى وجوه الفرنج[٧٤].

وقد أسهب المؤرخون المسلمون والصليبيون في وصف هذه المعركة "وحمل الترك بأسرهم حملة واحدة من جميع الجهات، صدوهم فيها، وكانت السهام كالجراد ولكثرة ما وقع في الخيل والسواد من السهام عادت منهزمة، وغلبت فرسانها، وطحنت الرجالة والأتباع والغلمان بالسهام"[٧٥].

وتظهر قراءة الباحثة التحليلية للنص السابق عدة أمور من أهمها:

- أسلوب المسلمين العسكري الخاطف والمطوق في نفس الوقت.
- فضلاً عن أنهم استخدموا سلاح السهام في الهجوم حتى إنه وصف بالجراد لكثرته، ولما أحدثه من ضرر في الصفوف الصليبية.
- إن تعبير المؤرخ بلفظ "وطحنت الرجالة" يدل على كثرة القتل، والذي امتد حتى شمل الأتباع والغلمان والذين تعرضوا لبوابل من سهام المسلمين.

وقد أوجز "ابن منقذ" حديثه عن نتيجة انتصار ايلغازي في هذه المعركة بقوله "وأفناهم وقتل صاحب أنطاكية روجار"[٧٦] وقد أسر معظم الصليبيين، وقتل روجر في المعركة[٧٧]، ولذا اشتهرت المعركة باسم معركة "ساحة الدم" (Ager sanguinis) لكثرة من قتل وأسر فيها من الصليبيين، فضلاً عما وقع في أيدي المسلمين من السبي والغنائم[٧٨].

وقد عبر اثنان من مؤرخي الحروب الصليبية وهما "وليم الصوري" William of Tyre "فوشيه الشارتري" Fuicher of charters عن نتيجة هذه المعركة بكل ألم واعتبرا الهزيمة التي لحقت بهم من سخط الرب عليهم لإسرافهم في المعاصي "وهكذا ترتب على ماارتكبناه من الخطأ أن لم تقدر النجاة لأحد من العدة الذين تبعوا مولاهم في ذلك اليوم،ولم يبق منهم أحد في الحياة ليروى خبر ماجرى، هذا في الوقت الذي كان فيه قتلى العدو شرذمة قليلين أو لاشيء مطلقا"[٧٩].

أما "فوشيه الشارتري" فعلق بقوله "وليس من المستغرب أن يسمح الرب بهزيمة روجر ورجاله الذين كانوا يرفلون في النعيم من كل نوع كما أن خطاياهم جعلتهم لايحترمون

(٦٨) عماد الدين خليل: الإمارات الارتقية، صـ ٢٤٤.
(٦٩) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨٨.
(٧٠) زردنا: بليدة من نواحي حلب الغربية، الحموي: معجم البلدان، م٢، صـ ٤٧٢.
(٧١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٨.
(٧٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٦.
(٧٣) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٨.
(٧٤) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، صـ ٢٣٨.
(٧٥) ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ١٨٩.

(٧٦) ابن منقذ: الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م،ص٤٠
(٧٧) العظيمي: تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م صـ ٣٦٩ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.، صـ ٢٤ ؛ رينيه جروسيه: الحروب الصليبية، ترجمة احمد أييش، دار قتيبة، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م، صـ ٥٩.
(٧٨) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٧، السيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١٩٩٣م ، ج١، ص٤٧٣. Walter the chancellor، Bella Antiochena،p١٠٠
(٧٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢،صـ ٣٥٢.

الرب أو الإنسان"[٨٠]

ولو أردنا أن نقف على العوامل التي أسهمت في هزيمة الصليبيين نجدها عدة ولعل من أهمها:

- مخالفة "روجر" لتعليمات الملك "بلدوين الثاني" بأن يلتزم بسياسة الدفاع لكنه تحول للهجوم دون انتظار النجدات الصليبية القادمة.
- كان للخطة العسكرية للمسلمين في هذه المعركة دورٌ كبيرٌ في النصر على الصليبيين.
- فضلا عن أن الظروف المناخية أسهمت في انتصار المسلمين حينما اشتد هبوب رياح الخماسين الجافة وما أثارته من أتربة في أعين الصليبيين.

نتائج معركة البلاط

كان لانتصار المسلمين صدى عظيم في هذه المعركة إذا استبشروا بها خيرًا. وكان مما رواه "ابن القلانسي" عن هذه المعركة: "من أحسن الفتوح، والنصر الممنوح، لم يتفق مثله للإسلام في سالف الأعوام"[٨١]، وأرسل الخليفة المسترشد العباسي بخلعة التشريف إلى "إيلغازي"[٨٢].

كما وصف "ابن العديم" استقبال أهالي حلب لبشرى النصر قائلاً: "فوصل البشير إلى حلب بالنصر، والمصاف قائم، والناس يصلون الظهر بجامع حلب، سمعوا صيحة عظيمة بذلك من نحو الغرب، ولم يصل أحد من العسكر إلى نحو صلاة العصر"[٨٣].

كما أن النصر رفع "إيلغازي" إلى مركز القيادة في حركة الجهاد ضد الصليبيين[٨٤]، واستطاع "إيلغازي" أن يقضي على طموح الصليبيين في السيطرة على حلب، لأن هذه الموقعة قررت مصير حلب، إذ بقيت في قبضة المسلمين[٨٥]. وصارت إمارة من إمارات إقليم الجزيرة[٨٦]. وتغيرت صورة المقاومة الإسلامية في حلب إلى النقيض تمامًا، حيث باتت أقوى في مواجهة الصليبيين وذلك بعد أن تبدلت موازين القوى بصورة حادة لصالح المسلمين[٨٧]، وثبت لهم أن بإمكانهم تحقيق النصر إذا ما اتحدوا بدون مساعدة السلطان السلجوقي[٨٨].

وبالنسبة للصليبيين فإن تدمير قوة الفرسان النورمان في هذه المعركة أدى إلى ضعف النفوذ النورماني في الشام، بينما قوي نفوذ الصليبيين القادمين من أواسط فرنسا وشرقيها[٨٩]، كما خسر الصليبيون قوة عظيمة من جنودهم في هذه المعركة وليس من اليسير تعويض من سقط صريعًا أو من أضحى أسيرًا لدى المسلمين[٩٠]. كما تحطمت الروح المعنوية للصليبيين بمقتل "روجر" صاحب أنطاكية وقد انهار الصليبيون لهذا الخبر حتى أن "فوشيه الشارتري" Fuicher of charters اعتبر هذه المعركة بمثابة نقطة سوداء في تاريخ الصليبيين فهي من الحوادث السيئة حيث اندهش لمقتل "روجر"، وكيف أن سبعة آلاف من رجال أنطاكية لقوا مصرعهم ولم يقتل من الأتراك سوى عشرين[٩١]. كما أن أنطاكية أصبحت بدون أمير يحكمها بعد مقتل "روجر" في المعركة، وكذلك أصبحت بلا جيش يحميها بعد القضاء على قواتها في المعركة المذكورة[٩٢].

وترى الباحثة أن لهذا النصر عدة نتائج ولعل من أهمها:

- أجبر القوى الصليبية أن تتخذ سياسة الدفاع والاعتصام في مدنها بدلاً من اتباع سياسة الهجوم.
- رفعت الروح المعنوية للمسلمين.
- فضلاً عن أنها لفتت أنظارهم إلى أهمية بناء جبهة إسلامية موحدة للتخلص من العدوان الصليبي.
- قويت لديهم العزيمة وأدركوا أهمية الاستيلاء على المدن ذات الموقع الإستراتيجي الطبيعي أو البشري أو ذات النفوذ الاقتصادي.
- كما عززت لديهم قاعدة بأنه لن يتم النصر على العدوان الخارجي إلا إذا تماسكت الجبهة الداخلية وتخلصت من

(٨٠) فوشيه الشارتري: الوجود الصليبي في الشرق العربي، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٣م، صـ ٢٧١.
(٨١) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠١.
(٨٢) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٨٢.
(٨٣) ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ١٨٩،ص ١٩٠.
(٨٤) المزيني: تاريخ حلب، صـ ١٩٠.
(٨٥) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م، ج١، صـ ٤٠٥.
(٨٦) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٧٦.
(٨٧) حامد غنيم: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م، ج١، صـ ١٨٨.
(٨٨) هانس ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط ١٩٩٠م، صـ ١٢٠.
(٨٩) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، صـ ٢٤٦.
(٩٠) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٨٥.
(٩١) فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة، ص ٢٧١، سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، صـ ٤٥.
(٩٢) فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، صـ ١٦٦.

الطبقة المسيطرة على السلطة خاصة إن كانوا من الخدم السلطاني.

حلب بعد معركة البلاط:

وعن تطور الأحداث بعد ذلك فإن إيلغازي نزل في خيمة "روجر"، فحمل إليه المسلمون ما حصلوا عليه من الغنائم وعرضوه عليه، فلم يأخذ منه إلا بعض السلاح لإهدائه إلى ملوك الإسلام، ومنحهم باقي الغنائم(٩٣).

والحقيقة أن "إيلغازي" اكتفى بما حققه من نصر حتى إنه لم يفكر في مهاجمة أنطاكية رغم أن الطريق كان مفتوحٌ، ولذا وجه المؤرخون اللوم إلى "إيلغازي" بأنه لم يستغل انتصاره في معركة "البلاط" بالتوجه مباشرة إلى أنطاكية التي أضحت بلا مدافع، بدلاً من الاكتفاء بالغارات السريعة الخاطفة.

هناك من يذكر أن المسلمين انشغلوا بجمع الغنائم عن مواصلة مشوارهم في الجهاد الإسلامي(٩٤).

ومن زاوية أخرى يرى "ابن القلانسي" أن عدم حضور "طغتكين" للمعركة أفقد إيلغازي مشورة قائد خبير في قتال الصليبيين، وهذا في رأي الباحثة يؤكد على أهمية الشورى في تبادل الخبرات(٩٥).

ولعل "إيلغازي" تخوف من صدى إسقاط إمارة أنطاكية الصليبية أن تؤدي إلى قدوم حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي يصعب التصدي لها(٩٦).

وذكر "محمد بن مؤنس" مبررًا قويًا لما فعله "إيلغازي" حيث قال: "غير أننا لا نتصور أن الطريق مفتوحًا تمامًا لتقدم إيلغازي إلى المدينة المذكورة، لأنه في هذه الحالة من المتصور، أن الإمبراطورية البيزنطية لن تقبل بامتداد السيادة الإسلامية لأية قوة ما محلية إلى أنطاكية التي كانت من قبل من أملاك تلك الإمبراطورية"(٩٧).

وترجح الباحثة رأي المؤرخ "محمد مؤنس" إذ من الصعب على "إيلغازي" أن يفتح على نفسه مجابهة خصمين في آن واحد الصليبيين والبيزنطيين وهو زعيم جهاد ناشئ.

فضلا عن أن الباحثة ترى أن "إيلغازي" رأى روح السأم الذي تملك جنده فلا يستطيع إجبارهم على مواصلة القتال، وهذا مما دفع "صلاح الدين الأيوبي" فيما بعد أن يعقد صلح الرملة مع الصليبيين في الحملة الصليبية الثالثة مع أنه الكفة الراجحة في القتال لكن روح السأم والملل عند جنده أجبرته على قبول الصلح والعدول عن مواصلة الجهاد(٩٨).

كما أنه تخوف من الابتعاد كثيرًا عن حلب فقد تراود الصليبيين فكرة إعادة الكرة على حلب بغرض السيطرة عليها. بالإضافة إلى أن خطة "إيلغازي" العسكرية كانت تستهدف إنقاذ حلب من العدوان الصليبي وليس الاستمرار في الفتح والنصر إلى أمد أبعد من ذلك.وعليه فإن حجم القوات ومدادها العسكري والاقتصادي فضلا عن الاستعداد النفسي للجند يكون بقدر يساوي تحقيق الهدف الأساسي، ولذا كان من العسير عليه التوجه إلى أنطاكية مباشرة.

مهما يكن من أمر، فإن تلك الهزيمة قد أرغمت الصليبيين في أنطاكية على الدخول في مفاوضات مع حلب من أجل الوصول إلى اتفاق، وتمكنوا من عقد اتفاق مع "إيلغازي" كفل للطرفين الإسلامي والصليبي السلام والموادعة(٩٩).

أما عن وضع إمارة أنطاكية بعد هذه المعركة فقد تولى "بلدوين الثاني" الوصاية عليها لمدة سبع سنوات (٥١٣-٥٢٠هـ/١١١٩ - ١١٢٦م) إلى أن تولى أمرها "بوهيمند الثاني" Bohemond II (٥٢٠- ٥٢٤هـ/ ١١٢٦- ١١٣٠م)(١٠٠)

الخاتمة

• إن موقع حلب الإستراتيجي جعل القوى السياسية من

(٩٣) ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ١٩٠.

(٩٤) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠١، ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ٢٧١، مسفر الغامدي: - الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م، صـ ١٥٥

(٩٥) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠١.

(٩٦) ضفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٨٤.

(٩٧) محمد مؤنس: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، صـ ١٥٩.

(٩٨) محمود عمران: تاريخ الحروب الصليبية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ٢٠٠٦م، صـ ١٨٣.

(٩٩) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠٢، عبد الغني زهر: الهدن والمفاسخات، صـ ٤١.

(١٠٠) حسين عطية: إمارة أنطاكية، صـ ١٤١.
Stevenson. the crusaders in the east.p.105

حولها تتنافس في السيطرة عليها.

• كان لضعف الجبهة الداخلية في حلب دور كبير في تشجيع الصليبيين على التطلع للسيطرة عليها.

• أوضحت الدراسة أن عدم الثقة بين أمراء المسلمين بسبب سيطرة أطماعهم الشخصية على الموقف حال دون تكوين جبهة إسلامية موحدة ضد العدوان الصليبي.

• لعب الأراتقة دورا كبيرا في حركة الجهاد الإسلامي ضد العدوان الصليبي خاصة بعد سيطرة إيلغازي بن أرتق على حلب.

• أوضحت الدراسة أن الخلافات الشخصية بين الأمراء المسلمين هي التي دفعتهم للاستنجاد بالقوى الصليبية المجاورة.

• إن المصالح المشتركة لدى الصليبيين في الاستيلاء على حلب جعلتهم يدخلون في تحالف مشترك في سبيل تحقيق هذا الهدف.

• كان لحسن التكتيك العسكري لإيلغازي إضافة إلى الظروف المناخية دور ملموس في انتصار المسلمين في معركة البلاط.

• إن أهمية أي معركة تتمثل في النتائج المترتبة عليها مستقبلا وليس في نتيجتها ساعة الالتحام.

• ناقشت الدراسة الأسباب التي منعت إيلغازي من التوجه مباشرة بعد هذه المعركة للسيطرة على أنطاكية.

• أدت هذه المعركة إلى تولي الملك بلدوين الثاني الوصاية على إمارة أنطاكية لمدة سبع سنوات.

وخلاصة القول أن معركة البلاط (ساحة الدم) تعد صفحة من صفحات الصراع الإسلامي الصليبي وتعدمن بوادر الآمال المبكرة لدى المسلمين في إمكانية تحقيق النصر المؤزر على الصليبيين وطردهم من الأراضي الإسلامية.

قائمة المراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة

١. ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م. – الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.

٢. الحريري: السيد علي الحريري.

٣. الأخبار السنية في الحروب الصليبية، مكتبة الفاروق، القاهرة.

٤. ابن خلدون: عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م.

٥. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٦. الذهبي: شمس الدين محمد أحمد، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م.

٧. دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل، بيروت، ط ١٩٩٩م.

٨. ابن العديم: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م.

٩. زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط١٩٥١م.

١٠. العظيمي: محمد بن علي العظيمي الحلبي، ٥٥٦هـ / ١١٦١م.

١١. تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.

١٢. أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م.

١٣. تقويم البلدان، باريس، ط ١٨٥٠م.

١٤. فوشيه الشارتري: الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٣م.

١٥. القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م.

١٦. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د (ت)

١٧. ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن القلانسي، ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

١٨. ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت).

١٩. ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م.

٢٠. البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٢١. ابن منقذ: أسامة بن علي بن نصر، ت ٥٨٤هـ / ١١٩٢م.
٢٢. الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م
٢٣. ابن أبي الهيجاء: عز الدين محمد بن محمد الأربلي، ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م.
٢٤. تاريخ أبي الهيجاء، تحقيق د: صبحي عبد المنعم، رياض الصالحين، ط١، ١٩٩٣م.
٢٥. ابن الوردي: أبو حفص زين الدين، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م.
٢٦. تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٧. وليم الصوري: - الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٨. ياقوت الحموي: شهاب الدين بن عبد الله،ت ٦٢١هـ / ١٢٢٨م.
٢٩. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت).

ثانيا : المراجع العربية والمعربة:

٣٠. إبراهيم محمد المزيني: إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م
٣١. إرشيد يوسف راشد: سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.
٣٢. حامد غنيم أبو سعيد: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.
٣٣. حسن احمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف العالم الإسلامي في العصر العباسي،دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٥م.
٣٤. حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩م.
٣٥. رينيه جروسيه الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أيبش، دار قتيبة، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٦. سامية عامر: الصليبيون في فلسطين، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٧. ستيفن رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
٣٨. سعيد أحمد برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
٣٩. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م.
٤٠. سيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١٩٩٣م.
٤١. صفاء عثمان محمد: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني، دار العالم العربي، ط١، ٢٠٠٨م.
٤٢. عبد الغني عبد الفتاح أبو زهرة: الهدن والمفاسخات، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٣. عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
٤٤. فايد حماد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
٤٥. محمود سعيد عمران تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
٤٦. مسفر سالم الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.
٤٧. محمد محمد مرسي الشيخ: الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١٩٩٠.
٤٨. محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٩. مكسيموس مونرو ند تاريخ الحروب الصليبية في المشرق، ط أورشليم، ١٩٦٥م.
٥٠. - هانس ماير تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط ١٩٩٠م

ثالثا: المراجع الأجنبية:

[51] Nicholson(B.L)،TheGrowth of the latin states،pennsylvania1958
[52] Walterthechancellor.Bella Antionhe-na،1879
[53] Stevenson،W،B.The Crusaders in the East،London،1907

Islamic Conflict Crusader In the Battle of Tiles (Square Blood) 513AH/1119AD

A. M. Al-Harbi
Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Taibah University, K.S.A.

Abstract

In this paper we will stand to the events of the battle of "tiles" that took place years 513 AH / 1119 AD between the two sides of the Islamic and Crusader، have been known when the historians of the Crusades "Square blood." Our study relies on several axes of the most important of the political situation in Aleppo، such as the battle Importance of the site of Aleppo We will stand on a concerted effort to save her Islamic Which was one of the results of a "battle of the tiles and the victory of the Muslims against the Crusaders and we'll show in this study، the military plan developed by the Muslims in the fighting، the most important factors that helped to victory، and the results of this battle. In the end، concluded، research and analysis to talk about the reasons for the lack of control "Elghaza" to Antioch with the opportunity that was available to him greatly. As well as the most important findings of their study.

Keywords: Aleppo، Alp Arslan، Pearl server، Mohammed Malikshah، Tel Dno، Aleratqh، Baldwin II، Tel Afrin، tiles، Antioch.

الدستور الإنجليزي خصوصية بنيانه العرفي ومعطيات إشكالياته

أحمد صادق الجيزاني
قسم القانون العام –كلية الحقوق – جامعة عدن – الجمهورية اليمنية.

المُلخّص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الطبيعة العرفية للدستور البريطاني وخصوصية تشكله تاريخيا، وتأكيد حضوره وتفاعله في الواقع المعاصر. حقا نجد أن هذا الدستور الذي استطاع ان يربط الماضي بالحاضر في حركة من التواصل والتعايش اثار إشكاليات أفرزها واقع الصراع والتعايش السياسي والاجتماعي للواقع الإنجليزي وحركة التطور الذي حقق التعايش بين التقليدية المحافظة والمعاصرة المتطورة، وهو ما يشهد له الواقع البريطاني الذي يتفرد دستوره بخصوصية تترجم الرؤية الإنجليزية للحياة السياسية والاجتماعية، وذلك على أساس التمسك بالتطور الرأسمالي دون المساس بتلك التقاليد المتحكمة في وجدان الشعب البريطاني فالدستور البريطاني بخصوصيته العرفية استطاع أن يفرض نفسه مخترقا الواقع البريطاني المتطور رأسماليا والمحكوم بالليبرالية فكرا مع المتمسك بالتقاليد المحافظة، بالرغم من متغيرات الزمن. ويعتبر الدستور البريطاني أكثر الموضوعات التي يحرص المجتمع البريطاني على الحفاظ على مكوناته العرفية وطبيعته المحافظة وخصوصيته التي تشكلت عبر التاريخ. وهذا ما يترجم في موقف أغلب الشعب البريطاني ورجال القانون والسياسيين الرافض والمقاوم لفكرة تقنين الدستور البريطاني، والإصرار للحفاظ على طبيعته وخصوصيته التي تكونت عبر التاريخ في الواقع الإنجليزي. ومن هنا تعين علينا البحث في هذا التكوين التاريخي المتميز للدستور البريطاني ومدى تعايشه مع الواقع البريطاني المتطور، والإشكاليات التي أفرزها سواء في مجال التقنين او التعديل لقواعد هذا الدستور.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة العرفية – الدستور الإنجليزي – الدستور البريطاني – التعايش السياسي.

مُقدّمة

إن الواقع السياسي والدستوري الراهن لا يعرف من الدساتير التي يطلق عليها الفقه، الدستور المرن، إلا الدستور الإنجليزي الذي تم اعتباره النموذج الكلاسيكي للدستور العرفي. والدستور الإنجليزي كنموذج تاريخي، تميز تكوينه بالخبرات العملية الطويلة المتراكمة، التي تشكلت عبرالتاريخ، وظلت تصارع الحداثة وتعايشها، وهذا ما جعل مكونات هذا الدستور تتميز بالتعقيد والإشكاليات. وفي إطار المعطيات التاريخية التي صاغت التاريخ السياسي والبنيان الدستوري الإنجليزي، تشكلت حقيقة الدستور الإنجليزي من أعراف شيدت بنيانه، وقواعد دستورية مدونة كانت نتاج الصراع من أجل صياغة نظام الحكم، وفي الإتجاه الآخر أفرزت هذه المعطيات التاريخية صراعا في سبيل التقنين الذي جوبه بمقاومة قوية. وهنا تكمن الضرورة من جانب تبيان خصوصية البنيان العام للدستور الإنجليزي، وفي الجانب الأخر إجلاء اشكاليات تقنين هذا الدستور.

المبحث الاول

خصوصية البنيان العام للدستور الإنجليزي

العرف الدستوري الذي تشكل في صلب الدستور العرفي الإنجليزي، الذي ترسخ مع الزمن في ضمير الجماعة كقواعد ملزمة واجبة الاحترام والتطبيق، كان كما تفيد مصادر الفقه الدستوري سيد الميدان في الحياة السياسية والمتحكم الأساسي في بنيان الدستور الإنجليزي. حتى التدوين عندما ولج فيه وكذلك رياح التدوين التي هبت على الحياة الدستورية في كافة المجتمعات لم يؤثرا في بنيانه العرفي وسيادته على الحياة الدستورية، بل صاغ ذلك خصوصية متميزة لهذا البنيان الدستوري. وما عزز من خصوصية هذا البنيان العرفي هو تمسك الشعب الإنجليزي بالتقاليد المحافظة التي كانت عنوان سلوكه والنزعة المحافظة التي أضحت عقيدة يحرص على احترامها والتمسك بها

البريد الالكتروني: d.ahmedaljizani@yahoo.com
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

والحصن الحصين الذي يحمي حريات الشعب الإنجليزي. وهنا تتجسد قوة الكمون العرفي والخصوصية العرفية لدستور تميز تاريخيا بهذه الخصوصية ولايزال يعلن عن نفسه في الزمن المعاصر.

المطلب الاول

قوة الكمون العرفي وأبعاده في البنيان العام للدستور الإنجليزي

يشكل العرف الدستوري هوية الدستور الإنجليزي، فهو كالدم في الشرايين، لدرجة أنه لا يمكن الحديث عن بنيان الحكم في إنجلترا بمعزل عن القواعد العرفية والسوابق التاريخية التي شكلت معالم البنيان الدستوري والنظام الديمقراطي النيابي في إنجلترا[1]. فالتراكم التاريخي جعل من العرف الدستوري قوة تتدفق في جسم الدستور الإنجليزي الذي ظل يقاوم كل محاولات التغيير في هويته، بمعنى كل محاولات التقنين. وهكذا تجسدت قوة العرف الدستوري ونفاذه في الحياة السياسية والدستورية في المجتمع الإنجليزي، حتى أضحى طوقا في وجدان وتفكير المجتمع الإنجليزي الذي تفرد في تمسكه بالدستور العرفي، بالرغم من تخلي العالم كله عن دساتيره العرفية واختيار الدساتير المقننة.

إن اختيار وتمسك المجتمع الإنجليزي بالعرف في صياغة بنيانه الدستوري ونظام حكمه لم يكن بالأمر الاعتباطي أو العفوي، وإنما كان نتاج تكوين تاريخي وسوسيولوجي لمجتمع عرف بأنه أكثر الشعوب ميلاً إلى النزعة المحافظة التي شكلت اختياراته السياسية، حتى أضحى العرف الدستوري اختياراً نابعاً من عقلية ومزاج وثقافة هذا الشعب المحافظ، ومتمسكا بهذا الاختيار بالرغم من كل المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الواقع الرأسمالي المتطور. إن التقاليد المحافظة التي تعتبر من أهم سمات الشعب الإنجليزي وعنوان سلوكه، ظلت سلطانا على الواقع السياسي والدستوري، إلا أنها لم تتحول إلى قوة تعيق عملية التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع الإنجليزي، بل على عكس ذلك، فإن هذا الاختيار الذي قام على التسوية العامة بين شرائح المجتمع الإنجليزي في مجموعه، أفضى إلى توليفة جعلت الشعب الإنجليزي يسعى، بنفس قدر حرصه على التغيير الرأسمالي المتطور في إنجلترا على الصعيد السياسي والمؤسسي والاقتصادي والاجتماعي، إلى التمسك بقوة العادات والسوابق التاريخية في البناء والتأثير والتحول إلى قواعد دستورية بصورة أكبر بكثير من محاولات دعاة تغيير هذا الدستور العرفي.

إن هذه العادات والسوابق التاريخية التي نمت في هذه البيئة المحافظة كانتا أكثر وضوحاً وتأثيراً، وهي تنتج هذه القواعد العرفية التي شكلت الدستور الإنجليزي، وذلك بقوة التأييد الشعبي لها، لدرجة يمكن القول إن الطابع المحافظ للمجتمع الإنجليزي أضحى وكأنه عقيدة يحرص على احترامها والتمسك بها. ولذا يعزو الفقهاء اعتقاد الإنجليز في القانون العام المستند استناداً حقيقياً أو مفترضاً إلى العادات القديمة للشعب الإنجليزي، إلى كونه الحصن الحصين الذي يحمي حرياتهم، وإن القانون المكتوب هو العجلة التي يمتطيها الاستبداد والتحكم[2]. بل إن ترسخ القواعد العرفية في وجدان الشعب الإنجليزي جعلهم يعتقدون، أن المبادئ التي تقوم عليها الحريات الأساسية، وبخاصة حريات الفكر والرأي والتعبير التي تجد أساس الحماية لها في هذه القواعد العرفية[3].

هذا الأمر خلق شعوراً عاماً لدى الشعب الإنجليزي لدرجة استطاع أن يوجه عقولهم للتمسك بهذه الأعراف كنتاج لتمسكهم بالتقاليد، وذلك كشعب يصر على أن يظل محافظاً، أي متمسكا بتقاليد المجتمع الإنجليزي المحافظ. وهذا الميل الكبير للشعب الإنجليزي إلى المحافظة على التقاليد يعود إلى المزاج التجريبي والنزعة المحافظة، بصورة تجعل من الأعراف والسوابق أعمق تأثيرا وأقوى شاناً وأكثر قدسية من الأحكام التي تتضمنها الدساتير الجامدة[4]. وهكذا أضحت النزعة المحافظة للشعب الإنجليزي القوة التي أسست سمو القواعد العرفية في الدستور الإنجليزي،

(1) Hauriou A.'et Gicquel J. et Gelard P.:Droit Constitutionnel et Institutions Politiques- 6em Edition - Montchrestien -Paris 1975- P343 et suiv.

(2) Rene' David: Les grandes systemes Juridiques- Dalloz – Paris 1977"- P.278 et suiv.

(3) Sir Alfred Denning:The Changing Law- London 1953- P.P5- 32 seq.

(٤) للتفصيل راجع: د. كمال الغالي: مبادىء القانون الدستوري والنظم السياسية- منشورات جامعة دمشق ١٩٩٤ ص٣٦٦.

د.محمد محمد بدران:القانون الإنجليزي –دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٩م ص ١٣١-١٧٥

حتى أكتسب هذا الدستور قوة التأثير في وعي ووجدان الشعب الإنجليزي تصل لدرجة القدسية، وهنا يكمن سر هذه القدسية التي جعلت الشعب الإنجليزي من التواصل الدائم مع هذا الدستور العرفي وبقيم التقاليد الموروثة.

وهكذا وجدت القواعد العرفية التي رسخت الدستور الإنجليزي البيئة التوليفية التي جعلت هذا الدستور يربط الماضي بالحاضر في صيغة لا نجدها إلا في المجتمع الإنجليزي الذي زاوج التقليدية بالحداثة والمعاصرة، فهو إذاً وليد تعاقب الأجيال وروح الشعب. فالدستور العرفي هو إذاً نتاج روح التقاليد المتأصلة في الشعب الإنجليزي، والتي صاغت المناخ الذي جعل القواعد العرفية هي المتأصلة في دستوره، لدرجة أنها الأكثر احتراماً، كما يقول الفقيه الفرنسي موريس دو فرجيه، من أية تدابير مكتوبة يمكن ان يحتويها دستور مكتوب[5]. وهذا ما يبين مدى تمسك المجتمع الإنجليزي بالقواعد غير المكتوبة، ويفضلها عن القواعد المدونة. وهذا ما عبر عنه الفقيه الإنجليزي "لوسن" قائلا: إن الإبقاء الدائم للقانون في شكل غير مكتوب يسهل المحافظة على استمراريته بصورة أفضل من الصياغة في قانون مكتوب أو في صورة مدونة[6].

وتأسيساً على ما تقدم نجد أن الشعب الإنجليزي يتميز بخصوصية في تاريخه وتمسكه بالتقاليد المحافظة الموروثة واحترامها لدرجة القدسية في الوقت الذي أسس البنيان الرأسمالي المتطور في المجتمع البريطاني، مما انعكس على صياغة نظامه السياسي ودستوره الذي طغت القواعد العرفية في بنيانه بالرغم من انتشار وسيادة الدساتير المقننة الجامدة والمتغيرات الاقتصادية والسياسية في المجتمع البريطاني.

المطلب الثاني

الخصوصية العرفية وسمات التدوين في الدستور الإنجليزي

بالرغم من أن الدساتير المدونة أضحت هي السائدة في الواقع السياسي والدستوري الراهن، بصورة أدت إلى انحسار الدساتير العرفية والمرنة، مما جعلها السمة التي تتميز بها الدساتير المعاصرة، إلا أن ذلك لا يعني أن الدساتير العرفية لم يعد لها وجود في الواقع المعاصر، فهناك من الدساتير التي استطاعت أن تصمد في وجه المتغيرات لتعلن عن استمرارية وجودها في أعرق الديمقراطيات الليبرالية وهي إنجلترا التي بقيت متمسكةً بالنمط العرفي لدستورها الذي تشكل عبر تاريخها السياسي. وهو دستور امتزجت فيه نصوص مدونة مع أغلبيه قواعد عرفية كانت الأساس الذي صاغ تلك الخصوصية العرفية التي تفرد بها الدستور الإنجليزي.

إن هذه الخصوصية العرفية التي تميز بها الدستور الإنجليزي لم تحل دون ولوج نصوص دستورية مدونة، فتاريخ الصراع السياسي بين أجنحة ومراكز القوى والحكم أنتجت ظروفا أفضت إلى إنتاج قواعد دستورية مكتوبة لعبت دوراً مكملاً للقواعد الدستورية العرفية لتشكل البنيان الشامل للدستور الإنجليزي. وجاءت هذه النصوص الدستورية المدونة خلال عهود تاريخية متباعدة، فكل وثيقة دستورية فرضها ظرف تاريخي وسياسي كان الأساس في إفرازها وإصدارها. وهناك العديد من الوثائق الدستورية المكتوبة التي شكلت الوثائق المدونة في الدستور الإنجليزي، وسنتناول الأهم منها في هذه السطور لتبيان طبيعتها والظروف التي فرضت وجودها في البنيان الدستوري الإنجليزي، ومن هذه الوثائق:[٧]

أ- العهد الأعظم- Magna Karta- The Great Charter:

هي أول وثيقة دستورية مكتوبة أصدرها ملك إنجلترا "جان سان تيير عام ١٢١٥". وكانت ممارسات الملك التي تميزت بالانتقام وسوء المعاملة مع خصومه، جعلته في عزلة سياسية فاقمت من الأزمة السياسية، ومن نتائجها هزيمته في حربه مع فرنسا، مما اضطره إلى الموافقة على تسوية سياسية مع خصومه وبخاصة الأشراف والكنيسة وذلك لإنهاء الخلاف وإعادة ترتيب الأوضاع السياسية في إنجلترا. وكان ثمرة هذه التسوية السياسية إصدار وثيقة

(5) Duverger M.: Institutions politiques et driot constitutionnel-. T.I. Themis – paris 1975 ' P233 et suiv.

(6) Lawson F. H.: The Rational Strength of English Law- London".P.P. 17- 24 seq.- & 146seq.

(٧) راجع للمزيد:

- Sir Ivor Jennings: The Law of the Constitution- E L B S. 5 th ed. London 1979.P.211.

- د. خالد عمر باجنيد و د. احمد الجيزاني: الوسيط في القانون الستوري والنظم السياسية – دار جامعة عدن للطباعة والنشر عدن ٢٠٠٦م.

- د. ادموند رباط: الوسيط في القانون الدستوري العام دار الملايين – بيروت١٩٦٤م ٧ وما يليها

عام ١٢١٥م أطلق عليها Magna Karta أي العهد الأعظم، وهي عبارة عن وثيقة دستورية مكتوبة.

وهناك من رجال الفكر الدستوري من اعتبر العهد الأعظم أول وثيقة دستورية مكتوبة في إنجلترا، إلا أن هناك من خالف هذا الرأي، ويرى بأن العهد الأعظم لا يمكن اعتباره وثيقة لحريات الأفراد، وبالتالي لا يمكن اعتباره وثيقة دستورية بالمعنى التام للكلمة، فهو ليس أكثر من وثيقة تسعى لتقييد سلطات الملك[8]، وهناك من يرى أن في العهد الأعظم لا يوجد أي اتجاه لتنظيم عقلاني للسلطة السياسية أو أي مفهوم معاصر للحريات التي تعتبر السمة الأساسية للدستور.[9]

ب- عريضة الحقوق Petition of Rights:

ويطلق عليها أيضاً ملتمس الحقوق، هي وثيقة دستورية مكتوبة تم إصدارها في ٦ يونيو ١٦٢٨م. وجاء إصدار هذه الوثيقة بعد احتدام الصراع بين الملك شارل الأول الذي أراد بإرادة ملكية فرض ضرائب على الشعب، وبين البرلمان الذي قاوم ذلك المسلك الملكي، مؤكدا أن فرض أية ضريبة ينبغي ألا يتم إلا بعد مصادقة البرلمان على فرضها. وهكذا انتصرت إرادة البرلمان، مما جعل الملك مضطرا أمام هذا الضغط للخضوع لإرادة البرلمان. وكانت النتيجة صدور هذه العريضة الحقوقية التي أقرت حقوق البرلمان التاريخية ليصبح فرض الضرائب من اختصاص البرلمان. وهكذا شكلت هذه العريضة الحقوقية بصدورها إضافة للوثائق الدستورية المكتوبة في الدستور العرفي الإنجليزي[١٠].

ج - بيان الحقوق: Bill of Rights-:

وثيقة دستورية مكتوبة تم إصدارها عام ١٦٨٩م على أثر ثورة ١٦٨٨م ضد الملك "جيمس جاك الثاني" ملك إنجلترا، وذلك بعد أن قام بإصدار أمر بقانون عطل بموجبه العمل بالقوانين الجنائية وذلك لمنحه العفو والغفران للذين انشقوا عن الكنيسة، مما أثار غضب وسخط البروتستانت الذين رأوا في هذا الأمر محاولة لرفع شأن الكاثوليك. وهذ الأمر أجج الصراع داخل الأسرة الحاكمة وكذلك الكنيسة، مما أشعل فتيل الثورة التي أفضت إلى هروب "جيمس جاك" إلى فرنسا وتتويج ملكٍ جديدٍ على إنجلترا. وعلى أثر نجاح الثورة والمتغيرات الجديدة تم صدور هذه الوثيقة الدستورية التي صدق عليها البرلمان بمجلسيه عام ١٦٨٩م وقبلها الملك الجديد. وهكذا شكلت هذه الوثيقة صياغة لأوضاع سياسية ودستورية جديدة في إنجلترا، وكذلك إضافة جديدة في الوثائق الدستورية المدونة[11].

وبموجب هذه الوثيقة تم إزالة الحكم المطلق في إنجلترا لتنتقل السيادة للبرلمان الذي أضحى وحده صاحب الاختصاص الأصيل للعمل التشريعي، وبهذا جرد الملك من سلطاته التشريعية، بل حرم حتى من سلطة وقف العمل بالقوانين أو الإعفاء من تطبيقها[12]. و هكذا أرست هذه الوثيقة الحقوقية أساسًا دستوريا جديدا تم بموجبه قيام نظام الملكية المقيدة الذي مهد الطريق للانتقال بالنظام النيابي الإنجليزي إلى نظام برلماني بالمعنى التام للكلمة.

هـ: وثيقة الهابياس كوربوس Habeas Corpus:

من الوثائق الدستورية التي أقرها البرلمان عام ١٦٧٩م الهابياس كوربوس، التي من أهدافها الأساسية: وضع قواعد أساسية لحماية الحرية الشخصية من تعسف السلطة العامة وتأمين حرية أفضل للمواطن، وذلك للحد من تصرفات الوزراء التعسفية للحيلولة دون القيام بالاعتقالات عبر البحار، هذا إلى جانب ما تضمنته الوثيقة من ضمانات زاجرة تشكل محوراً وسياجاً للحريات الفردية، ويعتبر الفقه الدستوري هذه الوثيقة القانونية ذات صبغة دستورية[١٣]

و- قانون توارث العرش:

ارتبط قانون توارث العرش الصادر عام ١٧٠١م بالصراع الديني ونفوذ الكنيسة في الحكم، حيث كان يهدف إلى إبعاد من يعتنق الكاثوليكية من اعتلاء عرش إنجلترا وإقرار هذا الحق لمن يعتنق العقيدة الأنجليكانية،

(8) Oman: History of England- London p.131.

(9) Yves Gauchet: Elements de droit constitutionnel- Ed. Elbatros –Paris 1981'-P.87.

(١٠) لمزيد من التفصيل راجع د. ادموند رباط الوسيط في القانون الدستوري العام – نفس المصدر ص ٢٩٢.

(11) E. S. C.Wade and G. Godfrey Phillips: The Law of the Constitution-5th Edition- London-1955. P.P.32-38 seq.

(12) Hood Phillips: Constitution and Administrative Law-London 1973.P.38 et seq.

(١٣) راجع د. ادموند رباط الوسيط في القانون الدستوري العام – نفس المصدر ص ٢٩٤.

حيث اعتبر ذلك شرطًا أساسيًا لتولى العرش. إن نظام توارث العرش الذي أعتبر جزءاً من البنيان الدستوري العرفي الإنجليزي، يعتبر من الموضوعات الدستورية المدونة في هذا الدستور، إلا أن طبيعته المرنة أخضعت موضوعاته للتعديل من قبل البرلمان، أما هو الأمر مع القوانين. ولذلك قام البرلمان بالتدخل لمرات عديدة عندما اقتضت الضرورة لإبعاد أسر معينة من تولى عرش إنجلترا. وقد تم فعلاً إبعاد الأسر التي أراد أصحاب الشأن إبعادها من تولى العرش، كما حدث مع أسرة استيوارت.[14]

ز- الأوامر بقانون المنظمة لسلطة البرلمان Acts of Parliament

تعتبرهذه الأوامر من الوثائق الدستورية المكتوبة التي اندرجت في الدستور العرفي الإنجليزي. وجاء صدورها عام ١٩١١م لتثبيت سلطة البرلمان في إصدار القوانين، وبناء على هذا التغيير أصبحت القوانين تصدر بناءً على سلطة البرلمان، بعد أن كانت تصدر بناءً على رغبة أحد المجلسين، والموافقة عليها بناءً على رغبة أحد المجلسين وموافقة المجلس الآخر[١٥].

وهنا بدأت المتغيرات في ميزان الاختصاص منذ نهاية القرن السابع عشر لتعزز من سلطة البرلمان، وتمهد الطريق لتقليص بعض اختصاصات مجلس اللوردات الذي منع من سلطة تعديل مشروعات القوانين التي تتضمن أحكاماً مالية، لأن الضرائب من اختصاص البرلمان باعتباره ممثلا للشعب صاحب السلطة في فرضها، وهذا الأمر لا ينطبق على مجلس اللوردات لكونه لا يمثل الشعب، وذلك منذ عام ١٧٠٧، هذا إلى جانب أن دور الملك استناداً إلى المتغيرات الدستورية أضحى شكلياً. وقد مهدت تلك المتغيرات السياسية الدستورية في إنجلترا الطريق لعمليات إصلاح للحياة البرلمانية الذي بدأ بصورة حاسمة منذ عام ١٩١٩م عند صدور قانون البرلمان، على أثر الأزمة الحادة التي نشبت بشأن قانونية الضريبة على الدخل، والذي اعتبره الفقه الدستوري الإنجليزي وثيقة الإصلاح البرلماني، لكونه أرسى مقومات جديدة للعمل البرلماني وبخاصة في المجالس التشريعية. وقد أدخل هذا القانون تعديلات جذرية في نظام الاختصاص الذي أمال الميزان بصورة حاسمة لصالح مجلس العموم الذي أضحى سيد الموقف في المجال التشريعي، مع الحد من سلطات مجلس اللوردات[16].

المطلب الثالث
القيمة القانونية للوثائق الدستورية المدونة في الدستور الإنجليزي

إن الأعراف الدستورية التي تشكلت من العادات والسوابق التاريخية التي اكتسبت مع الزمن قوة الإلزام، ميزت الدستور الإنجليزي في تكوينه وتشكيله التاريخي ومضمونه، إلا أن تحكم هذه الأعراف في بنيان الدستور الإنجليزي لم يمنع من ولوج قواعد دستورية مكتوبة في هذا البنيان الدستوري دون أن يغير ذلك من طبيعته كدستور عرفي. وهكذا أكد الدستور الإنجليزي في مسار تجربته التاريخية، أنه بالرغم من طبيعته العرفية، يمكن ان تحوي مكوناته قواعد دستورية مدونة، في الوقت أن التدوين لم يغير من طبيعته العرفية. فالتدوين يظل حقيقة تتفاعل وتتعايش مع القواعد العرفية داخل البنيان العام للدستور الإنجليزي، الذي يشكل أساسه التكوينات الدستورية العرفية. وفي هذا السياق يمكننا أن نجمل أهم سمات التدوين في الدستور الإنجليزي في الآتي:-

١- التدوين من ثمار الصراع السياسي في إنجلترا:

إن التدوين في الدستور العرفي الإنجليزي فرضته ظروف الصراع الذي ميز الواقع السياسي الإنجليزي منذ القرن الثالث عشر حتى هيمنة الرأسمالية وسيادة البرلمانية في ظل ملكية تسود ولا تحكم. وكل وثيقة من هذه الوثائق الدستورية المدونة نجدها مقرونة بظرف معين في تاريخ الصراع السياسي في إنجلترا. ومن هذه الوثائق ما

(14) Duverger M. Institutions politiques et Droit constitutionnel- op.cite'-P.239.

لمزيد من المعلومات راجع د.كمال الغالي – القانون الدستوري – نفس المصدر ص٣٦٥ ومايليها.

د، محمد محمد بدران – القانون الإنجليزي نفس المصدر ص١٩١ومايليها.

(15) Sir William Anson (R): The Law and Custom of the Constitution- part one Parliament 4th Edition London 1909 P.249 seq.

د. كمال الغالي: القانون الدستوري – نفس المصدر ص372

(16) E. C. S. Wade and A. W. Bradley: Constitution and Administrative Law-10th Edition-London P.75.

قيدت الملك في سلطاته، كما هو الأمر مع العهد الأعظم أو في المجال الضريبي كما هو مع ملتمس الحقوق أو في المجال التشريعي مع تأكيد سيادة البرلمان التشريعية مع وثيقة الحقوق والمعزز بصدور قانون البرلمان الذي أكد سيادة مجلس العموم البريطاني في المجال التشريعي وتقييد اختصاصات مجلس اللوردات.

٢- الوثائق المدونة تتسم بالتناثر:

الوثائق الدستورية المدونة في الدستور الإنجليزي تتسم بالتناثر، حيث لم تصدر في مدونة واحدة تجمع الأحكام الدستورية في وثيقة واحدة، بمعنى أنها عبارة عن وثائق دستورية متناثرة منفصلة عن بعضها البعض. فكل وثيقة صدرت في فترة زمنية متباعدة عن الأخرى، وكل وثيقة تهتم بموضوع متميز عن الآخر. ولذا نجد هذه الوثائق الدستورية صدرت في فترات تاريخية متباعدة تبدأ من عام ١٢١٥م مع الماجنا كارتا، اي العهد الأعظم حتى عام ١٩٥٨ م مع قانون إقرار حق العضوية للنساء.

٣- التدوين ظل محكوما بفواصل زمنية متباعدة:

بالتمعن في أعوام صدور هذه القوانين نجدها تتسم بفواصل زمنية متباعدة، بحيث يفصل القانون عن الآخر كحد ادنى عشرون عاما، وكحد أقصى أربعمائة وثلاثة عشرعاما، وهي فترات زمنية مفرط في طولها، وهذا أمر غير طبيعي في عالم القوانين المدونة، ومع ذلك كانت تتسم بالثبات والاستقرار، وان كانت عرضة للتغيير والتعديل وفق مقتضيات التطور السياسي والاجتماعي.

٤- التدوين يظل استثنائياً:

الوثائق الدستورية المدونة محدودة العدد ولأغراض، وذاك بالمقارنة بالقواعد العرفية التي تشكل الأغلبية العظمى من قواعد الدستور الإنجليزي. كما أن القواعد المدونة أو المكتوبة في وثائق دستورية تظل في بريطانيا استثناءً من الأصل العام، وهي القواعد العرفية[١٧]. فالقواعد الدستورية المدونة لا تشكل إلا الجزء اليسير في الدستور الإنجليزي الذي يعتبر القواعد الدستورية العرفية مكونه الأساس، بل هي الأصل العام، لدرجة أن القواعد المدونة ظلت أسيرة تأثير الطبيعة العرفية للدستور الإنجليزي، التي تعبر عن النزعة المحافظة للشعب الإنجليزي ومزاجة السياسي، والذي جعله حريصاً على احترام الدستور وقدسيته.

٥- التدوين سمة حاضرة في الدستور العرفي الإنجليزي:

إن حضور التدوين في الدستور الإنجليزي يظل جليا، بالرغم من محدوديته، ومع ذلك لا يغير من الطبيعة العرفية لهذا الدستور. وبالرغم من أن الوثائق المدونة في الدستور الإنجليزي تم اعتبارها دستورية، إلا أن هناك في الفقه الدستوري من يرى في بعض هذه الوثائق مثل الماجناكارتا، بعدم جواز اعتبارها وثيقة تامة للدستور الإنجليزي، وإنما هي مظهر لتقييد سلطات الملك[18]، إلا أن هناك في الفقه الدستوري من يرى الماجناكارتا على أنها دستور، حيث تم وصف العهد الأعظم بأنه أول دستور إنجليزي مكتوب[١٩].

ومع هذا يمكن القول بأن الموضوعات التي تناولتها هذه الوثائق المدونة تتعلق بصورة مباشرة بالحكم وبالسلطات العامة وتنظيم اختصاصاتها، سواء تعلق الأمر بدور الملك في الحكم والتشريعات أو بمكانة البرلمان بمجلسيه في نظام الحكم الإنجليزي أو باختصاص كل منهما في مجال التشريع، أو بقضايا توارث الحكم، وهي من أمور الحكم أوما يتعلق بالحقوق والحريات أو بحق المرأة في الانتخاب. وبالتمعن في هذه الموضوعات نجدها في صلب الموضوعات الدستورية في الدساتير المعاصرة. ولذا فالوثائق المدونة في الدستور العرفي الإنجليزي هي دستورية بالمعنى التام للكلمة، ومكانتها في الدستور الإنجليزي تندرج في الصياغة الدستورية التي تجسد رؤية الشعب الإنجليزي المحافظ.

٦. محدودية التدوين:

التدوين في الدستور العرفي الإنجليزي تتسم بالمحدودية، بالرغم من أهمية الموضوعات التي تناولتها الوثائق المدونة، وبالتالي لا يشكل التدوين عماداً أساسياً مما يقلل من أهميتها في إطار البنيان الشامل للدستور الإنجليزي. ولذا فالوثائق المكتوبة وغيرها رغم تعددها تبقى مجرد مصادر لقواعد محدودة نسبياً، مقارنة بالقواعد الأساسية والجوهرية

(١٧) راجع د. عبد الفتاح حسن: مبادىء النظام الدستوري في الكويت – الكويت ١٩٦٨ ص ٣٥.
د. كمال الغالي: القانون الدستوري – نفس المصدر ص١١١

(18) Oman: History of England- op. cit.-P131

(١٩) راجع د. عبد الحميد متولي ود. سعد عصفور ود. محسن خليل: القانون الدستوري والنظم السياسية- منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦٧م – ص١٥٨.

في النظام النيابي البرلماني، والتي تكونت بواسطة العرف. ولذلك يصدق على إنجلترا القول بأنها دولة ذات دستور غير مدون، بالنظر للوضع الغالب في قواعد نظام الحكم فيها.(٢٠)

المبحث الثاني

إشكاليات التقنين والتعديل في النظام الدستوري الإنجليزي

إن المسار التاريخي الذي أنتج الدستور الإنجليزي حمل معه خصوصية تفرد بها هذا الدستور بمكوناته العرفية التي أخذت تتحدى الزمن والمتغيرات، في الوقت الذي أخذ يتعايش مع كل هذه التطورات المعاصرة. ومع ذلك فإن هذه الخصوصية أنتجت إشكاليات ارتبطت بمكونات هذا الدستور. وأهم هذه الإشكاليات ما يتعلق بالتقنين الذي تمت مقاومته حتى الآن، وكذلك ما يتعلق بتعديل هذا الدستور الذي وإن اعتبر من الدساتير المرنة إلا أن صعوبة تعديله هي ما تترجم إشكالياته.

المطلب الاول

إشكالية التقنين في النظام الدستوري الإنجليزي

من الإشكاليات البارزة في عالم التشريع في إنجلترا تبرز أمامنا أهم إشكالية هي إشكالية التقنيين، وبصورة أكثر حدة على النطاق الدستوري. وبالرغم من التغيير الهائل الذي حدث على نطاق تقنين الدساتير منذ إعلان الدستور الأمريكي إثر استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٨٧، إلا أن قضية التقنين ظلت في إنجلترا مسألة محكومة بالرفض في المجتمع الإنجليزي، مما أفضى إلى بروز تيارات تدعو إلى تقنين التشريع في بريطانيا بصوره عامة والدستور بصورة خاصة، مما جعل التقنين موضوع صراع سياسي وفكري وفقهي لايزال يتفاعل حتى اليوم في المجتمع البريطاني. وبما أن التقنين لا يزال إشكالية وخارج جدول اهتمامات المجتمع البريطاني وقواه التقليدية المحافظة والرافضة للتقنين، إلا أن ذلك لا يعني أن التدوين في إطار الدستور العرفي الإنجليزي غائباً، فهناك وثائق دستورية مكتوبة، لا تزال تغذي هذا الدستور.

وكما هو جلي من أن الدستور الإنجليزي نشأ على أساس مكوناته العرفية. فالنزعة المحافظة للشعب الإنجليزي كانت وراء الولادة العرفية لهذا الدستور والتمسك بمكوناته العرفية، وإصراره وراء استمرارية هذا التمسك بهذا الدستور، بالرغم من المتغيرات السياسية والقانونية التي أفضت إلى سيادة الدساتير المدونة المقننة على الصعيد العالمي، والتخلي عن الدساتير العرفية. فبريطانيا هي الاستثناء الوحيد في إبقاء الموروث السياسي المحافظ، والتعبير عنه في الدستور العرفي، والإصرار على التمسك به.

ومع ظهور الدساتير المعاصرة وانتشار حركة التقنين وسيادتها على نطاق العالم المعاصر، بدأت رياح المتغيرات الدستورية تعم العالم المعاصر وبخاصة في القارتين الأمريكية والأوروبية. وكانت بريطانيا من الدول التي وصلت إليها رياح التقنين التي أفضت إلى ظهور تيارات قانونية وسياسية متباينة أنتجت صراعاً فكرياً قانونياً وسياسياً أثار جدلاً واسعاً حول موضوع التقنين للدستور البريطاني. هذا التأثير لعب دوراً كبيراً في نشأة تيارات قانونية سياسية بلورت رؤى نقدية متباينة للنظام الدستوري الإنجليزي. ومن هذه التيارات ما عرف بتيار التقنين الذي سعى إلى المطالبة بتقنين الدستور الإنجليزي، وبالمقابل هناك تيارات كانت الأقوى والأوسع انتشاراً، وهم الذين يؤكدون على ضرورة المحافظة على الواقع السياسي والدستوري بطابعه التقليدي المحافظ، وهم أنصار إبقاء الطابع العرفي للدستور الإنجليزي والرافضين لتقنينه.

وللإحاطة بمعطيات إشكالية التقنين للدستور الإنجليزي، نرى من الضروري أن نتناول سر المعادلة المعقدة بين واقع اقتصادي واجتماعي يتطور بسرعة فائقة وفقاً للمعطيات الرأسمالية المتطورة، وفكر ليبرالي بأفقه المفتوح وبأبعاده السياسية المتطورة، وبين دستور ينظم حياة الدولة وسلطاتها والحريات العامة، بأحكام ورؤية من الموروث التقليدي القديم، في إطار المعادلة الإنجليزية التي تجد جذورها في طبيعة الصراع الذي أفرز الرأسمالية واحتكم إلى التسوية التي تحكمت في مسار هذا الصراع الذي قاد إلى بزوغ الرأسمالية وتطورها وتحكمها، مع بقاء مفاصل واقع الموروث القديم يتعايش مع هذا التغيير ويعبر عن نفسه مؤسسياً ولو بصورة نظرية.

إن معطيات التطور العام ذات الخصوصية الإنجليزية

(٢٠) لمزيد من التفصيل راجع د. محمد رفعت عبد الوهاب: القانون الدستوري- منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٩٠م ص٣٣-٣٤.

هي وراء تمسك الجميع وبخاصة القوى الرأسمالية وأصحاب الاتجاهات الليبرالية، بهذا الدستور وبطابعة العرفي، والنظر إليه على أنه القاسم المشترك والغطاء الذي يقر الجميع البقاء في ظله لينظم حياة الدولة والمجتمع. وهذا سر تشكيل الرأي العام الذي يقف مع الدستور بطابعه العرفي ليحكم الواقع الإنجليزي المتطور، مما جعل كل محاولة لتقنين الدستور الإنجليزي مسألة في غاية التعقيد والصعوبة، وهنا تكمن الإشكالية وإفرازات مسار الصراع من أجل تقنين هذا الدستور، وهو صراع سيتواصل طالما الصراع الفكري يفعل فعله في المجتمع وتتكاثر القواعد الدستورية المدونة في إنجلترا، لدرجة أن البعض أخذ يتنبأ بأن إنجلترا سوف يكون لها دستور مدون في وقت قريب(٢١).

بعد هذه الإطلالة الموجزة لابد من الإفصاح عن رؤى التيارات المتصارعة حول تقنيين وعدم تقنيين الدستور الإنجليزي، باعتبار ذلك جوهر إشكالية الصراع البنيان العام للدستور الإنجليزي بشكل عام وحول فكرة تقنينه بصورة خاصة. وستكون البداية مع أنصار الدستور العرفي الإنجليزي وصياغة تبريراتهم حول رفضهم للتقنيين وتبيان مساوئه لنعرج إلى أنصار التقنين ورؤيتهم وتبريراتهم لأهميته وضرورته.

في البدء يجوز لنا القول بأن بريطانيا ظلت الدولة التي تثير الجدل حول دستورها العرفي الذي يصر الأكثرية على بقائه بالرغم من اتجاه العالم بأسره نحو تدوين دساتيرهم وتقنينها. بل إن إصرار الإنجليز على عدم تقنين دستورهم يزيد من هذا الجدل حتى أضحى إشكالية. وفي ظل هذا المناخ من الجدل والصراع نشأ ونما اتجاه يسعى من خلال دوره الفقهي والأكاديمي إلى صياغة رؤيته من أجل تقنين الدستور الإنجليزي. وقد بدأ هذا الاتجاه في الظهور في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكانت البداية مع رجل الفكر القانوني والسياسة الإنجليزي جيرمي بنتام "١٧٤٨- ١٨٣٢م" الذي عرف بأنه من أنصار فلسفة التنوير(22).

ومع بدايات نقده العام للنظام القانوني الإنجليزي، سعى بنتام وفق خصوصية متميزة إلى ربط نقده هذا بتلك الخلاصات التي شملتها عمليات النقد في القارة الأوروبية للقانون الإنجليزي، وذلك بإبراز ضعف هذا القانون وغموضه والتأكيد على ضرورة تقنينه ووضع قيود قصوى على سلطة القاضي. فالتقنين أساس القانون، ويقول في هذا الجانب حيث لا توجد قوانين لا توجد حكومة، وبالتالي لن تكون هناك حقوق مصانة لأنه من الخطورة الحديث عن حقوق سابقة عن الدولة(23).

ويتبين من أعمال بنتام الفكرية والقانونية والفلسفية أنه مفكر ليبرالي وذو نزعة فردية نفعية، أراد أن يحدث انقلاباً على الواقع الدستوري والقانوني المستند على العرف والمحافظة على التقاليد، وذلك بخلق ثورة فكرية من أجل تقنين الدستور الإنجليزي بصورة خاصة والتشريع بصورة عامة. واستطاع بنتام أن يخترق جدار النظام القانوني المحافظ في إنجلترا حتى وجدت آراؤه حول التقنين أذاناً صاغية بين أوساط المثقفين والراديكاليين في بريطانيا، بل امتد تأثير نظرياته وأرائه إلى أوروبا وبخاصة بين أوساط الراديكاليين. وهكذا كانت أعمال بنتام إسهاما نظرياً وإثراء للفكر القانوني والسياسي في بريطانيا، إلا أنه على الصعيد العملي لم تلق نظريات بنتام حول التقنين والقانون الوضعي أي نجاح. فلم يلتفت الفقهاء أو القانونيون والمشرعون إلى آرائه، بل جوبهت هذه الآراء بعداء شديد من قبل المحافظين والشارع الإنجليزي.

إن الواقع الإنجليزي ظل رافضاً للأفكار الفلسفية القانونية لبنتام. فالتقنين جوبه بالرفض، ولم يتحقق في بريطانيا، وظل النظام القانوني الإنجليزي بتقاليده وجذوره التقليدية المحافظة وبطابعة العرفي هو السائد والمسيطر حتى اليوم. وبقدر ما أثار مقاومة التقنين الإحباط بين عالم المثقفين، فإن التقنين ظل هامشياً حتى على الصعيد الفقهي. وبالرغم من أن التقنين انطلق بقوة على صعيد القارة الأوروبية، وبخاصة فرنسا، إلا أن بنتام لم يستطع أن يحقق أدنى تأثير على الصعيد العملي. فكل محاولاته عن التقنين لم تحقق أي نجاح من الناحية العملية، وبخاصة في

(٢١) راجع د. عبد الغني بسيوني عبد الله: القانون الدستوري – الدار الجامعية بيروت ١٩٨٧م ص١٣١.

(22) Guido Fassphie de droit – . 6Guido Fasso: histoire de la philosophie de droit xix-xx- vol. xx siecles- L.G.D.J. Paris – 1976 p.16.

(23) Bentam J.: Anarchical Fallacies- Edition Bo wring- T.II London 1816- P.500-501.

المجال الدستوري[24].

ومن أنصار التقنين في بريطانيا الفقيه الإنجليزي جون اوستين (١٧٩٠-١٨٥٩م) الذي عاصر بنتام. وكان من الرافضين للنموذج القانوني الإنجليزي، إلا أنه على عكس بنتام كان محافظاً، ولم تكن له اتجاهات إصلاحية، فارتبط تقريباً بالمدرسة التحليلية للقانون الوضعي، حيث ينظر إلى القانون كما هو سواء أكان جيداً أو سيئاً[25]. وباعتباره من أنصار التقنين سعى "اوستين" إلى صياغة رؤيته حول التقنين من خلال موقفه من العرف ومكانته الإلزامية. فيقول إن القواعد التي يكون مصدرها العرف لا تعدو أنها قاعدة أدبية، وتبقى كذلك إلى أن تكتسب الصفة القانونية الملزمة بأحدى طريقتين؛ الطريقة الأولى بواسطة السلطة التشريعية، ويكون مصدرها بعد ذلك هو التشريع، والطريق الثانية بواسطة القضاء[26]. مع أن اوستين من أنصار التقنين، إلا أن حماسه الضعيف ونزعته المحافظة، جعلاه أقل تأثيراً في ميدان الصراع من أجل التقنين. وبالرغم من ذلك فقد ترك بصمات واضحة في المجال النظري للقانون الإنجليزي، وذلك على الصعيد الأكاديمي وبخاصة في الجامعات الانجلوسكسونية.

وهكذا جاء رفض التقنين محمولاً بتبريرات أنتجها التعصب للتقاليد المحافظة والحب للموروث القديم، ليشكل اتجاها صاغ رأياً عاماً رفضاً لفكرة التقنين، ليظل الدستور الإنجليزي محكوماً بعرفيته ومعلناً عن مقاومته للمتغيرات. فالإنجليز كما يقول الفقيه الإنجليزي "لوسن" ينظرون إلى القانون غير المكتوب على أنه ألاصل، وإلى القانون المكتوب على أنه الاستثناء[27]. وايا كان الأمر فالواقع الإنجليزي لايزال يترجم عن نفسه فيما أنتجه موروثه القديم وصانته تقاليده المحافظة، وعلى أساس تواصل الحاضر بالماضي. فبقى القانون الإنجليزي كما تكون تاريخياً، على الرغم من الظروف والتقلبات التي مر بها. فالتقاليد في إنجلترا تتغلب على الفكر المنتظم أو على الفكر والتنظيم[28]. وفي ظل هذا المناخ السياسي والتشريعي نجد الدستور الإنجليزي الأكثر تمسكاً بالعرف الذي تم إنتاجه على مر التاريخ الإنجليزي، بل ظل الأكثر انغلاقا والأكثر محافظة للتقاليد الموروثة.

إن استمرارية تحكم القواعد العرفية في مكونات الدستور الإنجليزي، كنتاج لتمسك الشعب الإنجليزي بكل فئاته بهذا الدستور، وقدرته على أن يفعل فعله بالرغم من كل المتغيرات التي يمر بها المجتمع الإنجليزي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، مما جعله أكثر قدرة على مقاومته لديناميكية التغيير. وبالرغم من كل هذه المعطيات يمكن القول بأن فكرة تقنينه، بالرغم من استحالة تحققها في الواقع الإنجليزي، إلا أنها لاتزال تحتل مكانة الصدارة في الصراع الفقهي والسياسي داخل المجتمع الإنجليزي. وهذا ما جعل التقنين إشكالية تعلن عن طبيعة الخلافات بين المتمسكين بواقع الحال، وهم الأقوى دون شك، وبين الذين يرون ضرورة إعادة البنيان العام للدستور الإنجليزي وذلك بتقنينه، وهم الطرف الأضعف، ولكنه طرف طامح و قادر على الإعلان عن نفسه، وعلى أن يعلب دوراً في سيرورة هذا الصراع.

المطلب الثاني

إشكالية تعديل الوثائق المدونة في الدستور العرفي الإنجليزي

مع أن الدستور الإنجليزي يعتبر أساس مكوناته القواعد الدستورية العرفية، إلا أنه احتوى أيضا كما تم إيضاحه على وثائق دستورية مكتوبة،. وهذا التدوين في بعض الوثائق الدستورية لم يغير من الطابع العرفي للدستور في مكوناته وجوهره. ومع أن هذه الوثائق المكتوبة تتسم بطابع دستوري إلا أنه تم اعتبارها في مصاف القوانين العادية من حيث القوة والقيمة القانونية. وبهذه الصفة فإن تعديل أحكام هذه الوثائق الدستورية التي تندرج في إطار الدساتير المرنة والتي يتم تعديلها بصورة اعتيادية بالإجراءات نفسها التي يتم بها تعديل القوانين العادية، ومن الجهة نفسها التي تتولى تعديل هذه القوانين وهي السلطة التشريعية.

ففي إنجلترا، وهو البلد الذي لايزال دستوره يعرف

(24) Guido Fasso: 6Guido Fasso: histoire de la philosophie de droit. . op. cit. P.18.
(25) op.cit. P.21 et suiv.
(26) Austin J.: Lectures on Jurisprudence vol. I -5th Ed.- Bentham works- London 1885- P. 36 seq.
(27) Lawson F. H.: The Relational Strength of English Law –op cit. P.17.
(28) Rene' David: Les Grandes Systemes Juridiques- op. cit. P.290 et suiv.

بالدستور العرفي، فإن مسألة التعديل تثير التساؤل بالرغم من أن الطابع المرن الذي يتميز به الدستور العرفي، مما يجعله عرضة للتعديل من قبل البرلمان كما هو الأمر مع القوانين العادية. والبرلمان الإنجليزي بما يملك من قوة، قادر كما يقال عنه على أن يفعل أي شيء، عدا أن يجعل من الرجل امرأة[29]، وكما يقول أحد الكتاب الإنجليز، أن ليس ثمة ما يمنع البرلمان الإنجليزي إذا شاء بين يوم وليلة أن يلغي نفسه ويفوض الحكم إلى عصبة الأمم، وذلك باتباع نفس الإجراءات التي يتبعها في حالة تعديل قانون تشكيل المجلس البلدي لمدينة لندن[٣٠]. كما أنه قادرا على أن يتولى مسألة تعديل قواعد الدستور العرفي، وكذلك قواعد الوثائق الدستورية المكتوبة التي تكمل الدستور العرفي، بذات الإجراءات المتبعة في سن وتعديل القوانين العادية.

وقد يبدو هذا الأمر طبيعياً وقانونياً من الناحية الإجرائية، كوننا أمام دستور يصنف من بين الدساتير المرنة، مما يجعله في مصاف القوانين العادية، وبالتالي يجعل تعامل السلطة التشريعية معه أمراً ميسراً واعتيادياً. إلا أن الأمر بالنسبة للدستور الإنجليزي ليس بالأمر الهين، ومن الصعب على البرلمان أن يعتبرها من المهام العادية، كما هو الحال مع القوانين العادية، وهذا ما يثير إشكاليات من الصعب تجاوزها والسيطرة عليها، لكونها إشكاليات تتعلق بالتعامل مع موضوعات دستورية بكل تعقيداتها ومكوناتها الشائكة، وبنظام الحكم. وهنا ليس الواقع العملي فقط هو ما يحول دون قدرة البرلمان على التصرف منفرداً بالقيام بإجراء التعديلات الدستورية، والتعامل مع القواعد الدستورية تعامله مع القواعد التشريعية العادية، ولكن أيضا قوة الموضوعات التي يتناولها الدستور وقيمتها القانونية ومكانتها تجعل الأمر أيضا في غاية الصعوبة.

وهذا ما يفرض في المقام الأول عدم حصر الأمر في الجانب الشكلي، فتجاهل المشكلات الموضوعية قد يثير إشكاليات حادة، وقد يجعل مهمة البرلمان أكثر صعوبة وتعقيداً. فموضوعات الدستور التي هي أساس الدولة وعمادها، والتي بدونها تنهار الدولة دستورياً ومؤسسياً، وبالتالي المساس بها، أمر قد يتسم بالخطورة، لكون التعديل هنا سيمس هذا البنيان الشامل للدولة، وهنا من الصعب تصور أن البرلمان يستطيع وحده أن يقرر ذلك.

وبالرغم من إقرار الفقه الدستوري التقليدي بوجود الاختلاف من الناحية الموضوعية بين القواعد الدستورية المرنة والتشريعات العادية، وذلك بحكم اختلاف طبيعة الموضوعات التي يتناولها كل منهما، إلا أن ذلك لم يحل دون إصرار بعض الفقهاء الدستوريون على مساواة القواعد الدستورية والتشريعات العادية في القوة والقيمة القانونية. إلا أن الواقع الدستوري يقول إن قوة الموضوعات التي تناولها الدستور حتى وان وصف بالمرن لمجرد الاعتماد على المعيار الشكلي، لا يمكن أن تتساوى مع قواعد تشريعية عادية تمس أوضاعاً هي وليدة الأساس المجسد في الدستور.

ومن حيث الواقع، تشير مصادر الفقه الدستوري، إلى أن الأمر بالنسبة للبرلمان ليس بالأمر اليسير، وبالرغم من أن البرلمان قادر على تعديل أو إلغاء الدستور، سواء في قواعده العرفية أو المكتوبة، فهو يفعل كل شيء في النظام الدستوري البريطاني عدا أن يجعل من الرجل امرأة[٣١]، ولكن الواقع يشير إلى غير ذلك، فالأمر أكثر تعقيداً. وكما يرى بعض الفقه أن البرلمان لا يملك الجرأة للمساس بأحكام الدستور تعديلا أو إلغاءً، إلا إذا اجتمعت العوامل التي تجعل البرلمان مؤهلاً للقيام بهذا التعديل. بمعنى ضرورة طرح فكرة التعديل أمام الرأي العام الذي يشكل اقتناعه شرطاً أساساً للأخذ بمبادرة التعديل. إن قوة تأثير الدستور العرفي البريطاني وتغلغله في وجدان الشعب الإنجليزي بصورة تفوق تأثير الدساتير المكتوبة الجامدة في وجدان شعوبها جعلت أمر التعديل أمراً صعبا ومحكوماً بعوامل تفوق قدرة البرلمان في أمر التعديل. ومن حيث القوة والقيمة القانونية، فإن الجانب الشكلي في الدستور المرن يقر المساواة في إجراءات التعديل بين أحكام الدستور مع قواعد قانونية عادية تأتي في الأساس تفصيلاً للأحكام الأساسية التي يتضمنها الدستور، بمعنى موضوعات أقل أهمية، بل تأتي في مراتب أدنى عن تلك

(29) Lafarriere Julien: Manuel de Droit Consti tutionnel –2em Edition- Paris 1947 -I- op. cite' P 282.

د. كمال الغالي: القانون الدستوري –نفس المصدر ص١١١

(٣٠) راجع د. ثروت بدوي: القانون الدستوري وتطور الأنظمة الدستورية في مصر- دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧١م ص١٠١

(٣١) راجع د. كمال الغالي: مبادىء القانون الدستوري والنظم السياسية – نفس المصدر ص٣٦٦.

التي يتضمنها الدستور. وهذه المساواة في الجانب الإجرائي، تثير دون شك إشكالية بالضرورة أخذها بعين الاعتبار. فأحكام الدستور تمس الدولة في شموليتها ومكوناتها وسلطاتها وتمس المجتمع في حقوقه وحرياته، وكل مساس بالتعديل في أحكام الدستور وفق إجراءات تعديل القوانين العادية، يمكن أن يمس بالتغيير جوهر النظام السياسي وأسسه، وهو أمر لا يمكن أن يمر ببساطة مرور تعديل القوانين العادية، بل قد يجابه استحالة قبوله. ويعود ذلك إلى أن تعديل البرلمان للقوانين العادية وما يتبع في ذلك من إجراءات ليست في جسامة تعديل أحكام الدستور.

وهنا قد تنتفي المساواة، وبالتالي يكون البرلمان أمام إشكالية بشأن تعديل الدستور، مما يجعل المساواة الإجرائية في هذا الوضع أمراً صعبا بل مستحيلاً. فالبرلمان قد يكون أضعف من أن يتولى تعديل الدستور بصورة منفردة. وتجربة تعديل قواعد توارث العرش تؤكد هذه الحقيقة، فالبرلمان الإنجليزي عندما أراد أن يقوم باستبعاد بعض فروع الأسرة المالكة، لم يقم بذلك بمفرده وإنما سعى لدعم قراره إلى موافقة برلمانات الدوميونات، نظراً لأن ملك إنجلترا يعتبر في الوقت ذاته ملكا لاسكوتلانده وايرلندة الشمالية وكندا واستراليا ونيوزيلانده الجديدة(٣٢).

إن هذه الإشكاليات تثير دون شك التساؤلات حول مدى قدرة البرلمان إجراء تعديل أحكام الوثائق المدونة في دستور المجتمع الإنجليزي بنفس آلية تعديل القوانين العادية، دون إثارة الرأي العام الذي قد يرى أن ما يتم المساس به بالتعديل يمس ما ترسخ في وجدانه، وأضحى جزء من ثقافته وتقاليده. فالواقع السياسي الإنجليزي قد يكون أكثر تعقيداً من الواقع القانوني، بمعنى آخر إن الناحية العملية قد تفرض وضعاً يجعل تعديل هذه الوثائق المدونة في الدستور العرفي الإنجليزي أمراً صعب المنال. وما مقاومة التقنين للدستور الإنجليزي رسمياً وشعبياً إلا دليل ساطع على تمسك الواقع الإنجليزي بالموروث الدستوري والقانوني. وهذا ما يقودنا إلى القول بأن البرلمان ومنذ وقت مبكر لعب دوراً حاسماً في صياغة الوثائق الدستورية المكتوبة التي شكلت جزءًا من الدستور العرفي الإنجليزي، وهذا يعود إلى البرلمانية التي تعتبر إنجلترا منشأها وملعبها الأساسي، والتي جعلت البرلمان مركز الحكم ووعاء السلطة والمصدر الفعلي للسلطة، بل مصدراً للقوة والاختصاص(٣٣). إلا أن الأمر عندما تعلق بالتعديل تجسدت على صعيد الواقع العملي الصعوبات والتعقيدات.

(٣٢) راجع د. كمال الغالي: مبادىء القانون الدستوري والنظم السياسية– نفس المصدر ص٣٦٩.

الخاتمة

وتأسيساً على ما تقدم تبين لنا معطيات التاريخ والواقع أن التجربة الدستورية في إنجلترا ظلت محكومة بالطابع العرفي، مدعومة بتشبث مجتمعي للموروث التقليدي المحافظ للدستور البريطاني. وهذا ما جعل العرف الدستوري، بالرغم من ولوج التدوين في الحياة الدستورية الإنجليزية، يفعل فعله في الحياة الدستورية في دولة لاتزال تتمسك بهذا العرف لدرجة الإطلاق، بل أصبح هذا العرف الدستوري كما يؤكد الفقه الدستوري المتحكم في ميدان الحياة السياسية وفي بنيان الدستور الإنجليزي. وهذا ما جعل التدوين يتسم بالمحدودية، ولم يؤثر في مكانة العرف الذي ظل السيد والمتحكم في الحياة الدستورية والمعبرالحقيقي لهوية الدستور الإنجليزي لأن الأعراف والسوابق التاريخية هما الأصل العام والروح في هذا الدستور الذي تشكل في صلب التاريخ السياسي الإنجليزي، ومن روح التقاليد المحافظة المتأصلة في الشعب الإنجليزي، كان لها الأثر الجلي في صياغة المناخ الذي جعل القواعد العرفية هي المتأصلة في الدستور الإنجليزي، لدرجة لاقت احتراماً.

وهكذا أظهرت هذه المعطيات التاريخية أن المجتمع الإنجليزي يعتبر حالة متميزة في تاريخ صراعه السياسي وفي صياغة حياته المحافظة، وفي نظرته للعالم السياسي بنظرة محافظة، حيث يرى فيها الطريق الأمثل لربط الماضي بالحاضر، مما انعكس ذلك على صياغة نظامه السياسي ودستوره الذي طغت القواعد العرفية في بنيانة، بالرغم من المتغيرات التي مست الدساتير المعاصرة.

وبشأن إشكالية تعديل الدستور الإنجليزي يتبين وكما يؤكد جانب من الفقه الدستوري، أن الدستور المرن رغم قابلية تعديله بإجراءات القوانين العادية ذاتها، إلا أنه من

(٣٣) راجع د. خالد عمر باجنيد ود. احمد صادق الجيزاني: الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري– نفس المصدر ص١١٩.

الناحية العملية وبخاصة بالنسبة للدستور الإنجليزي يصعب تصور تعديله، إلا إذا اقتنعت الأفكار والرأي العام وكافة الاتجاهات الشعبية بضرورة هذا التعديل، فبالرغم من مرونته إلا أنه يتمتع باستقرار نسبي إلى حد كبير. وهنا تكمن صعوبة التعديل، لتظل إشكالية تحكم الممارسة السياسية في التعامل مع الوثائق الدستورية المكتوبة في الدستور الإنجليزي. ولذا تكون الصعوبة بارزة عند الحديث عن تعديل الدستور البريطاني. فميل الشعب البريطاني إلى المحافظة على التقاليد يجعل من دستوره أقوى شأناً وأكثر قدسية من الأحكام التي تتضمنها الدساتير المدونة الجامدة.

وبالنسبة للتقنين تعتبر الإشكالية الأكثر تعقيداً، وذلك يعود إلى النزعة المحافظة للمجتع الإنجليزي، التي لا تزال تعبر عن نفسها بقوة لا يمكن إنكارها. فبالرغم من رياح التغيير التي أصابت القارة الأوروبية في مجال تقنين الدساتير، وبالرغم من الحملات الفكرية والفقهية التي قادها بنتام من أجل تقنين الدستور الإنجليزي، إلا أن قوة التيارات المحافظة وقاعدتها الاجتماعية الواسعة، كانت الأكثر تعبيراً وإثارة، ولايزال الإنجليز على قناعة بقدرة دستورهم العرفي في التعبير عن رؤيتهم في مجال الحكم والحريات وفي التعامل مع الواقع المعاصر في بريطانيا. فالإنجليز لا يزالون يتمسكون بالقديم، وتمسكهم هذا كما يقول دافيد رينيه هو الذي يحول دون تقنين القانون الإنجليزي. فالمشرع الإنجليزي، عندما يتم سن قانون جديدٍ لا يتخلى عن الموروث القانوني القديم. وهكذا تظل خصوصية القانون الإنجليزي محكومة بفكرة عدم التقنين.

ومع ذلك يمكن القول بأن إشكالية التقنين ستظل ملازمة للواقع الدستوري الإنجليزي. إلا أنه مهما كان للدستور العرفي الإنجليزي من قوة التأثير على وجدان الشعب لإنجليزي، فان ذلك لا يمكن أن يغطى حقيقة التناقض بين الموروث التقليدي القديم وحركة المتغيرات الرأسمالية السريعة والهائلة، مما قد تجعله يفقد القدرة على مواصلة هذا التأثير في واقع يتطور بسرعة فائقة، وذلك باعتماده على أعراف قد تتناقض في طبيعتها مع هذا الواقع، تناقض يسري بين بنيان حكم يعتمد على العرف وبين البنيان الاجتماعي والاقتصادي الذي يعتمد الليبرالية فكراً والرأسمالية المتطورة مسلكاً واتجاهاً وتطوراً. وهذا التناقض يجعل من إشكالية التقنين أكثر حدة، لأن الواقع لايزال يقول البقاء للدستوري العرفي.

قائمة المراجع

١-المراجع العربية:

١. د.ادموند رباط: الوسيط في القانون الدستوري العام — دار الملايين بيروت ١٩٦٤
٢. ثروت بدوي: القانون الدستوري وتطور الأنظمة الدستورية في مصر- دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧١م.
٣. د. خالد عمر باجنيد و د. أحمد الجيزاني: الوسيط في القانون الدستوري والنظم السياسية دارجامعة عدن للطباعة والنشر عدن ٢٠٠٦م
٤. د. عبد الحميد متولي ود. سعد عصفور ود. محسن خليل: القانون الدستوري والنظم السياسية- منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦٧م
٥. د. عبد الغني بسيوني عبد الله: القانون الدستوري — الدار الجامعية بيروت ١٩٨٧م
٦. د. عبد الفتاح حسن: مبادىء النظام الدستوري في الكويت — الكويت ١٩٦٨ بدون
٧. د. كمال الغالي: مبادىء القانون الدستوري والنظم السياسية- منشورات جامعة دمشق ١٩٩٤ م
٨. د. محمد رفعت عبد الوهاب: القانون الدستوري- منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٩٠م.
٩. د.محمد محمد بدران:القانون الإنجليزي —دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٩م

٢-المراجع الأجنبية

10. Austin J.: Lectures on Jurisprudence vol. I -5th Ed.- Bentham works- London 1885-.
11. Bentam J.: Anarchical Fallacies- Edition Bo wring- T.II London 1816-
12. Duverger M.: Institutions politiques et driot constititutionnel-. T.I. Themis – paris 1975 '.
13. Guido Fasso: histoire de la philosophie

de droit xix-xx– vol. xx siecles-
14. L.G.D.J.. Paris – 1976 .
15. Hauriou A.'et Gicquel J. et Gelard P.:Droit Constitutionnel et Institutions
16. Politiques- 6em Edition - Montchrestien -Paris 1975-
17. Hood Phillips: Constitution and Administrative Law- London 1973..
18. Sir Ivor Jennings: the law of Constitution- E L B S. 5 th ed.: London 1979
19. Laferriere j.:Manuel de droit constitutionnel –2em EditioParis 1947
20. Lawson F. H.: The Rational Strength of English Law - London"..-
21. Oman: History of England- London
22. Rene' David: Les grandes systemes Juridiques- Dalloz – Paris 1977"-
23. Sir Alfred Denning: The changing law – London 1953
24. Sir William Anson (R): The Law and Custom of the Constitution- part one Parliament 4th Edition London 1909.
25. Wade E. S. C. and G. Godfrey Phillips: The Law of the Constitution-5th Edition- London-1955. .
26. Wade E. C. S. and A. W. Bradley: Constitution and Administrative Law-10th Edition- London
27. Yves Gauchet: Elements de droit constitutionnel- Ed. Elbatros –Paris 1981

English Constitution Privacy of His Building and Data Achkalyate Customary

A. S. Al-Jizani
General Law Department, Faculty of Law, University of Aden, Yemen.

Abstract

This research work aims to study the customary nature of the British constitution and its specific form، historically، and the confirmation of its presence، its reaction in the contemporary reality.Truly، we find that this constitution، which liked the past with the present، a movement of continuation and to existence created norms، behaviors، problems in the struggle reality and the political، and social co-enstence of the English society and the movement of development، which achieved co-existence between the conservative and the advanced contemporary traditions.This is clearly shown in the British constitution، which is a unique of its own، resembled in its significance، the English vision to the political and social life، based on its believe of the capitalism developments without contradicting those traditions that Govern the British people.The British constitution with its customary traditions hanged to impose itself، penetrating the British reality which is developed by means of capitalism، and ideally governed thought fully be means of liberalism and conservative traditions، in spite of the changing era. The British constitution is considered to be the most topics that the British society mint to keep its customary components، its conservative nature and its significant (specification) which were formed through history.This is what is shown in the opposition of most of the British People، jurists، politicians، to the idea of the codification of the British constitution and the determination to keep own nature، and its significance which were formed through history in the British reality.From this point we have to look into this historical formation of the British constitution and how it copes with the developed British reality and the difficulties (problems)، it faced، whether in the field of codification or modification of the norms، codes of this constitution.

Keywords: specification, problems, British constitution, English society.

ISSN:1658-6050
Email: d.ahmedaljizani@yahoo.com

نظائر السيوطي النحوية والتصريفية للقواعد الفقهية (دراسة تحليلية)

جمال حسن بشندي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

إن الناظر في علم الفقه وأصوله يقف على ما بينه وبين علم النحو وأصوله من صلة وثيقة وعلاقة قوية متينة من لدن النشأة والظهور حتى النضج والاكتمال ؛ وذلك أن كلاً منهما معقولٌ من منقول، وهذا جامعٌ أصيلٌ بينهما، نص عليه أرباب العلم فيهما. كما أنه لا يمكن فهم النصوص الشرعية من مصادرها الأصيلة فهمًا صحيحًا إلا بالاتكاء على اللغة وفهم قواعدها إفرادًا وتركيبًا. وقد وضع الإمام السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) في الأشباه والنظائر كتابين أحدهما في النحو، والآخر في الفقه، وراح في الأول يقصد أن يسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه، وألّفوه من كتب الأشباه والنظائر. ودرج في الثاني على مقابلة بعض القواعد الفقهية بنظائرها في العربية ما وجد إلى ذلك سبيلاً. وقد كان ذلك في لطائف دقيقة، ونفائس عزيزة، أوردها في خاتمة شرحه للقاعدة الفقهية، فاسترعت انتباه الباحث، وجعلته يجمع ما تناثر منها؛ ليدرسها في هذا البحث دراسة تحليلية مفصلة لأقوال النحويين فيها، مع بيان رأي الباحث في كل منها.

الكلمات المفتاحية: النظائر – النحو – الصرف – قواعد – الفقه – دراسة – تحليل.

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـــد،

فقد كان السلف من العلماء يدركون ما بين فروع العلم من أواصر القربى ووشائج الأرحام، وكان يقولون: (ينبغي للإنسان أن يكون في الفقه قيمًا، وفي الأصول راجحًا، وفي بقية العلوم مشاركًا).(١)

والإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) واحدٌ من أولئك السلف الذين تبَحَّروا في شتى العلوم الشرعية والعقلية، واتسمت مصنفاتهم بالتنوع والانتقائية، والإحاطة والشمولية، فكانت أشبه بالموسوعات العلمية.

وقد ظهر أثر هذه الموسوعية في حرصه على التقريب بين العلوم في طريقة التصنيف والتأليف، وفيما بين قواعدها من أشباه ونظائر.

ومن دلائل ذلك أنه وضع في الأشباه والنظائر كتابين أحدهما في النحو، والآخر في الفقه، وراح في الأول يقول: (قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه، وألّفوه من كتب الأشباه والنظائر).(٢)

ودرج في الثاني على مقابلة بعض القواعد الفقهية بنظائرها في العربية ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

وقد كان ذلك في لطائف دقيقة، ونفائس عزيزة، أوردها في خاتمة شرحه للقاعدة الفقهية، فاسترعت انتباه الباحث، وجعلته يجمع ما تناثر منها؛ ليدرسها في هذا البحث الذي بعنوان:

نظائر السيوطي النحوية والتصريفية للقواعد الفقهية دراسة تحليلية

وقضى الله أن يأتي هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة وفهارس فنية:

المقدمة: وفيها ذكرت سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث فيه.

التمهيد: العلاقة بين النحو وأصوله والفقه وأصوله.

المبحث الأول: نظائر السيوطي النحوية للقواعد الفقهية

(١) المنثور في القواعد الفقهية للزركشي: ١/٧٣.

(٢) الأشباه والنظائر في النحو ١/٦.

البريد الإلكتروني: gamalll2010@yahoo.com
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

دراسة تحليلية.

المبحث الثاني: نظائر السيوطي التصريفية للقواعد الفقهية دراسة تحليلية.

وقد جاءت الدراسة في هذين المبحثين على النحو التالي:

١. جمعت هذه النظائر الواردة في الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للسيوطي، وسلكت في التعرف عليها ما صرح به هو نفسه من أنها من النظائر العربية للقاعدة الفقهية.

٢. وضعت عنوانًا للمسألة التي وردت فيها هذه النظائر، فكانت جملة هذه المسائل عشرًا سبع منها في النحو، وثلاث في التصريف.

٣. ذكرت نص كلام السيوطي في كل مسألة ملحقًا بدراسة تحليلية مفصلة لأقوال النحويين فيها، مع بيان رأي الباحث في كل منها.

المبحث الثالث: نظائر نحوية وتصريفية للقواعد الفقهية لم يذكرها السيوطي

وفيه أشرت إلى ثلاث من النظائر النحوية والتصريفية للقواعد الفقهية لم يذكرها السيوطي في كتابه (الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية).

الخاتمة: وفيها ذكرت أهم نتائج البحث.

الفهارس: وفيها اقتصرت على فهرس للمصادر والمراجع.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

علاقة النحو وأصوله بالفقه وأصوله

إن الناظر في علم الفقه وأصوله يقف على ما بينه وبين علم النحو وأصوله من صلة وثيقة وعلاقة قوية متينة من لدن النشأة والظهور حتى النضج والاكتمال، وما ذاك إلا لأمرين:

الأول: أنه لا يمكن فهم النصوص الشرعية من مصادرها الأصيلة فهمًا صحيحًا إلا بالاتكاء على اللغة وفهم قواعدها إفرادًا وتركيبًا، بل لا تجد عِلمًا من العلوم الإسلامية: فقهها وكلامها وتفسيرها وبيانها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بَيِّنٌ لا يُدْفَعُ ومكشوفٌ لا يُتَقَنَّعُ.

وآية ذلك أنك ترى الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًا على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم.(٣)

ولعل هذا يفسر ما اشترطوه في المجتهد من العلم باللغة وقواعدها وأحكامها؛ ذلك بأن الاجتهاد إنما يستند إلى أسس أربعة، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وفهم هذه الأسس لا يستقيم إلا بفهم اللغة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد أدرك الفقهاء هذه الحقيقةَ، فهذا محمد بن الحسن الشيباني – صاحب الإمام أبي حنيفة – قد ضَمَّنَ كتاب الأيمان من كتابه المعروف بالجامع الكبير مسائل فقه بناها على أصول العربية لا تظهر إلا لمن له قدم راسخٌ في هذا العلم.

ومن غريبها أنه إذا قال: أي عبيدي ضربك فهو حُرٌّ فضربه الجميع عتقوا، ولو قال: أي عبيدي ضربته فهو حُرٌّ، فضرب الجميع، لم يعتق إلا الأول منهم.

فكلام هذا الحَبْر الجليل مسوقٌ على كلام النحوي في هذه المسألة؛ وذلك من قِبَلِ أن الفعل في المسألة الأولى عامٌّ ؛ لأنه مسندٌ إلى عامٍّ، وهو ضمير أي، وأي: كلمة عموم، وفي الثانية خاصٌّ؛ لأن الفعل فيه مسندٌ إلى ضمير المخاطب، وهو خاصٌّ.(٤)

ومنها: أنه قال: إن دخل داري هذه أحدٌ فأنت طالقٌ، فدخلها هو، لم يحنث. ولو قال: هذه الدار، فدخلها، حنث، فجعل الإضافة إليه قرينة تخصص أحدًا، وتخرجه منهم، وهذا مبني على كلام النحاة.(٥)

والآخر: أن كلاً من أصول الفقه والنحو معقولٌ من منقول، وهذا جامعٌ أصيلٌ بينهما، نص عليه أرباب العلم فيهما، وهذه عبارة السيوطي: (وكلٌّ من الإجماع والقياس لا بُدَّ له من مستندٍ من السماع، كما هو الحال في الفقه كذلك).(٦)

ونقل بدر الدين الزركشي أنه: (كان بعض المشايخ

(٣) ينظر: المفصل ١٨

(٤) ينظر: الجامع الكبير ٢٦– ٢٨، وشرح المفصل ١٤/١.

(٥) ينظر: الجامع الكبير ٢٦– ٢٨، والإيضاح في شرح المفصل ٥٦/١ .

(٦) ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي: ١٤.

يقول: العلوم ثلاثة: علمٌ نضج وما احترق، وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضج ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق، وهو علم الفقه والحديث[٧]).[٨]

والمراد بنضج العلم: تقرير قواعده، وتفريع فروعها، وتوضيح مسائله، وتفسير غوامضه.

والمراد باحتراقه: بلوغه النهاية في ذلك، ولا شك أن النحو وأصول الفقه لم يبلغا النهاية في ذلك ؛ لأنهما – وإن دُوِّنَتْ قواعدهما وحُرِّرَتْ، لكن لم يكن لأحد أن يقف على ما استُنبِطَ منهما من الفروع على غاية، بل اختلف أئمتهما فيهما، ويظهر ذلك لمن تأمَّلَ في كتب الأصول والأعاريب.[٩]

وقد أفاد متأخرو النحاة من هذا الجامع بين النحو والأصول، وتأثروا بالفقهاء في منهج التأليف، ومن أبرز الدلائل على ذلك قول أبي البركات الأنباري – في مقدمة الإنصاف –: (إن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين المشتغلين عَلَيَّ بعلم العربية بالمدرسة النظامية – عمر الله مبانيها، ورحم الله بانيها – سألوني أن أُلَخِّصَ لهم كتابًا لطيفًا يشمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة على ترتيب لمسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ليكون أول كتاب صُنِّفَ في علم العربية على هذا الترتيب، وأُلِّفَ على هذا الأسلوب ؛ لأنه ترتيبٌ لم يُصَنِّفْ عليه أحدٌ من السلف، ولا أَلَّفَ عليه أحدٌ من الخلف، فتوخيت إجابتهم على وفق مسألتهم).[١٠]

ووضع بعضهم كتبًا في أصول الفقه، وأخرى في النحو، ومن أبرز أولئك الأعلام: أبو عمرو عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦هـ) فمن كتبه في أصول الفقه: منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، ومن مصنفاته في النحو: الإيضاح في شرح المفصل.[١١]

وكذلك فعل العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المتوفى سنة (٧٩٠هـ) فمن مؤلفاته: الموافقات في أصول الأحكام، والاعتصام في أصول الفقه، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، وأصول النحو.[١٢]

على أن هذا لا يعني أن قدامى النحاة لم يكونوا على علم بهذه الأصول؛ إذ لا تكاد تخلو صفحة من كتاب سيبويه من الاعتماد على واحد منها، بل قد يجمع بينها في نص واحد.

ومن ذلك قوله: (ومَن يقول مِن العرب: ما جاءتْ حاجتُك كثيرٌ، كما يقول: من كانتْ أمُّك، ولم يقولوا: ما جاء حاجتَك – كما قالوا: مَنْ كان أمَّك؛ لأنه بمنزلة المِثْل فألزموه التاءَ، كما اتّفقوا على: لَعَمرُ الله، في اليمين، وزعم يونسُ أنه سمع رُؤبة يقول: ما جاءتْ حاجتُك، فيرفَع، ومثلُ قولهم: ما جاءتْ حاجتَك – إذ صارتْ تقَع على مؤنَّث – قراءةُ بعض القرّاء: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا﴾[١٣]).[١٤]

ولما كان الكتاب جامعًا لهذه الأصول رأينا أبا جعفر الطبري يقول: (سمعتُ الجَرْميَّ يقول: أنا مُذْ ثلاثون أُفتِي الناس في الفقه من كتاب سيبويه. قال أبو جعفر: فحدَّثت به محمد يزيدَ على وجه التعجُّب والإنكار! فقال: أنا سمعت الجرميَّ يقول هذا، وأومأ بيديه إلى أذنيه، وذلك أنّ أبا عُمر الجرمي كان صاحبَ حديث، فلما عِلِم كتاب سيبويه تفقّه في الحديث إذ كان كتاب سيبويه يتعلَّم منه النظر والتَّفتيش).[١٥]

وكان علي بن حمزة الكسائي، إمام نحاة الكوفة يقول:

(٧) قوله (وعلم لا نضج ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير): أما علم البيان فإنه يرجع إلى الذوق فلا غاية له ؛ لاختلاف الناس فيه.وأما علم التفسير فلأنه لا غاية له يُوقَفُ عليها ؛ إذ موضوعه فهم مراد الله تعالى من حيث المعاني ووجوه الإعجاز وموقع المناسبات وغير ذلك مما لا يحيط به إلا علام الغيوب، وإنما يُعْطَى الشخص من ذلك بحسب الإلهام.

وقوله:(.وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث): لأنهما بلغا نهاية المقصود منهما، وهو بيان الحلال والحرام، مع ما يُعْتَبَرُ شرعًا من الكتاب والسنة. ينظر: غمز عيون البصائر ١٣١/٤، ورد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ٥٠/١..

(٨) المنثور من القواعد الفقهية ٧٣/١.

(٩) ينظر: غمز عيون البصائر ١٣٠/٤، ورد المحتار ٥٠/١.

(١٠) الإنصاف ٣/١

(١١) ينظر: بغية الوعاة ١٣٤/٢-١٣٥، وكشف الظنون ٢١٤/١.

(١٢) ينظر: الأعلام ٧٥/١.

(١٣) من الآية:٢٣ من سورة الأنعام، والقراءة بالتاء هذه على التأنيث هي قراءة الجمهور، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب والعليمي عن أبي بكر بالياء على التذكير، واختلفوا في (فتنتهم) فقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: النشر في القراءات العشر ٢٩٣/٢.

(١٤) الكتاب ٥١/١.

(١٥) لم أقف على حكاية الطبري هذه في تفسيره، وهي في مقدمة الكتاب ٥/١-٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١/٦.

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَع وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنتَفَعْ.(١٦)

وسيأتي في البحث بمشيئة الله تعالى أن محمد بن الحسن الشيباني سأل الكسائيَّ – وكان ابن خالته –: لِمَ لا تشتغل بالفقه مع هذا الخاطر؟ فقال: من أحكمَ علمًا فذلك يهديه إلى سائر العلوم، فقال محمد: إني أُلْقِي عليك شيئًا من مسائل الفقه، فَخَرّج جوابه من النحو؟! فقال: هاتِ، فقال: ما تقول فيمن سها في سجود السهو؟ ففكَّرَ ساعة، فقال: لا سهو عليه. فقال: من أيِّ باب من النحو خَرَّجْتَ هذا الجواب؟ فقال: من باب أن المصَغَّر لا يُصَغَّر، فتعجَّب من فطنته.(١٧)

إذا تقرر هذا عُلِمَ أمران:

١–أن أصول النحو شبيهةٌ بأصول الفقه ؛ لأن كلاً منهما معقولٌ من منقول.

٢–أن هذه الأصول كانت معروفة عند قدامى النحاة، غير أنها لم تعرف سبيلها إلى الاستقلال في كتاب إلا على أيدي متأخري النحويين الذين تأثروا بالفقهاء في منهج التأليف واعتماد الأحكام العامة التي ساروا عليها في إقرار القواعد ؛ لأنهم سبقوهم إلى التأليف في هذا الباب.

قال ابن جني – وقد أراد البصرة والكوفة –: (لم أر أحدًا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه).(١٨)

وقال السيوطي – في مقدمة الأشباه والنظائر في النحو–: (قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه، وألَّفوه من كتب الأشباه والنظائر).(١٩)

المبحث الأول

نظائر السيوطي النحوية للقواعد الفقهية دراسة تحليلية.

١– القصد في الكلام

من قواعد الفقهاء: (الأمور بمقاصدها) والأصل فيها قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إنما الأعمال بالنيات).(٢٠)

وهذه القاعدة فروعها لا تحصى، ومسائلها لا تستقصى، ومنها: أن الشيء الواحد قد يتصف بالحِلّ والحُرمة باعتبار ما قُصِدَ به، فمثلاً أَخْذُ اللقطة بقصد حفظها وردها إلى أصحابها جائزٌ، وأما أَخْذُها بقصد الاستيلاء عليها وتملكها فلا يجوز، بل يكون الآخذ غاصبًا آثمًا.

ومنها: تَرْكُ الطِّيب والزينة فوق ثلاثة أيام لموت غير الزوج فإنه إن كان بقصد الإحداد حرم، وإلا فلا.(٢١)

وقد جرت هذه القاعدة في النحو العربي، ويندرج في ذلك ما لا يحصى من المسائل.(٢٢)

ومن ذلك القصد في الكلام. قال السيوطي: (تجري قاعدة الأمور بمقاصدها في علم العربية أيضًا، فأول ما اعتبروا ذلك في الكلام، فقال سيبويه والجمهور باشتراط القصد فيه، فلا يسمى كلامًا ما نطق به النائم والساهي، وما تحكيه الحيوانات المعَلَّمَة. وخالفه بعضهم، فلم يشترطه، وسَمَّى كل ذلك كلامًا، واختاره أبو حيان).(٢٣)

الدراسة والتحليل:

الكلام في اللغة: لفظ مشترك بين معانٍ كثيرة منها: المعاني التي في النفس، وذلك كأن يقوم بنفسك معنى قام زيدٌ أو قعد عمرو، ونحو ذلك، فيسمى ذلك الذي تخيلته كلامًا، ودليل ذلك قول الشاعر:

إِنَّ الكَلاَمَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلاَ.(٢٤)

ومنها ما يفهم من حال الشيء، ودليله قول الشاعر:

يَا لَيْتَنِي أُوتِيتَ عِلْمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلاَمَ النَّمْلِ.(٢٥)

(١٦) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢٦٧/٢.

(١٧) ينظر: مسألة (المصغر لا يصغر) في المبحث الثاني من هذا البحث .

(١٨) الخصائص ٢/١.

(١٩) الأشباه والنظائر في النحو ٦/١ .

(٢٠) ينظر: متفق عليه، فقد أخرجه البخاري (في صحيحه ٣/١ كتاب بدء الوحي) ومسلم (في صحيحه ١٥١٥/٣. كتاب الإمارة.

(٢١) ينظر: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ١٢، وغمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر للعلامة أحمد بن محمد الحموي الحنفي: ١٩٢/١، والموسوعة الفقهية ٧٥/٣٤ .

(٢٢) ذكر السيوطي – رحمه الله – أن هذه القاعدة جرت في علم النحو على خمس مسائل ستأتي دراستها، وهي: القصد في الكلام، والقصد في العلم المنقول من صفة، والقصد في نداء النكرة، والقصد فيما جاز إعرابه عطف بيان وبدل كل، والقصد في نعت المنادى المقصور المنون للضرورة.
وصرح بأنه اقتصر على هذه المسائل ؛ لأن فروع هذه القاعدة في النحو كثيرة، وقال – في الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ٥١–: (بل أكثر مسائل علم النحو مبنيةٌ على القصد).

(٢٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ٥٠.

(٢٤) البيت من الكامل، وهو للأخطل – وليس في ديوانه – في: شرح شذور الذهب ٣٥، وبلا نسبة في شرح جمل الزجاجي ٥/١ .

(٢٥) البيت من الرجز، وهو لرؤبة – وليس في ديوانه – في: الخصائص

ومنها الإشارة، ومنها الخط، ومنها اللفظ المركب غير المفيد، يقال: تكلم، وإن لم يفد، ومنها اللفظ المركب المفيد بالوضع، ومنها اللفظ المركب المفيد بغير الوضع، يقال: تكلم ساهيًا ونائمًا، ومعلوم أن الساهي والنائم لم يضعا لفظهما للإفادة، ولا قصداها.(٢٦)

وللنحويين خلافٌ في اشتراط القصد في الكلام على مذهبين:

المذهب الأول:

مذهب سيبويه والجمهور: أنه يشترط في الكلام أن يكون مقصودًا لذاته، والمراد بالمقصود أن يقصد المتكلم إفادة السامع، فلا يسمى كلامًا في الاصطلاح عند الجمهور ما نطق به النائم والساهي، وما تحكيه الحيوانات المعَلَّمَة ؛ لكونه غير مفيد الفائدة الاصطلاحية، وهي إفهام معنى يحسن السكوت عليه؛ إذ قالوا في حد الكلام: لفظ مفيدٌ فائدة يحسن السكوت عليها.(٢٧)

وخرج باللفظ غيره من الدوال مما ينطلق عليه في اللغة كلامٌ كالخط والرمز والإشارة.

وخرج بالمفيد المفرد، نحو: زيد، والمركب الإضافي نحو: غلام زيد، والمركب الإسنادي المعلوم الذي لا يجهل معناه أحد، نحو: السماء فوق الأرض، والنار حامية، وغير المستقل، كجملة الشرط، نحو: إن قام زيدٌ، وغير المقصود، كالصادر من الساهي والنائم، والمقصود لغيره، لا لذاته، كالجملة الموصول بها، نحو: الذي ضربته، فإنها مفيدة بانضمامها إلى الموصول، مقصودة لغيرها وهو إيضاح الموصول وتعريفه، فلا يسمى شيء من ذلك كلامًا في الاصطلاح عند الجمهور؛ لكونه غير مفيد الفائدة الاصطلاحية، وهي إفهام معنى يحسن السكوت عليه.(٢٨)

قال سيبويه: (واعلم أنّ قُلتُ إنّما وقعتْ في الكلام العرب على أن يُحْكى بها، وإنما تَحْكِي بعد القول ما كان كلاماً، لا قولاً، نحو قلتُ: زيدٌ منطلقٌ؛ لأنه يَحسن أن تقول: زيدٌ منطلقٌ، ولا تدخل قلت وما لم يكن هكذا أسقط القول عنه).(٢٩)

عنى بالكلام الجمل، وبالقول المفردات، ولا يريد أن القول مخصوص بالمفردات؛ فإن إطلاقه على الجمل سائغٌ باتفاق.(٣٠)

المذهب الثاني:

مذهب جماعة من النحويين منهم أبو الحسن بن الضائع: أنه لا يشترط في الكلام الإفادة، ولا القصد، وإنما يشترط أن يكون على هيئة التركيب الموضوع في لسان العرب، أي: متى حصل الإسناد كان كلامًا.(٣١)

وقد اختار هذا المذهب أبو حيان(٣٢)، والصبان؛ إذ قال – وقد أورد مذهب سيبويه والجمهور –: (والراجح خلافه، كما ذهب إليه أبو حيان وغيره، فالمراد بإفادة اللفظ فائدة يحسن السكوت عليها دلالته على النسبة الإيجابية، أو السلبية، سواء كانت حاصلة عند السامع قبل أو لا، قصد بها المتكلم الكلام أو لا، طابق كلامه الواقع أو لا).(٣٣)

والرأي في ذلك ما ذهب إليه سيبويه والجمهور من اشتراط القصد، فلا يطلق الكلام حقيقة إلا على الجمل المفيدة المقصودة؛ ولذلك أجمع العلماء على أن يقال: القرآن كلام الله، ولا يقال: القرآن قول الله؛ وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه، ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه، فعبر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتًا تامة مفيدة مقصودة، وعدل به عن القول الذي قد يكون أصواتًا غير مفيدة، وآراء معتقدة.(٣٤)

٢- القصد في العلم المنقول من صفة

قال السيوطي: (تجري قاعدة الأمور بمقاصدها في علم العربية أيضًا... ومن ذلك العلم المنقول من صفة، إن

٢٢/١، وللسان (حكل): ١٦٢/١١، وبلا نسبة في: شرح جمل الزجاجي ٥/١. اللغة: (الحكل): العُجْم من الطيور والبهائم. ينظر: اللسان (حكل): ١٦٢/١١

(٢٦) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ٨٥/١- ٨٧، وشرح الشذور ٣٥- ٣٦.

(٢٧) ينظر: الكتاب ١٢٢/١، والخصائص ١٩/١- ٢٠، والتبصرة ٧٥/١، والتوطئة ١١٢، والإيضاح في شرح المفصل ٦١/١، وشرح الكافية الشافية ١٥٧/١- ١٥٨، وتوضيح المقاصد ٢٦٨/١، وشرح التسهيل للشيخ خالد ٥/١، والأشموني ٢٠/١- ٢١ .

(٢٨) ينظر: شرح المفصل ١٨/١- ١٩، وشرح الكافية الشافية ١٥٧/١- ١٥٨، وتوضيح المقاصد ٢٦٨/١، والمقاصد الشافية للشاطبي ٣٢/١- ٣٣، والأشموني ٢٠/١- ٢١ .

(٢٩) الكتاب ١٢٢/١.

(٣٠) ينظر: شرح التسهيل ١٣/١ .

(٣١) ينظر: التذييل والتكميل ٣٦/١، وتوضيح المقاصد ٢٧٠/١، وحاشية الصبان ٢١/١.

(٣٢) التذييل والتكميل ٣٦/١.

(٣٣) حاشية الصبان ٢١/١ .

(٣٤) ينظر: الخصائص ١٨/١، وشرح التسهيل ١٣/١- ١٤

قُصِدَ به لمح الصفة المنقول منها، أُدْخِل فيه أل، وإلا فلا).[٣٥]

الدراسة والتحليل:

ينقسم العلم بحسب الوضع إلى مرتجل ومنقول، فالمرتجل: ما لم يتقدم له استعمال قبل العلمية، نحو: أُدَد، علمًا لرجل، وسُعَاد علمًا لامرأة.

والمنقول — وهو الغالب في الأعلام —: ما تقدم له استعمال قبل العلمية.

ونقله إما أن يكون من الاسم، وهو مصدر، نحو: فَضْل، أو اسم عين، نحو: أسَد، أو صفة، وهي اسم فاعل، نحو: حارث أو اسم مفعول، نحو: منصور، أو صفة مشبهة، نحو: حسن، أو صيغة مبالغة، نحو: عَبَّاس.[٣٦]

وإما أن يكون نقله من الفعل، مضارعًا كان، نحو: يزيد، أو ماضيًا، نحو: شَمَّر اسم فرس، أو أمرًا، نحو: إصمت، بهمزة قطع وميم مكسورتين علمًا للفلاة الخالية.[٣٧]

وإما أن يكون نقله من الحرف، كما لو سميت رجلاً بواحد من الحروف.

وإما أن يكون نقله من الجملة، فعلية كانت، نحو: شَابَ قَرْنَاهَا[٣٨] أو اسمية قياسًا نحو: زيدٌ منطلق. قال الأشموني: (ولم يرد عن العرب علمٌ منقول من مبتدأ وخبر، لكنه بمقتضى القياس جائزٌ).[٣٩]

وإذا كان العلم منقولاً من صفة، أو مصدر، أو اسم عين، فإما أن يكون عند التسمية به معرفًا بالألف واللام، أو مجردًا منها.

فإن كان معرفًا بالألف واللام فإنها تبقى فيه بعد النقل، نحو: الحارث والعبَّاس.[٤٠] قال ابن يعيش: (وما نُقِلَ عن الصفة، وفيه اللام المعَرِّفَة فإنها تقَرُّ فيه بعد النقل، نحو: الحارث والعباس).[٤١]

وإن كان عند التسمية به مجردًا من الألف واللام، جاز في استعماله علمًا وجهان:

أحدهما: أن يلمح به الأصل، فتدخل عليه الألف واللام.

والآخر: ألا يلمح به الأصل، فيستدام تجريده من الألف واللام.[٤٢] قال الشيخ خالد: (وفي المنقول من مجرد من أل صالح لها، أي: لأل ملموح به الأصل في الأسماء، وهو التنكير وجهان: أحدهما: أن يلمح الأصل فتدخل أل، والثاني ألا يلمح الأصل فيستقيم التجريد).[٤٣]

وعلى هذا يظهر أن الوجهين مبنيان على قصد المتكلم، فإن قصد لمح الأصل في الأسماء – وهو التنكير – أدخل أداة التعريف، وإلا استقام له التجريد.[٤٤] قال ابن مالك: (وإذا كان العلم منقولاً من صفة، أو مصدر، أو اسم عين، وكان عند التسمية به مجردًا من أداة التعريف، جاز في استعماله علمًا أن يلمح به الأصل، فتدخل عليه الأداة، وألا يلمح، فيستدام تجريده).[٤٥]

وأكثر دخول أل هذه على العلم المنقول من صفة، كحارث، ويلي ذلك دخولها على المنقول من مصدر، كفضل وقيْس، ويليه دخولها على المنقول من اسم عين، نحو: كلب وخِرْنق.

قال الشيخ خالد: (وأكثر دخولها على المنقول من صفة، كالحارث، ثم المنقول من مصدر، كالفضل، ثم المنقول من اسم عين كالليث).[٤٦]

٣-القصد في نداء النكرة

قال السيوطي:(تجري قاعدة الأمور بمقاصدها في علم العربية أيضًا... ومن ذلك: المنادى النكرة إن قُصِدَ نداء واحد بعينه تعَرَّف، ووجب بناؤه على الضم، وإن لم يُقْصَد لم يتعرف، وأعرب بالنصب).[٤٧]

الدراسة والتحليل:

إذا كان المنادى نكرة فإما أن يكون نكرة مقصودة، أو غير مقصودة.

(٣٥) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ٥٠ – ٥١.
(٣٦) ينظر: الأصول ١/١٤٩، وشرح المفصل ١/٢٩، وشرح التسهيل ١/١٦٧، وشرح الألفية للمكودي ١/ ١٣٢.
(٣٧) ينظر: التصريح ١/١١٥-١١٦، والهمع ١/٢٨٥، وحاشية الصبان ١/١٣٣.
(٣٨) ينظر: شرح المفصل ١/٢٩ وشرح الألفية للمكودي ١/١٣٢، والتصريح ١/١١٥- ١١٦
(٣٩) شرح الألفية ١/١٣٣.
(٤٠) ينظر: الكتاب ٢/١٠١، والهمع ١/٢٨٨.
(٤١) شرح المفصل ١/٢٩.
(٤٢) ينظر: الكتاب ٢/١٠١، والمقتضب ٤/٣٨٨، وشرح التسهيل ١/١٧٦.
(٤٣) شرح التسهيل للشيخ خالد ١/١٢٩.
(٤٤) ينظر: الهمع ١/٢٨٨.
(٤٥) شرح التسهيل ١/١٧٦.
(٤٦) شرح التسهيل للشيخ خالد ١/١٢٩.
(٤٧) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ٥٠- ٥١

فإن كان نكرة مقصودة، وجب بناؤه[٤٨] على الضم[٤٩]، وصار معرفة بسبب القصد والإقبال[٥٠] نحو: يا رجلُ، تريد رجلاً بعينه. وقيل: تعريفه بأل محذوفة، ونابت يا عنها.)[٥١]

وإن كان نكرة غير مقصودة ففيه خلاف بين النحويين على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول:

مذهب جمهور البصريين: جواز نداء النكرة غير المقصودة منصوبةً مطلقًا، أي: سواء كانت جامدة، أو مشتقة، في نثر، أو في شعر. فمن النثر قول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي. قال الشاطبي: (ومنه ما يقوله المذكِّرون بالكسوف: اذكروا الله يا غافلين).[٥٢]

ومن الشعر قول الشاعر:

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
نَدَامَايَ مِن نَجْرَانَ أَلاَّ تلاَقِيَا.[٥٣]

لأن الأعمى والواعظ والشاعر لم يقصدوا أحدًا بعينه.[٥٤] قال الأعلم – وقد أورد البيت –: (الشاهد فيه نصب " راكبًا " لأنه منادى منكور؛ إذ لم يقصد به قصد راكب بعينه، إنما التمس راكبًا من الركبان يبلغ قومه خبره وتحيته، ولو أراد راكبًا بعينه لبناه على الضم، ولم يجز له تنوينه ونصبه؛ لأنه ليس بعده شيء نكرة من وصفه).[٥٥]

قالوا: وإنما وجب نصب غير المقصودة في النداء، ولم تُبْنَ فيه كما بنيت المقصودة؛ لأن المقصودة لما تعرفت بالقصد والإقبال أشبهت الضمير في التعريف والإفراد وتضمين معنى الخطاب.

وأما غير المقصودة فلم تشبه الضمير؛ إذ لا يكون الضمير نكرة.[٥٦] قال الفارسي: (الاسم الذي يستحق البناء في النداء هو الاسم المعرفة الذي يقع موقع الأسماء المضمرة المعرفة المبنية، فمتى وقع الاسم موقع اسم مُعَرَّف بني؛ لمشابهته له، ووقوعه موقع ما لا يكون إلا مبنيًا، فأما النكرة فلم تُبْنَ؛ لأنها لم تقع موقع معرفة، ألا ترى أنك إذا قلت: يا رجلاً، لم ترد واحدًا بعينه مقصودًا، إنما ناديت واحدًا من هذا النوع، فكل من أجابك منهم فهو الذي أردت، وأنت في المعرفة قاصدٌ لواحد بعينه، ولو أردت رجلاً بعينه إذا ناديت لكان حكمه حكم زيد في أنه مقصودٌ بعينه).[٥٧]

المذهب الثاني:

مذهب المازني: منع نداء النكرة غير المقصودة؛ إذ لا يتصور أن يوجد في النداء نكرة غير مقصودة، وما جاء من النكرات في النداء منونًا فإنما لحقه التنوين ضرورة.[٥٨]

قال أبوحيان: (ومذهب المازني: إنكار وجود النكرة غير مقبل عليها في النداء).[٥٩]

المذهب الثالث:

مذهب الكوفيين: جواز نداء النكرة غير المقصودة إن كانت خلفًا من موصوف، بأن كانت في الأصل صفة حُذِفَ موصوفها وخَلَفَتْه، نحو: يا راكبًا، والأصل: يا رجلاً راكبًا، والمنع إن لم تكن كذلك، نحو: يا رجلاً.[٦٠]

قال أبوحيان: (ومذهب الكسائي والفراء وعامة

---

(٤٨) اختلف في علة بنائه فقيل: لأنه أشبه الضمير من نحو (يا أنت) في التعريف والإفراد، وتضمين معنى الخطاب وقيل: إجراؤه مجرى الأصوات، ونسب هذا القول إلى سيبويه. ينظر: الكتاب ١٨٥/٢، والتعليقة ٣٢٧/١، وشرح التسهيل للشيخ خالد ١١٥٥/٣. وذهب الرياشي والكسائي إلى أن ضمة المنادى في النكرة المقصودة ضمة إعراب، ونقله ابن الأنباري عن الكوفيين.

(٤٩) ينظر: الارتشاف ٢١٨٣/٤، وشرح التسهيل للشيخ خالد ١١٥٥/٣، والهمع ٣٧/٢

(٥٠) أي: إقبال المتكلم على المنادَى وإلقائه الكلام نحوه، وليس المراد إقبال المنادَى على المتكلم، كما قد يتوهم ؛ لتأخره عن النداء. ينظر: الأصول ٣٣١/١، والتوطئة ٢٨٨، والمقاصد الشافية ٢٥٤/٥، وحاشية الصبان ١٣٨/٣.

(٥١) ينظر: توضيح المقاصد ١٠٥٨/٣، والتصريح ١٦٦/٢.

(٥٢) ينظر الكتاب ١٩٩/٢- ٢٠٠، والمقتضب ٢٠٤/٤ – ٢٠٦ وشرح المفصل ١٢٨/١، والارتشاف ٢١٨٣/٤، وشرح التسهيل للشيخ خالد ١١٥٥/٣- ١١٥٦.

(٥٣) البيت من الطويل، وهو لـ (عبد يغوث الحارثي اليمني) في: الكتاب ٢٠٠/٢، والتخمير ٣٢٨/١- ٣٢٩، والخزانة ١٩٤/٢- ١٩٥. وله أو لـ (مالك بن الريب) في: النكت للأعلم: ١٥٦/٢. وبلا نسبة في: المقتضب ٢٠٤/٤، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ١٣٣، والإيضاح في شرح المفصل ٢٥٨/١، وشرح التسهيل ٢٤٨/٣

(٥٤) ينظر الكتاب ١٩٩/٢- ٢٠٠، والمقتضب ٢٠٤/٤ – ٢٠٦ وشرح المفصل ١٢٨/١، والارتشاف ٢١٨٣/٤، وشرح التسهيل للشيخ خالد ١١٥٥/٣- ١١٥٦.

(٥٥) تحصيل عين الذهب ٣١٢/١.

(٥٦) ينظر:التعليقة ٣٢٧/١- ٣٢٨، والتبصرة: ٣٤٠/١

(٥٧) التعليقة ٣٢٧/١- ٣٢٨.

(٥٨) ينظر: الارتشاف ٢١٨٤/٤، وتوضيح المقاصد ١٠٦٣/٣، والهمع ٣٧/٢، والأشموني ١٤٠/٣

(٥٩) الارتشاف ٢١٨٣/٤ – ٢١٨٤.

(٦٠) لم أقف على مذهب الكوفيين هذا في معاني القرآن للفراء، ولا في مجالس ثعلب، وهو في:الارتشاف ٢١٨٤/٤، والهمع ٣٧/٢.

الكوفيين: أنه إن كان خلفًا من موصوف جاز نداؤها، وإلا فلا، وزعموا أن من شرط النكرة غير المقبل عليها أن تكون موصوفة، أو خلفًا من موصوف فلا يجوز عندهم: يا رجلاً).(٦١)

والذي يقتضيه النظر في ذلك ما ذهب إليه جمهور البصريين من جواز نداء النكرة غير المقصودة مطلقًا؛ لأن ما ذهب إليه المازني من المنع، وحمل ما ورد منه على الضرورة لا يخفى ما فيه من التكلف والتعسف، كما أن ما ذهب إليه الكوفيون من قصر الجواز على ما كانت النكرة فيه خلفًا من موصوف لا يخفى ما فيه من التحكم.

وعلى هذا يكون المعوَّل عليه في الفرق بين قولك: يا رجلُ أَقْبِلْ، وبين قولك: يا رجلاً أَقْبِلْ، إنما هو القصد، فإن قصدت رجلاً بعينه بنيته على الضم، وإن لم تقصد رجلاً بعينه نصبته.

قال المبرد: (والفصل بين قولك: يا رجلُ أَقْبِلْ - إن أردت به المعرفة - وبين قولك: يا رجلاً أَقْبِلْ - إذا أردت النكرة - أنك إذا ضممت فإنما تريد رجلاً بعينه تشير إليه دون سائر أمته، وإذا نصبت ونوَّنت فإنما تقديره يا واحدًا ممن له هذا الاسم، فكل من أجابك من الرجال فهو الذي عنيت).(٦٢)

٤-القصد فيما جاز إعرابه عطف بيان و بدل كل

قال السيوطي: (تجري قاعدة الأمور بمقاصدها في علم العربية أيضًا.. ومن ذلك: قالوا: ما جاز إعرابه بيانًا جاز إعرابه بدلاً، وقد استشكل بأن البدل في نية سقوط الأول، والبيان بخلافه، فكيف تجتمع نية سقوطه وتركها في تركيب واحد؟ فأجاب رضي الدين الشاطبي بأن المراد على قصد المتكلم، فإن قصد سقوطه وإحلال التابع محله، أُعْرِبَ بدلاً وإن لم يُقْصَدْ ذلك أُعْرِبَ بيانًا).(٦٣)

الدراسة والتحليل:

القاعدة: أن كل اسم جاز الحكم عليه بأنه عطف بيان يجوز الحكم عليه بأنه بدل كل من كل(٦٤)؛ لما فيه من البيان.(٦٥) تقول: قام زيدٌ أخوك، فيجوز أن يُعْرَب "أخوك" عطف بيان، وأن يُعْرَب بدلاً.(٦٦) قال أبوحيان: (وما جاز أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلاً، ولا ينعكس؛ إذ البدل ليس مشروطًا فيه التعريف، ولا التنكير، ولا المطابقة في إفراد وتثنية وجمع).(٦٧)

وقد استشكل على هذه القاعدة بأن البدل في نية سقوط الأول والبيان بخلافه، فكيف تجتمع نية سقوطه وتركها في تركيب واحد؟ وهل اختلف المعنى باختلاف الإعرابين؟

وقد أجاب الشاطبي عن هذا الاستشكال بقوله: (وإنما جاز الإعرابان على مقصدين: فإن قصدت بالحكم الأولَ، وجعلت الثانيَ بيانًا له، بحيث لا يستغنى عن الأول فهو عطف البيان، وهو معنى شبهه بالنعت. وإن قصدت بالحكم الثانيَ، وجعلت الأول كالتوطئة فهو البدل، وهذا المعنى ليس النعت، فليس الإعرابان واردين على قصد واحد).(٦٨)

على أن ظاهر كلام السيوطي -رحمه الله- في إيراده ما سلف من جواب الشاطبي يقضي بأنه لم ير هذا الجواب لغيره.

والحق أن هذا الجواب مسلوخ ومنتزعٌ من كلام من تقدمه من النحويين، وهذه بعض عباراتهم في ذلك.

قال الزمخشري -في الفرق بين عطف البيان والبدل-: (الأول - ههنا - هو ما يعتمد بالحديث، وورود الثاني من أجل أن يوضح أمره، والبدل على خلاف ذلك؛ إذ

---

(٦١) الارتشاف ٤/٢١٨٤.

(٦٢) المقتضب ٤/٢٠٦.

(٦٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ٥٠ - ٥١.

(٦٤) ويستثنى من هذه القاعدة صورٌ يتعين أن يكون التابع فيها عطف بيان، ويمتنع أن يكون بدلاً، وترجع هذه الصور في مجملها إلى مسألتين:
إحداهما: إذا امتنع الاستغناء عنه، فيمتنع أن يكون بدلاً، نحو: هندٌ قام زيدٌ أخوها، فأخوها يتعين كونه عطف بيان على زيد، ولا يجوز أن يكون بدلاً ؛ لأنه لا يصح الاستغناء عنه ؛ لاشتماله على ضمير رابط للجملة الواقعة خبرًا عن هند فلو أُسْقِطَ أخوها لم يصح الكلام ؛ لذا وجب أن يعرب عطف بيان لا بدلاً؛ لأن البدل على نية تكرار العامل، فكأنه من جملة أخرى، فتخلو الجملة المخبر بها عن رابط يربطها بالمخبر عنه، وذلك لا يجوز.
والأخرى: إذا امتنع إحلاله محل الأول، نحو: يا زيدُ الحارث، فالحارث يتعين كونه عطف بيان على زيد، ولا يجوز أن يكون بدلاً منه ؛ لامتناع إحلاله محل الأول ؛ إذ لو قيل: يا الحارث، لم يجز ؛ لأن (يا وأل) لا يجتمعان هنا. ينظر: الخاطريات لابن جني ٢/١٧، والتخمير ٢/١٢٤والارتشاف ٤/١٩٤٤، والتصريح ٢/١٣٢، والأشموني ٣/٨٦- ٨٧

(٦٥) ينظر: شرح التسهيل ٣/١٨٧، وشرح ابن الناظم ٣٦٨، والارتشاف ٤/١٩٤٤، وأوضح المسالك ٣/٣٤٩، وتوضيح المقاصد ٣/٩٩٠.

(٦٦) ينظر: الارتشاف ٤/١٩٤٤، والمقاصد الشافية ٥/٤٠.

(٦٧) الارتشاف ٤/١٩٤٤.

(٦٨) المقاصد الشافية ٥/٤٠- ٤١.

هو -كما ذكرت- المعتمد بالحديث، والأول كالبساط لذكره).[٦٩]

أي: أن المقصود في عطف البيان هو الأول، وإنما يُذْكَر الثاني للتفسير، وليس الأمر كذلك في باب البدل، فإن المقصود هو الثاني، وإنما يُذْكَر الأول للتمهيد.[٧٠]

قال ابن يعيش: (ومن الفصل بين البدل وعطف البيان أن المقصود بالحديث في عطف البيان هو الأول، والثاني بيانٌ كالنعت المستغنى عنه. والمقصود بالحديث في البدل هو الثاني؛ لأن البدل والمبدل منه اسمان بإزاء مسمى مترادفان عليه، والثاني منهما أشهر عند المخاطب، فوقع الاعتماد عليه، وصار الأول كالتوطئة والبساط لذكر الثاني.

وعلى هذا لو قلت: زَوَّجْتُك بنتي فاطمة، وكانت عائشة، فإن أردت عطف البيان صح النكاح؛ لأن الغلط وقع في البيان، وهو الثاني، وإن أردت البدل لم يصح النكاح؛ لأن الغلط وقع فيما هو معتمد الحديث، وهو الثاني).[٧١]

أرأيت كيف كان القصد سبيلاً إلى الإعراب، وطريقًا من طرائق الحكم الشرعي؟!

وقال ابن الناظم: (ما يحكم عليه بأنه عطف بيان باعتبار كونه موضحًا أو مخصصًا لمتبوعه يجوز الحكم عليه بأنه بدلٌ، باعتبار كونه مقصودًا بالنسبة على نية تكرار العامل؛ لإفادة معنى تقرير الكلام وتوكيده).[٧٢]

وبهذا الجواب أيضًا قال بعض لاحقي الشاطبي، كالشيخ خالد[٧٣] والصبان؛ إذ قال: (جواز الأمرين على مقصدين، فإن قصدت بالحكم الأولَ، وجعلت الثاني بيانًا له فهو عطف بيان، وإن قصدت بالحكم الثانيَ، وجعلت الأول كالتوطئة له فهو بدلٌ).[٧٤]

٥-القصد في نعت المنادى المقصور المنون للضرورة

قال السيوطي: (تجري قاعدة الأمور بمقاصدها في علم العربية أيضًا... ومن ذلك أن المنادى المنون للضرورة يجوز تنوينه بالنصب والضم، فإن نُوِّن بالضم جاز ضم نعته ونصبه، أو بالنصب تعين نصبه؛ لأنه تابع لمنصوب لفظًا ومحلاً، فإن نُوِّن مقصورٌ نحو: يا فتى بني النعت على ما نُوِيَ في المنادى، فإن نوي فيه الضم جاز الأمران، أو النصب تعين).[٧٥]

الدراسة والتحليل:

لا خلاف في أنه إذا اضطر شاعر إلى تنوين ما يستحق البناء على الضم من أقسام المنادى - وهو المفرد المعرف - جاز له وجهان:

أحدهما: تنوينه مع بقائه على ضمه؛ لأن التنوين عارضٌ فيه للضرورة، فلا يعتد به، بل يجعل كالمعدوم، فيبقى على ضمه.

والآخر: تنوينه مع رده إلى أصله من النصب؛ تشبيهًا بالمضاف، ورجوعًا إلى الأصل في الأسماء.[٧٦] وقد ورد السماع بهما، فمن شواهد الضم قول الشاعر:

سَلاَمُ اللهِ يَا مَطَرٌ عَلَيْهَا
وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلاَمُ.[٧٧]

بتنوين مطر الأول مع بقاء ضمه على البناء.[٧٨] ومن شواهد النصب قول الشاعر:

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ
يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتْكَ الأَوَاقِي.[٧٩]

بتنوين "عديًا" مع نصبه على الإعراب؛ تشبيهًا بالمضاف، ورجوعًا إلى الأصل في الأسماء.[٨٠]

والخلاف في المختار من الوجهين: فاختار الخليل وسيبويه والمازني الضم، واختار أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والجرمي والمبرد النصب.[٨١]

(٦٩) المفصل ١٦٠.
(٧٠) ينظر: التخمير ١٢٥/٢.
(٧١) شرح المفصل ٧٤/٣.
(٧٢) شرح الألفية: ٣٦٨.
(٧٣) ينظر: التصريح ١٣٢/٢.
(٧٤) حاشية الصبان ٨٧/٣.

(٧٥) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ٥٠ - ٥١.
(٧٦) ينظر: مجالس ثعلب ٧٤/١، وكتاب الشعر ١٤٦/١، والارتشاف ٢١٩٠/٤، وشرح شذور الذهب ١٤٦- ١٤ .
(٧٧) البيت من الوافر، وهو للأحوص في: ديوانه ٢٣٧، والكتاب ٢٠٢/٢، والمقتضب ٢١٤/٤، وشرح الشواهد الكبرى ١٤٤/٣وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٧٤/١، ٤٧٤/٢، والجمل ٨٠- ٨١
(٧٨) ينظر: الكتاب ٢٠٢/٢، والشعر ١٤٦/١، والتصريح ١٧١/٢، وحاشية الصبان ١٤٤/٣
(٧٩) البيت من الخفيف، وهو للمهلهل في: ديوانه ٢٢، والمقتضب ٢١٤/٤، وشرح الشواهد الكبرى ١٤٥/٣. وله أو لعمه عدي بن ربيعة في: المقاصد الشافية ٢٨١/٥. وبلا نسبة في: شرح التسهيل للشيخ خالد ١١٧٠/٣
(٨٠) ينظر: شرح الشواهد الكبرى ١٤٥/٣، وحاشية الصبان ١٤٤/٣
(٨١) ينظر: الكتاب ٢٠٢/٢، والمقتضب ٢١٣/٤- ٢١٤، وتحصيل عين

والأرجح ما ذهب إليه الخليل وسيبويه؛ لما تقدم من القياس ولشبهه بالمرفوع الذي لا ينصرف، ولأنه الأكثر في كلام العرب، حتى قال سيبويه: (ولم نسمع عربيًا يقوله)[٨٢] يعني النصب مع التنوين.[٨٣]

وتظهر فائدة الوجهين في نعت المنادى، فغير المنوَّن يجوز في نعته الرفع حملاً على اللفظ، كما يجوز فيه النصب حملاً على المحل.[٨٤]

قال ابن السراج: (أما الوصف فقولك: يا زيدُ الطويلُ والطويلَ، فترفع على اللفظ، وتنصب على الموضع).[٨٥]

وأما المنوَّن فإما أن يكون مضمومًا أو منصوبًا: فإن كان مضمومًا جاز في نعته ما جاز في غير المنون من الرفع حملاً على اللفظ، والنصب حملاً على المحل.

وإن كان منصوبًا وجب نصب نعته، ولا يجوز ضمه؛ لأنه تابع لمنصوب لفظًا ومحلاً.[٨٦]

فإن كان المنادى المنوَّن مقصورًا، نحو: يا فتى، بني النعت على ما قُصِدَ في المنادى؛ لأن المقصور يتعذر ظهور العلامة في آخره، فإذا نُوِّنَ فإنه محتملٌ لأن يكون بقي على ضمه، ومحتملٌ لأن يكون قد حُوِّلَ إلى النصب، ولورود الاحتمال لجأوا إلى الاحتكام إلى القصد، فإن قُصِدَ فيه الضم جاز في نعته الأمران: الرفع والنصب، وإن قُصِدَ فيه النصب، تعيَّن في نعته النصب، ولا يجوز رفعه؛ لأنه تابعٌ لمنصوب لفظًا ومحلاً.[٨٧]

ومن هذا يظهر أن الفيصل في جواز الوجهين في نعت المنادى المقصور، أو الاقتصار على النصب فقط، إنما هو القصد.

قال أبو حيان: (ولو نوَّنتَ مقصورًا، نحو: يا فتىً، فإن اعتقدْتَ أنه منصوبٌ لم يجز في نعته إلا النصب، وإن اعتقدْتَ أنه مضمومٌ جاز في نعته الرفع والنصب).[٨٨]

٦- إعمال اسم الفاعل الموصوف المجرد في مفعوله

من قواعد الفقهاء المشهورة: (مَن استعجل شيئًا قبل أوانه عُوقِبَ بحرمانه).

ومن فروعها عندهم حرمان القاتل من الميراث؛ لأنه بقتله مورثه تعجل الوقت الذي يرث به، فيعاقب بالحرمان، فلا يكون وارثًا للمورث.

ومنها: أن الخمر إذا خُلِّلَتْ بطرح شيء منها لم تطهر، وأن الحمار إذا ذُبِحَ ليُؤْخَذَ جلده لم يجز.[٨٩]

وقد جرت هذه القاعدة عند بعض النحاة في منع إعمال اسم الفاعل المجرد الموصوف في معموله. قال السيوطي -: (رأيت لهذه القاعدة مِثْلاً في العربية، وهو: أن اسم الفاعل يجوز أن يُنْعَت بعد استيفاء معموله، فإن نُعِتَ قبله امتُنِعَ عمله من أصله).[٩٠]

الدراسة والتحليل:

في إعمال اسم الفاعل الموصوف المجرد من أل والإضافة في مفعوله خلافٌ بين النحويين على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول:

الجواز مطلقًا، أي: سواء أكان قبل استيفائه مفعوله، نحو: هذا ضاربٌ عاقلٌ زيدًا، أم بعده، نحو: هذا ضاربٌ زيدًا عاقلٌ.

وقد نقل ابن مالك أن هذا مذهب الكسائي تمسكًا بقول الشاعر:

إِذَا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ
ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الخَلِيطِ المُزَايِلِ[٩١]

الذهب ٣١٣/١، وأوضح المسالك ٣١/٤، والمقاصد الشافية ٢٨٠/٥، والأشموني ١٤٤/٣.

(٨٢) ينظر: الكتاب ٢٠٣/٢.

(٨٣) ينظر: الكتاب ٢٠٢/٢ – ٢٠٣، والارتشاف ٢١٩١/٤، والمقاصد الشافية ٢٨٠/٥.

(٨٤) ينظر: المقتضب ٢٠٧/٤- ٢٠٨ والتصريح ١٧٢/٢، والأشباه والنظائر في النحو ٣٠٩/٢.

(٨٥) الأصول ٣٣٣/١

(٨٦) ينظر: الارتشاف ٢١٩١/٤، والتصريح ١٧٢/٢

(٨٧) ينظر: شرح التسهيل للشيخ خالد ١١٧١/٣، وحاشية الصبان ١٤٤/٣.

(٨٨) الارتشاف ٢١٩١/٤.

(٨٩) ينظر: نهاية المحتاج إلى شرح ألفاظ المنهاج للرملي الشافعي: ٢٤٩/١، وغمز عيون البصائر ٤٥٢/١، ودرر الحكام في شرح مجلة الأحكام للعلامة علي حيدر الحنفي ١٠٠/١، والموسوعة الفقهية ١٨/١٨.

(٩٠) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية : ١٥٥

(٩١) البيت من الطويل، وهو لـ (بشر بن أبي حازم) في: مستدرك ديوانه: ١٣، والعيني: ٢٩٥/٢. وبلا نسبة في: الشعر ٣١١/٢، والمقرب ١٢٤/١، وشرح التسهيل ٤٠٢/٢.

(فاقدٌ): الفاقد من النساء التي يموت زوجها أو ولدها، أو هما معًا، وهي فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور، أي: إذا رجعت فاقد (خطباء): صفة، أي: بينة الخطب، وهو الكرب، أو الأمر العظيم، و(فرخين): تثنية فرخ، وأراد به الولدين و(رَجَّعَتْ): أي: قالت عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون. ينظر: العيني ٢٩٥/٢،، واللسان (فقد): ٣٣٧/٣.

حيث عمل اسم الفاعل: "فاقد" الموصوف بـ "خطباء" في مفعوله: "فرخين".(٩٢)

ونقل أبو حيان أن هذا مذهب الكوفيين إلا الفراء.(٩٣)

قال المرادي: (ونقل غيره أن مذهب البصريين والفراء هذا التفصيل، وأن مذهب الكسائي وباقي الكوفيين إجازة ذلك مطلقًا).(٩٤)

المذهب الثاني:

المنع مطلقًا، أي: سواء أكان قبل استيفائه مفعوله أم بعده، وإلى هذا ذهب أبو البقاء العكبري، وهو ظاهر كلام ابن عصفور(٩٥)، واختاره ابن مالك، صرح بذلك غير واحد من النحويين.(٩٦)

قال أبوالبقاء – في ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾(٩٧)–: (يبتغون: في موضع الحال من آمين، ولا يجوز أن يكون صفة لآمين؛ لأن اسم الفاعل إذا وُصِفَ لم يعمل في الاختيار).(٩٨)

إذا تقرر هذا عُلِمَ أن في دعوى أبي حيان الإجماع على جواز الوصف بعد العمل في قوله: (فإن تقدم معموله على الوصف جاز بلا خلاف نحو: هذا ضاربٌ زيدًا).(٩٩) نظرًا؛ لأن في المسألة خلافًا، إلا إذا قيل: إن أبا حيان لم يعتد برأي المخالف.

وإنما امتنع عمل اسم الفاعل الموصوف؛ لأن الوصف من خصائص الأسماء، فيزول بذلك شبه اسم الفاعل بالفعل معنىً ولفظًا.(١٠٠)

المذهب الثالث:

التفصيل، وهو الجواز بعد استيفاء المفعول، والمنع قبله. وإلى هذا ذهب بعض الأندلسيين، نقل ذلك ابن مالك(١٠١) قال المرادي: (قال في شرح التسهيل: ووافق بعض أصحابنا الكسائي في إعمال الموصوف قبل الصفة).(١٠٢)

ونقل أبوحيان أن هذا مذهب البصريين والفراء، فقال – في شروط إعمال اسم الفاعل المجرد –: (ألاَّ يوصف قبل العمل، فلا يجوز: هذا ضاربٌ عاقلٌ زيدًا، هذا مذهب البصريين والفراء).(١٠٣)

ويؤيد هذا النقل قول سيبويه: (لو قلت: مررت بضاربٍ ظريفٍ زيدًا، وهذا ضاربٌ عاقلٌ أباه، كان قبيحًا؛ لأنه وصفه فجعل حاله كحال الأسماء؛ لأنك إنما تبتدئ بالاسم ثم تصفه).(١٠٤)

ألا ترى أن سيبويه في هذا النص قد تَحَدَّثَ عن الوصف قبل استيفاء المعمول، حيث مَثَّلَ بقوله: مررت بضاربٍ ظريفٍ زيدًا، وهذا ضاربٌ عاقلٌ أباه، ولم يتحدَّث عن الصورة الأخرى، فدل ذلك على أن المنع عنده قاصرٌ على الوصف قبل استيفاء المعمول، وأما بعده فجائزٌ على قبح.

فإن قيل: إن عموم المنع –وإن لم يظهر من المثال– فهو ظاهرٌ من التعليل في قوله: (لأنه وصفه فجعل حاله كحال الأسماء؛ لأنك إنما تبتدئ بالاسم، ثم تصفه) أي: إنما امتنع عمل اسم الفاعل الموصوف؛ لأن الوصف من خصائص الأسماء، فيزول بذلك شبه اسم الفاعل بالفعل معنىً ولفظًا.

قيل: هذه العلة لا تصح لمنع عمل اسم الفاعل الموصوف بعد استيفاء المعمول؛ إذ إنه في هذه الحالة قد ثبت له العمل قبل الوصف الذي يجعل حاله كحال الأسماء.

تعقيب:

بدا بعد هذه الدراسة أن ما ذكره السيوطي من قاعدة الفقهاء: من استعجل شيئًا قبل أوانه عُوقِبَ بحرمانه، لا يجري في العربية على المذهب الأول؛ لأنه لا يمنع عمل اسم الفاعل المجرد الموصوف قبل استيفائه مفعوله، كما لا يجري على المذهب الثاني؛ لأنه يمنع العمل بالوصف قبل استيفاء المفعول وبعده.

وإنما يجري على مذهب التفصيل، وهو جواز الوصف

(٩٢) ينظر: الشعر ٢/٣١١– ٣١٢، وشرح التسهيل ٢/٤٠٢، والعيني: ٢/٢٩٥.
(٩٣) ينظر: الارتشاف ٥/٢٢٦٨
(٩٤) توضيح المقاصد: ٣/٨٥٢
(٩٥) ينظر: المقرب ١/١٢٤– ١٢٥، وحاشية الصبان: ٢/٢٩٤ .
(٩٦) ينظر: حاشية الصبان: ٢/٢٩٤
(٩٧) من الآية: ٢ من سورة المائدة.
(٩٨) إملاء ما من به الرحمن: ١/٢٠٦.
(٩٩) الارتشاف ٥/٢٢٦٨
(١٠٠) ينظر: الكتاب ٢/٢٩، وشرح الأشموني ٢/٢٩٤
(١٠١) لم أقف على ما نسب لابن مالك من هذا النقل في النسخة المطبوعة من كتابه: شرح التسهيل ٢/٤٠٢ وينظر ما نسب إليه في شرح الأشموني: ٢/٢٩٥.
(١٠٢) توضيح المقاصد: ٣/٨٥٢
(١٠٣) الارتشاف ٥/٢٢٦٨
(١٠٤) الكتاب ٢/٢٩

بعد استيفاء المفعول، والمنع قبله.

ولعل في إجراء السيوطي القاعدة الفقهية على مذهب التفصيل دليلاً على اختياره هذا المذهب، وهو اختيار ابن هشام، وهذه عبارته: (قال أبو البقاء في ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾[١٠٥]: لا يكون يبتغون نعتًا لآمين؛ لأن اسم الفاعل إذا وُصِفَ لم يعمل في الاختيار اهـ[١٠٦] وهذا قولٌ ضعيفٌ، والصحيح جواز الوصف بعد العمل).[١٠٧]

وهذا ما يميل إليه الباحث؛ لأن ما تمسك به الكسائي ومن وافقه من الاحتجاج بقول الشاعر:

إِذَا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ قَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ
ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الخَلِيطِ المزَايِلِ

يمكن الجواب عنه بأن فرخين منصوب بـ "فقدت" مقدرًا، يدل عليه "فاقد" أو بـ "رَجَّعَت" على إسقاط حرف الجر، والأصل: رجعت على فرخين.[١٠٨]

وأما ما اعتل به المانعون لعمل الموصوف مطلقًا من أن الوصف من خصائص الأسماء، فيزول بذلك شبه اسم الفاعل بالفعل معنىً ولفظًا، فيرد عليه أن ضعف شبه اسم الفاعل بالوصف لم يأت قبل أن يثبت العمل، وإنما جاء بعد أن ثبت العمل واستقر، نحو: هذا ضاربٌ زيدًا عاقلٌ.[١٠٩]

وعلى هذا يكون نعت اسم الفاعل قبل استيفائه مفعوله من استعجال الشيء قبل أوانه؛ ولذا عُوقِبَ اسم الفاعل بحرمانه من العمل!.

٧- المعَرَّف لا يُعَرَّف

من قواعد الفقهاء: (المكَبَّر لا يُكَبَّر) ومِن ثَمَّ لا يُشْرَع التثليث في غسلات الكلب[١١٠]، ولا في دية العمد وشبهه؛ لأن الشيء إذا بلغ غايته في التغليظ لا يقبل التغليظ.[١١١]

وقد جرت هذه القاعدة عند النحاة.[١١٢] قال السيوطي- وقد أورد قاعدة: المكَبَّر لا يُكَبَّر-: (تجري هذه القاعدة في العربية، ومن فروعها:... وقاعدة: المعَرَّف لا يُعَرَّف؛ ومن ثم امتنع دخول اللام المعَرِّفَة على العلم والمضاف).[١١٣]

الدراسة والتحليل:

ينقسم الاسم بحسب التنكير والتعريف إلى معرفة، ونكرة[١١٤] فالمعرفة ما خص الواحد من جنسه، نحو: الرجل والفرس والدار، وهي منحصرة في سبعة أقسام، وهي: الضمير، نحو: أنا وأنت وهم، والعَلَم، نحو: زيد وهند، واسم الإشارة، نحو: ذا وذي، والموصول، نحو: الذي والتي، والمعَرَّف بالألف واللام، نحو: الغلام والفرس، والمعَرَّف بالإضافة، نحو: ابني وغلام زيدٍ والمعَرَّف بالنداء، نحو: يا رجلُ.

فهذه السبعة هي المعارف، وما عداها من الأسماء مما لا يخص الواحد من جنسه فنكرة، نحو: رجل وفرس ودار.[١١٥]

وتعتبر النكرة من المعرفة بشيئين:

أحدهما: أن يصح دخول رُبَّ عليها، نحو: رُبَّ فرسٍ وغلامٍ، وما أشبه ذلك.

والآخر: أن تقبل التعريف بالألف واللام، أو تكون بمعنى ما يقبله فالأول نحو: رجل وفرس، فإنه يدخل عليهما الألف واللام للتعريف، نحو: الرجل والفرس.

والثاني نحو: ذو بمعنى صاحب، فإنه نكرة، وإن لم يقبل التعريف بالألف واللام فهو في معنى ما يقبله، وهو:

(١٠٥) من الآية: ٢ من سورة المائدة.
(١٠٦) إملاء ما من به الرحمن: ٢٠٦/١.
(١٠٧) المغني ٧٦٦
(١٠٨) ينظر: المقرب ١٢٤/١- ١٢٥، وشرح التسهيل للشيخ خالد ٨٥١/٣، وشرح الأشموني ٢٩٥/٢.
(١٠٩) ينظر: توضيح المقاصد: ٨٥٢/٣، وشرح التسهيل للشيخ خالد ٨٥١/٣
(١١٠) والمراد بغسلات الكلب ما ورد في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري ٧٥/١ كتاب الوضوء: (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا)، وفي رواية لمسلم ٢٣٥/١ كتاب الطهارة: (إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات وعفروه الثامنة في التراب).
(١١١) ينظر: أسنى المطالب شرح روض الطالب للعلامة زكريا الأنصاري الشافعي ٢٠/١، والمنثور من القواعد الفقهية للعلامة بدر الدين الزركشي الشافعي: ١٩٨/٣.
(١١٢) ذكر السيوطي - رحمه الله — أن هذه القاعدة جرت في العربية على أربع مسائل: إحداها في النحو وهي هذه المسألة، والثلاثة الأخرى تأتي دراستها في الصرف وهي: المصغر لا يصغر، ومنع جمع ما كان على صيغة منتهى الجموع. ينظر: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ١٥٣.
(١١٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ١٥٣
(١١٤) وهي الأصل ؛ لأن التعريف طارئٌ على التنكير، ولأن كل معرفة تندرج تحت كل نكرة من غير عكس. ينظر: الأصول ١٤٨/١، وأسرار العربية ٢٩٨، واللباب ٤٧١/١.
(١١٥) ينظر: أسرار العربية ٢٩٨، وشرح ابن الناظم ٣٣، والارتشاف ٩٠٧/٢.

صاحب.[١١٦]

إذا تقرر هذا عُلِمَ أمران:

الأمر الأول: أن أل التي للتعريف لا تدخل على العَلَم، نحو: زيد؛ لأنه مُعَرَّفٌ بالعلمية قبل دخولها، والمعَرَّف لا يُعَرَّف؛ لئلا يلزم اجتماع مُعَرِّفَيْنِ على مُعَرَّف واحد.

فإن قيل: فلم كان تَحَمُّل اللام في ذلك أقبحَ من تحمُّل الإضافة حتى استقبحوا أن يقولوا: ضربت الزيْدَ والبَكْرَ، ولم يستقبحوا أن يقولوا: ضربت زَيْدَك وبَكْرَك؟

فالجواب: أنهم إنما استكرهوا ذلك مع اللام، وكان أقبح عندهم من الإضافة؛ من قِبَلِ أن اللام ألزم لما تتصل به من المضاف إليه بالمضاف، وذلك أن اللام على حرف واحد ساكن ويدغم، فاتصاله بما عَرَّفَه أشد من اتصال المضاف إليه بالمضاف، ألا ترى أن المضاف إليه اسم كامل نحو: غلام زيد، لك أن تفصل زيدًا، فتقول: هذا زيدٌ، وكَلَّمت زيدًا ونظرت إلى زيدٍ، واللام لا يمكنك ذلك فيها؛ لقوة اتصالها وامتزاجها بما عَرَّفته، فلم يمكن أن ينوى انفصالها كما ينوى انفصال المضاف إليه.[١١٧]

فإن قيل: فإذا كانوا يستكرهون الزيد، فكيف اجتمعوا على استحسان الزيدين؟

فالجواب: أنهم إنما استكرهوا أن يقولوا: الزيد؛ لأنه كان قبل سلبه تعريفه علمًا معرفة لواحد مخصوص، فردوه لما احتاجوا إلى تعريفه، فقالوا: جاء زيدٌ، كما كانوا يقولون قبل سلبه تعريفه ورده إليه: جاء زيدٌ.

وأما التثنية في نحو قولك: زيدان، فلم يكن زيدانِ قطُّ علمًا لاثنين مخصوصين، فيردا عند إرادة تعريفهما إلى حالهما بعد السلب وإنما زيدان بمنزلة رجل وغلام في أنه اسم لاثنين شائع، فكما أنك إذا أردت تعريفهما قلت: الرجل والغلام، فكذلك إذا أردت تعريف زيْدَيْنِ ألحقته اللام، فقلت: الزيدان.[١١٨]

فإن قيل: فقد قالوا: العباس، والحارث، والعلاء، والفضل.

فالجواب: أن العباس، والحارث، والعلاء، والفضل، ونحو ذلك من الأوصاف الغالبة والمصادر المقدر فيها جرياتها أوصافًا، إنما تَعَرَّفَتْ بالوضع دون اللام، فتعريفها تعريف العلمية المحضة، فإذا دخلت عليها الألف واللام، فإنهما للمح الوصف فيها قبل النقل.[١١٩]

قال ابن يعيش: (وما نُقِلَ عن الصفة، وفيه اللام المعَرِّفة فإنها تقر فيه بعد النقل نحو: الحارث والعباس، وما نُقِلَ منها مجردًا عن الألف واللام لم يجز دخولهما عليه بعد النقل، نحو: سعيد ومكرم وحاتم ونائلة، وما فيه الألف واللام بعد النقل فإشعارٌ فيه بتبقية معنى الصفة).[١٢٠]

والدليل على تعريفها في الحقيقة بالوضع قولهم: أبو عمرِو بن العلاءِ، فطرح التنوين من عمرو إنما هو لأن ابنًا مضاف إلى العلم، فجرى مجرى قولك أبو عمرِو بن بكرٍ ولو كان العلاء مُعَرَّفًا باللام لوجب ثبوت التنوين، كما يثبت مع ما تعرف باللام، نحو: جاءني أبو عمرٍو بن الغلام.[١٢١]

الأمر الثاني: أن أل المعَرِّفة لا تدخل على المضاف الذي إضافته محضة[١٢٢]؛ لأن المضاف فيها إلى معرفة تَعَرَّفَ بالإضافة، والمعَرَّف لا يُعَرَّف.

قال ابن الحاجب: (الأعلام لا تضاف وهي أعلام؛ لأنها معرفة، والمعرفة لا تضاف).[١٢٣]

وأما المضاف إضافة غير محضة[١٢٤] نحو: جاء الضاربُ الرجلِ فالقياس ألا تدخل الألف واللام على المضاف فيه؛ لأن الإضافة معاقبة للألف واللام، فلا يجمع بينهما، ولكن لما كانت الإضافة فيه على نية الانفصال اغتُفِرَ ذلك.

---

(١١٦) ينظر: اللمع ٩٨، وأسرار العربية ٢٩٨، وشرح ابن الناظم: ٣٣، وتوضيح المقاصد ٣٥٦/١.

(١١٧) ينظر: سر الصناعة ٤٥٨/٢ – ٤٥٩

(١١٨) ينظر: الأصول ١٤٨/١، وسر الصناعة ٤٦٠/٢– ٤٦٠، وعلل التثنية ٧٤.

(١١٩) ينظر: سر الصناعة ٤٥٨/٢ – ٤٥٩، واللباب ٧٧/١، وشرح التسهيل ١٧٦/١، والارتشاف ٩٦٨/٢، والمقاصد الشافية ٢٤٥/١.

(١٢٠) شرح المفصل ٢٩/١.

(١٢١) ينظر: المقتضب ٤٩/٤، وسر الصناعة ٤٥٨/٢ – ٤٥٩، واللباب ٧٧/١ وشرح ابن الناظم ٧٠

(١٢٢) هي: غير إضافة الوصف المشابه للفعل المضارع إلى معموله، وهي تفيد الاسم الأول: تخصيصًا إن كان المضاف إليه نكرة، نحو: هذا غلام امرأة. وتعريفًا إن كان المضاف إليه معرفة نحو: هذا غلام زيد. وتسمى محضة ومعنوية وحقيقية ؛ لأنها خالصة من تقدير الانفصال، وفائدتها راجعة إلى المعنى، وذلك هو الغرض الأصلي من الإضافة. ينظر: شرح ابن عقيل: ٤٤/٣، والأشموني: ٢٤١/٢.

(١٢٣) الإيضاح شرح المفصل ٨٩/١.

(١٢٤) هي إضافة الوصف المشابه للفعل المضارع إلى معموله، وهي لا تفيد الاسم الأول تخصيصًا، ولا تعريفًا. وتسمى غير محضة، ولفظية، ومجازية؛ لأنها في تقدير الانفصال، وفائدتها راجعة إلى اللفظ فقط، بتخفيف أو تحسين. ينظر: المصباح في علم النحو للمطرزي: ٦٦، والأشموني: ٢٤١/٢.

وعلى هذا يحمل المضاف فيما سلف من قول السيوطي: (ومن ثم امتنع دخول اللام المعَرِّفَة على العلم والمضاف).

على المضاف إضافة محضة. قال الصبان: (المضاف إضافة محضة لا تدخل عليه أل؛ لأن المضاف فيها إلى معرفة تعَرَّفَ بالإضافة، فلا تدخل عليه أل؛ لئلا يلزم اجتماع مُعَرِّفَيْنِ على مُعَرَّف واحد، والمضاف فيها إلى نكرة تخصص بالإضافة، ولو أدخلت عليه أل لزم إضافة المعرفة إلى النكرة، وهي ممنوعة).(١٢٥)

تعقيب:

ظهر مما تقدم جريان القاعدة الفقهية: "المكَبَّر لا يُكَبَّر" على القاعدة النحوية: "المعَرَّف لا يُعَرَّف" حيث يمنع دخول أل التعريف على العَلَم والمضاف إضافة محضة.

المبحث الثاني
نظائر السيوطي التصريفية للقواعد الفقهية دراسة تحليلية.

١- دوران الأمر في الضرورة بين قصر الممدود ومد المقصور

من قواعد الفقهاء: (الخروج من الخلاف مستحب) وفروع هذا القاعدة كثيرةٌ جدًا لا تكاد تحصى، فمنها استحباب مسح جميع الرأس في الوضوء، والترتيب في قضاء الصلوات، وترك صلاة الأداء خلف القضاء وعكسه، وقطع المتيمم الصلاة إذا رأى الماء؛ خروجًا من خلاف من أوجب الجميع.(١٢٦)

قال السيوطي- في خاتمة القاعدة الثانية عشرة، الخروج من الخلاف مستحب-: (من فروع هذه القاعدة في العربية: إذا دار الأمر في ضرورة الشعر بين قصر الممدود ومد المقصور. فالأول أولى؛ لأنه متفق على جوازه، والثاني مختلف فيه).(١٢٧)

الدراسة والتحليل:

الاسم المقصور هو: الاسم المعرب الذي آخره ألف لازمة قبلها فتحة، مثل: فتى، وسلمى.

والممدود هو: الاسم المعرب الذي آخره همزة قبلها ألف زائدة، مثل: صحراء وحسناء.(١٢٨)

وقد اختلف النحاة في قصر الممدود في ضرورة الشعر(١٢٩) على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب الجمهور: الجواز مطلقًا؛ لأن المد زيادة، فإذا اضطر الشاعر فقصر، فقد رد الكلام إلى أصله، نحو قول الشاعر:

لاَ بُدَّ مِن صَنعَا وَإِن طَال السَّفَرْ.(١٣٠)

فقصر صنعاء للضرورة.(١٣١)

المذهب الثاني: مذهب الفراء: الجواز بشرط أن يكون له بعد القصر نظيرٌ في الأبنية، نحو: سماء ودعاء ورداء؛ لأنها إذا قصرت صارت إلى مثال رحى وهدى وحجى، بخلاف قصر ما كان مؤنثًا على وزن أفعل، نحو بيضاء وسوداء؛ لأن مذكره أبيض وأسود، وفعلاء تأنيث أفعل لا يكون إلا ممدودًا، واحتج الفراء بأن الضرورة إنما ترد إلى أصل.(١٣٢)

والمختار ما ذهب إليه الجمهور؛ إذ يمكن الجواب عما ذهب إليه الفراء من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن ما احتج به من أن الضرورة ترد إلى أصل لا يطرد في كل موضع؛ ولذلك جاز تأنيث المذكر، وهو رجوع من الأصل إلى الفرع.

الوجه الثاني: أن قصر الممدود ردٌّ إلى الأصل من وجهٍ، وهو حذف الزائد ولا يعتبر أن يكون ردًا إلى كل

---

(١٢٥) حاشية الصبان ٢/٢٤٥.

(١٢٦) ينظر: المبسوط للعلامة محمد بن أحمد السرخسي الحنفي ١/٦٤، والمجموع للإمام النووي ١/٤٣٤، والموسوعة الفقهية ٨/١٢٦، والأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ١٣٩.

(١٢٧) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ١٣٩.

(١٢٨) ينظر: المقصور والممدود لابن ولاد ١٣٥، ١٤٦، والتبصرة ٢/٦٠٨، وابن الناظم ٥٤١

(١٢٩) وأما في الاختيار فالقياس أنه لا يجوز فيه قصر الممدود، ولا مد المقصور؛ لأن ما يُقاس في الكلام لا يكون مأخوذَ القياس إلا من الكلام، ومثل هذا لم يأت إلا في الشعر، فلا ينقل إلى الكلام، وقد جاء في الاختيار مد المقصور، كقراءة طلحة بن مصرف: (يَكَادُ سَنَاءُ بَرْقِهِ). ينظر: المقاصد الشافية ٦/٤٠٣، والتصريح ٢/٢٩٣

(١٣٠) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في: المقصور والممدود لابن ولاد ٧٥، وأوضح المسالك ٤/٢٩٦، وشرح الشواهد الكبرى ٤/١٠٩، والهمع ٣/٢٧٧، والأشموني ٤/١٠٩.

(١٣١) ينظر: الأصول ٢/٤٤٧، ومجالس ثعلب ١/٨٨، والمقصور والممدود لابن ولاد ٧٥، والمقاصد الشافية ٦/٤٠٣، والأشموني ٤/١٠٩

(١٣٢) لم أقف على كلام الفراء هذا فيما تيسر لي من كتبه، وهو في: الإنصاف ٢/٧٤٥، واللباب ٢/٩٨، والأشموني ٤/١٠٩.

الأصول؛ إذ ذلك محال.[١٣٣]

الوجه الثالث: أن ما اشتراطه في قصر الممدود من أن يجئ في بابه مقصور يرد عليه أنه قد جاء القصر فيما لم يجئ في بابه مقصور، ومن ذلك قول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّ الأَطِبَّا كَانُ حَوْلِي
وَكَانَ مَعَ الأَطِبَّاءِ الأُسَاةُ.[١٣٤]

فقصر الأطباء، وهو جمع طبيب، ولا يجئ في بابه مقصور؛ لأن القياس يوجب مده؛ لأن الأصل في طبيب أن يجمع على طُبَبَاء على وزن فُعَلاَء، نحو: شَرِيف وشُرَفَاء، وظَرِيف وظُرَفَاء إلا أنه اجتمع فيه حرفان متحركان من جنس واحد، فاستثقلوا اجتماعهما، فنقلوه من فُعَلاَء إلى أَفْعِلاء فصار أَطْبِبَاء، فاستقلوا أيضا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، فنقلوا كسرة الباء الأولى إلى الطاء؛ فرارًا من الاستثقال، وأدغموا الباء في الباء، فصار أَطِبَّاء.

ولا يجوز في القياس أن يقع شيء من هذا الجمع إلا ممدودًا، فلما قال الشاعر: الأطبا، فقصر ما يوجب القياس مده دل على بطلان ما ذهب إليه الفراء.[١٣٥]

وأما مد المقصور للضرورة ففيه ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول:

مذهب جمهور البصريين: المنع مطلقًا؛ لأنه زيادة في الكلمة؛ ولذلك لم يسغ للشاعر أن يزيد أي حرف شاء، بخلاف قصر الممدود، فإنه حذف الزائد، والأصل عدم الزيادة.[١٣٦]

المذهب الثاني:

مذهب جمهور الكوفيين والأخفش: الجواز مطلقًا، بدليل أن ذلك قد جاء عن العرب في أشعارهم[١٣٧]، ومن ذلك قول الشاعر:

سَيُغْنِينِي الَّذي أَغْنَاكَ عَنِّي
فَلاَ فَقْرٌ يَدُومُ وَلاَ غِنَاءُ.[١٣٨]

فمد الغناء، وهو مقصور، فدل على جوازه.[١٣٩]

والجواب عنه عند البصريين من وجهين:

أحدهما: أن الإنشاد بفتح الغين والمد، والغناء بالمد بمعنى الكفاية.

أحدهما: أن الرواية بكسر الغين، ولكن تكون مصدرًا لقولك: غَانَيْته، أي: فاخرته بالغنى، تقول: غانيته أغانيه غِناء، كما تقول: واليته أواليه ولاء وعاديته أعاديه عداء بمعنى واليته.[١٤٠]

المذهب الثالث:

مذهب الفراء: التفصيل، فيجوز مد ما يكون له بعد المد نظيرٌ في الأبنية، نحو: رَحَى وهُدَى وحِجَى؛ لأنها إذا مدت صارت إلى مثال سماء ودعاء ورداء.

ويمنع مد ما لم يكن له بعد المد نظيرٌ، نحو: سَكْرَى وعَطْشَى؛ لأن مذكره: سَكْرَان وعَطْشَان، وفَعْلَى مؤنث فَعْلاَن لا تجيء إلا مقصورة.[١٤١]

والذي يراه الباحث في ذلك ما ذهب إليه جمهور الكوفيين والأخفش، وهو ما اختاره ابن ولاد وابن خروف[١٤٢] وزعما أن سيبويه استدل على جوازه في الشعر بقوله: (وربَّما مَدُّوا مثل مَساجد ومَنابر فيقولون: مَساجيد ومنابير، شبّهوه بما جُمع على غير واحدهِ في الكلام).[١٤٣]

وإنما كان المختار هذا المذهب؛ لأمرين:

أحدهما: أن مد المقصور قد جاء في الاختيار، وعليه قراءة: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾[١٤٤] فدل ذلك على أن وروده

(١٣٣) ينظر: الإنصاف ٧٤٥/٢، واللباب ٩٧/٢- ٩٨.

(١٣٤) البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في: معاني القرآن للفراء ٩١/١، ومجالس ثعلب ٨٨/١ والجمل ٢٣٢، والكشاف ١٧٤/٣، وأسرار العربية ٢٨٠، والبحر المحيط ٢٥٦/٤، والدر المصون ٧/ ٢٢٨، والخزانة ٢٢٩/٥ – ٢٣٣.
وفي البيت شاهدٌ آخر في قوله: (كَانُ حولي) حيث حذف واو الجماعة من (كانوا) اجتزاءً بالضمة قبلها. ينظر: مجالس ثعلب ٨٨/١، وجمل الزجاجي: ٢٣٢، والخزانة ٢٢٩/٥.

(١٣٥) ينظر : الإنصاف ٧٥٢/٢-٧٥٣، واللباب ٩٨/٢، والخزانة ٢٣٣/٥

(١٣٦) ينظر: الأصول ٤٤٧/٢، والمقصور والممدود لابن ولاد ١٤٥، وإعراب القرآن للنحاس: ٣٢٠/٢، واللباب ٩٨/٢، وضرائر الشعر لابن عصفور٣٨- ٣٩

(١٣٧) ينظر:الإنصاف ٧٤٥/٢، ٧٤٩، واللباب ٩٨/٢، والارتشاف ٥١٧/٢

(١٣٨) البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في: المقصور والممدود لابن ولاد ١٤٦، والإنصاف ٧٤٧/٢، وضرائر الشعر ٣٩، والمقاصد الشافية: ٤٢٣/٦، والأشموني ١١١/٤.

(١٣٩) ينظر: الإنصاف ٧٤٧/٢، وضرائر الشعر ٣٩، والارتشاف ٥١٧/٢.

(١٤٠) ينظر: الإنصاف ٧٥٠/٢.

(١٤١) لم أقف على كلام الفراء هذا فيما تيسر لي من كتبه، وهو في: الإنصاف ٧٤٥/٢- ٧٤٦، والارتشاف ٥١٧/٢، وتوضيح المقاصد ١٣٦٤/٥، والهمع ٢٧٨/٣.

(١٤٢) ينظر: المقصور والممدود لابن ولاد: ١٣٢، ١٣٨، وضرائر الشعر ٤١، وتوضيح المقاصد ١٣٦٥/٥، والأشموني ١١١/٤.

(١٤٣) الكتاب ٢٨/١

(١٤٤) من الآية: ٤٣ من سورة النور، وهي قراءة طلحة بن مصرف. ينظر: المحتسب ١١٤/٢، والبحر المحيط ٤٢٧/٦والدر المصون ٤٢٣/٨

في الشعر سائغ فصيح.

فإن قيل: قد أجيب عن البصريين بأن القراءة شاذة.(١٤٥) قيل: كونها شاذة لا يقدح في فصاحتها، ولا في الاحتجاج بها، فضلاً على ما في هذه القراءة من معنى بديع أشار إليه ابن جني في قوله: (السناء، ممدودًا: الشرف، يقال: ظاهر النبل والشرف، والسنا مقصورًا: الضوء، وعليه قراءة العامة: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾(١٤٦) أي: ضوء برقه، وأما سناء برقه فقد يجوز أن يكون أراد المبالغة في قوة ضوئه وصفاته، فأطلق عليه لفظ الشرف، كقولك: هذا ضوء كريم، أي: هو غاية في قوته وإنارته، فلو كان إنسانًا لكان كريمًا شريفًا).(١٤٧)

والآخر: أن ما سلف من جواب البصريين عنهم قائمٌ: إما على رد ما رواه الثقات، وذلك لا يجوز، وإما على التأويل، وهو خلاف الأصل؛ ولذا قال ابن هشام: (ومنعه البصريون وقدروا الغِناء في البيت مصدرًا لغانيت، لا مصدرًا لغنيت، وهو تعسف).(١٤٨)

وأما ما اشتراطه الفراء في مد المقصور من أن يجيء في بابه ممدود فتحكمٌ لا دليل عليه.

تعقيب:

قد يقال: إن دعوى الإجماع على جواز قصر الممدود للضرورة في قول السيوطي: (إذا دار الأمر في ضرورة الشعر بين قصر الممدود ومد المقصور. فالأول أولى; لأنه متفق على جوازه، والثاني مختلف فيه).(١٤٩) منقوضة بما سلف من مذهب الفراء من منعه فيما لم يكن له بعد القصر نظيرٌ في الأبنية.

على أن السيوطي في هذه الدعوى تابعٌ لكثير من النحويين، كابن مالك في قوله:

وَقصْرُ ذِي المدِّ اضْطِرَارًا مُجْمَعُ
عَلَيْهِ وَالعَكْسُ بِخُلْفٍ يَقَعُ.(١٥٠)

وابن هشام في قوله: (أجمعوا على جواز قصر الممدود للضرورة).(١٥١)

وعلى هذا لا تجري هذه المسألة على ما ذكره السيوطي من قاعدة الفقهاء: الخروج من الخلاف مستحب!

والجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أن الإجماع المحكي في قصر الممدود صحيحٌ على الجملة؛ إذ الفراء يجيزه على الجملة، لكن يشترط في الجواز، فهو باعتبار ذلك يطلق عليه أنه مُجِيزٌ.

والآخر: أنه لما كان خلاف الفراء شاذًا لم يعتد به خلافًا.(١٥٢)

وقد ظهر بهذا أن المسألة النحوية جارية على القاعدة الفقهية فإذا دار الأمر في الضرورة بين قصر الممدود ومد المقصور فالأول أولى؛ لأنه متفقٌ على جوازه، بخلاف الثاني ففيه خلافٌ، والخروج من الخلاف مستحبٌ، كما هو معلوم عند الفقهاء.

٢- المصغَّر لا يصغَّر

سلف أن من قواعد الفقهاء (المكَبَّر لا يُكَبَّر) وأن هذه القاعدة لها نظائر في النحو، وكذلك لها نظائر في الصرف، ومن ذلك قولهم: المصَغَّر لا يُصَغَّر.

قال السيوطي: (ونظيره في العربية أيضًا قاعدة: المصَغَّر لا يُصَغَّر).(١٥٣)

الدراسة والتحليل:

من شروط الاسم المصغَّر أن يكون خاليًا من صيغ التصغير(١٥٤) التي هي: فُعَيْل وفُعَيْعِل، وفُعَيْعِيل، فلا يصغر نحو: كُعَيْت وهو البلبل، وجُمَيْل، وهو طائر، وكُمَيْت، وهو الفرس من الخيل الذي تضرب حمرته إلى سواد.

(١٤٥) ينظر: التصريح ٢/٢٩٣.

(١٤٦) من الآية: ٤٣ من سورة النور، وهي قراءة طلحة بن مصرف. ينظر: المحتسب ٢/١١٤، والدر المصون ٨/٤٢٣.

(١٤٧) المحتسب ٢/١١٤

(١٤٨) أوضح المسالك ٤/٢٩٧.

(١٤٩) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ١٣٩.

(١٥٠) ألفية ابن مالك: ٥٤.

(١٥١) أوضح المسالك ٤/٢٩٥.

(١٥٢) ينظر: توضيح المقاصد ٥/١٣٦٥، والمقاصد الشافية ٦/٤٢٨، والأشموني ٤/١١١

(١٥٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ١٥٣

(١٥٤) فإن كان الاسم المُكَبَّر على هيئة المُصَغَّر، أي: في الحركات والسكنات، نحو: مُبَيْطِر ومُهَيْمِن مما ليس مصغرًا على صيغة تشبه فالجمهور على أنه لا يصغَّر، وذهب السهيلي إلى أنه يجوز تصغيره بتقدير الحركات، فتحذف ياؤه الزائدة، كما تحذف ألف مفاعل، ثم يلحق ياء التصغير، فيبقى اللفظ بحاله، ويختلف التقدير.ويظهر الفرق بين المصغَّر والمكبر في الجمع، فالمكبر تحذف ياؤه ويجمع على مباطر ومهامن، والمصغر لا يجوز فيه إلا مبيطرون ومهيمنون ؛ لأنه لو جُمِعَ جمع تكسير لحُذِفَتْ ياؤه لأنه خماسي ثالثه زائد فيزول علم التصغير. ينظر: أمالي ابن الشجري ٣/١٢٢، والروض الأنف ٣/١٦٩- ١٧٠، والتسهيل ٧٥، وشرح المقدمة الجزولية: ٢/١٩٤- ١٩٥، والمساعد ٣/٤٩٣، والتصريح ٢/٣١٨، والصبان ٤/١٥٦- ١٥٧.

والذي يدل على أن هذه الأسماء لا تصغَّر مجيئها في الجمع على أصلها المكبَّر؛ إذ حذفوا الياء في الجمع، فقالوا: كِعتان وجِملان، وكُمْت.(١٥٥)

وإنما نطقوا بهذه الأسماء مُصَغَّرة لأنها مستصغرةٌ عندهم، والصِّغَر من لوازمها، فوضعوا الألفاظ على التصغير، ولم تُستَعْمَل مُكَبَّرَاتُها؛ اكتفاءً بلفظ المصَغَّر عن المكَبَّر.(١٥٦)

قال سيبويه: (هذا باب ما جرى في الكلام مصغرًا، وتُرِكَ تكبيره؛ لأنه عندهم مُسْتَصْغرٌ، فاستغني بتصغيره عن تكبيره، وذلك قولهم: جُمَيْلٌ، وكُعَيْت، وهو البلبل، وقالوا: كعتانٌ وجملانٌ، فجاءوا به على التكبير، ولو جاءوا به، وهم يريدون أن يجمعوا المحَقَّر لقالوا جميلاتٌ، فليس شيء يراد به التصغير إلا وفيه ياء التصغير. وسألت الخليل عن كُمَيْت، فقال: هو بمنزلة جُمَيْلٍ، وإنما هي حمرةٌ مخالطها سوادٌ ولم يخلص، فإنما حقروها؛ لأنها بين السواد والحمرة ولم يخلص أن يقال له أسود ولا أحمر، وهو منهما قريب، وإنما هو كقولك: هو دون ذلك).(١٥٧)

ومن بديع ما حكته كتب الفقه في ذلك أن الكسائيَّ قال في مجلس الرشيد: يُتَقَوَى بالعربية على كلِّ عِلْمٍ، أو قال: مَن تبحَّر في علم اهتدَى به إلى سائر العلوم، وكان في المجلس جماعة من أصحاب الإمام أبي حنيفة منهم أبو يوسف الذي قال للكسائي: أنت إمام في النحو والأدب فهل تهتدي إلى الفقه؟ فقال: سل ما شئت. فقال: لو سجد سجود السهو ثلاثًا هل يلزمه أن يسجد؟ قال: لا؛ لأن المصغر لا يصغر.(١٥٨)

وقيل: إن الذي سأل الكسائيَّ عن هذه المسألة إنما هو محمد بن الحسن الشيباني، وكان ابن خالته. قال السرخسي: (تكرار سجود السهو في صلاة واحدة غير مشروع؛ لأنه لو سجد بهذا السهو ربما يسهو فيه ثانيًا، فيؤدي إلى ما لا نهاية له، وحُكِيَ أن محمدًا -رحمه الله تعالى- قال للكسائي- وكان ابن خالته-: لِمَ لا تشتغل بالفقه مع هذا الخاطر؟ فقال: من أحكمَ علمًا فذلك يهديه إلى سائر العلوم، فقال محمد -رحمه الله تعالى-: إني أُلْقِي عليك شيئًا من مسائل الفقه، فَخَرّج جوابه من النحو؟! فقال: هاتِ، فقال: ما تقول فيمن سها في سجود السهو؟ ففكَّرَ ساعة، فقال: لا سهو عليه. فقال: من أيِّ باب من النحو خَرَّجْتَ هذا الجواب؟ فقال: من باب أن المصَغَّر لا يُصَغَّر، فتعجَّب من فطنته).(١٥٩)

وحكى الزجاجي أن (مثل ذلك قيل للفراء؛ لحسن نظره: ما تقول في رجلٍ سها في الصلاة، ثم سجد سَجْدَتَيِ السهو فسها؟ فقال: لا يجب عليه شيءٌ. قيل له: وكيف ذلك ومن أين قلت؟ قال: أخذته من كتاب التصغير؛ لأن الاسم إذا صُغِّرَ لا يُصَغَّر مرةً أخرى).(١٦٠)

أي: وهذا يشبهه، فلا يصغر أيضًا بالسجود ثانيًا. قال البجيرمي: (ووجه تشبيهه بالمصغر أن في المصغر زيادة حرف كَعُمَيْر تصغير عُمَر، وسجود السهو سجدتان، فإذا أتى بثلاثة أشبه المصغر، ومعنى كونه لا يصغر أنه لا يزاد سجدتان ثانيًا، كما أن عميرًا لا يصغر، أي: لا يزاد عليه حرفٌ آخر).(١٦١)

ولعل هذا يظهر أن النحو والفقه يجريان في وادٍ واحد؛ وذلك لأنهما ينهلان من معين واحد.

٣- منع جمع ما كان على صيغة منتهى الجموع

قال السيوطي- في قاعدة: المكَبَّر لا يُكَبَّر-: (تجري هذه القاعدة في العربية، ومن فروعها: الجمع يجوز جمعه مرة ثانية بشرط ألا يكون على صيغة منتهى الجموع).(١٦٢)

الدراسة والتحليل:

قد تدعو الحاجة إلى جمع الجمع كما تدعو إلى تثنيته عند اختلاف النوع، فكما يقال في جماعتين من الجمال: جِمَالان، كذلك يقال في الجماعات: جِمَالات.(١٦٣)

(١٥٥) ينظر: المقتضب ٢٣٣/٣، والأصول ٦١/٣، والمفصل ٢٥٦، والتسهيل ٧٥، وشرح الشافية ٢٨٠/١- ٢٨١، والارتشاف ٣٨٩/٣، والأشموني ١٥٦/٤- ١٥٧.

(١٥٦) ينظر: شرح المفصل ١٣٦/٥، وشرح الشافية ٢٨٠/١

(١٥٧) الكتاب: ٤٧٧/٣.

(١٥٨) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الحقائق للعلامة زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي ١٠١/٢. دار الكتاب الإسلامي، والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني للعلامة أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي ٢١٨/١. دار الفكر، ومغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للعلامة محمد بن أحمد الشربيني الخطيب الشافعي ٤٤١/١. دار الكتب العلمية، والفروع لابن مفلح الحنبلي ٥١٦/١ عالم الكتب.

(١٥٩) المبسوط للإمام محمد بن أحمد السرخسي الحنفي: ٢٢٥/١. دار المعرفة

(١٦٠) مجالس العلماء ١٩١.

(١٦١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب) للعلامة سليمان بن محمد البجيرمي الشافعي ١١٤/٢. دار الفكر

(١٦٢) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ١٥٣

(١٦٣) ينظر: كتاب الشعر ١٤٧/١: ١٥١، والفصول لابن الدهان ٦٧،

وإذا جُمِعَ الجمع فلا يطلق على أقل من تسعة، كما أن جمع المفرد لا يطلق على أقل من ثلاثة إلا مجازًا.(١٦٤)

وفي جمع الجمع تفصيلٌ، وذلك أنه إذا قُصِدَ جمع ما كان على غير صيغة منتهى الجموع(١٦٥) نُظِرَ إلى ما يشاكله من الآحاد في عدة الحروف ومطلق الحركات والسكنات، وإن خالفه في نوع الحركة، فيُكَسَّر بمثل تكسيره، كقولهم في أَعْبُد: أَعَابِد، وفي أسْلِحَة: أَسَالِح، وفي أَقْوَال: أَقَاوِيل، شبهوها بِأَسْوَد وأَسَاوِد، وأَجْرِدَة وأَجَارِد، وإِعْصَار وأَعَاصِير، وقالوا في مُصْران جمع مَصِير: مَصَارين، وفي غِرْبان: غَرَابين؛ تشبيهًا بسلاطين وسراحين. (١٦٦)

وأما إذا قُصِدَ جمع الجمع، وكان على زنة مفاعل أو مفاعيل(١٦٧) أو فُعَلَة، أو فَعَلَة، فلا يجمع نحو: دراهم ودنانير وقضاة وفجرة.

وإنما لم يجز جمع هذا الجمع؛ لأنه لا نظير له في الآحاد فيحمل عليه، ولكنه قد يجمع بالواو والنون، كقولهم في نواكس: نواكسون، وفي أيامن: أيامنون، أو بالألف والتاء، كقولهم في حدائد: حَدَائِدَات، وفي صَوَاحِب: صَوَاحِبَات.(١٦٨)

وقد أثبت جماعة من النحويين منهم الزجاجي وابن الشجري جمع جمع الجمع، وجعلوا منه: أصايل، وهي جمع آصال، وآصال أيضًا جمع أُصُل، جمع أصيل.(١٦٩)

قال ابن الشجري: (ومما جاء جمع جمع الجمع قولهم: أصائل، والواحد: أَصِيل، فَقَدَّرُوا جمعه على أُصُل، كَقَضِيب وقُضُب ثم جمعوا الأُصُل في التقدير على آصال، كَمُشُط وأَمْشَاط، ثم جمعوا الآصال على أَصَائِل، وكان قياسه: أَصَائِيل، على أَفَاعِيل، كأَقْوَال وأَقَاوِيل، وأَنْعَام وأَنَاعِيم، ولكنهم ألزموه القصر؛ استثقالاً لتوالي ثلاثة أحرف معتلة: الألف والهمزة والياء، والهمزة مقاربة للألف في المخرج).(١٧٠)

والحق ما ذهب إليه السهيلي وغيره من أن أصائل جمع أصيلة، كسفينة وسفاين، وأما آصال فهو جمع أصيل، كيمين وأيمان.(١٧١)

المبحث الثالث

نظائر نحوية وتصريفية للقواعد الفقهية لم يذكرها السيوطي

لا ريب أن السيوطي —رحمه الله— لم يكن يقصد من تأليف كتابه: (الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية) إلى حصر نظائر هذه القواعد في العربية، وإنما جاءت هذه النظائر في لطائف دقيقة، ونفائس عزيزة، أوردها في خاتمة شرحه للقاعدة الفقهية بطريقة تثير الدهشة، وتدعو إلى الإعجاب.

وإذا كان الأمر كذلك فليس بمستغرب التأكيد على أن ما لم ينبه عليه السيوطي من هذه النظائر أكثر من أن يستقصى في هذا البحث المُعْنِيّ بدراسة ما ورد منها في كتاب السيوطي المشار إليه؛ لذا أقصر الأمر هنا على الإشارة الموجزة إلى ثلاث من النظائر النحوية والتصريفية للقواعد الفقهية.

الأولى: (الضرورات تبيح المحظورات).

وهي من القواعد الفقهية المشهورة، والأصل فيها قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(١٧٢).

ومن فروعها: جواز أكل الميتة عند المخمصة، وإساغة

وشرح الكافية الشافية ١٨٨٧/٤- ١٨٨٨، وتوضيح المقاصد ١٤١٥/٥ وحكى الصبان ١٥٢/٤ عن الفارضي في جمالات أنهم (قالوا في جمع جمل: أجمل، ثم أجمال، ثم جامل، ثم جمال، ثم جمالة، ثم جمالات، فهو جمع جمع جمع جمع جمع الجمع). ولا يخفى ما فيه من التكلف.

(١٦٤) ينظر: حاشية الصبان ١٥٢/٤.

(١٦٥) هي: كل جمع تكسير بعد ألفه حرفان، أو ثلاثة أوسطها ساكن، نحو: مساجد ومصابيح. ينظر. الكتاب ٢٢٧/٣، ٢٢٩، وأسرار العربية ٢٧٤، وشرح قطر الندى ٥٢.

(١٦٦) على أن الجموع في ذلك ليست سواء، وذلك أن جمع الكثرة لا يجمع قياسًا ؛ لأن الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة، وذلك يحصل بلفظ الجمع، فلم تكن هناك حاجةٌ إلى جمع ثانٍ.

وأما جمع الجمع الذي بصيغة القلة، وهي: أَفْعُل وأَفْعَال وأَفْعِلَة وفِعْلَة فالأكثرون على أنه ينقاس، وقيل: يقتصر فيه على ما سُمِعَ، نحو: أيد وأياد، وأسماء وأسام. ينظر: الكتاب ٦١٨/٣- ٦١٩، وكتاب الشعر ١٤٨/١- ١٤٩، والفصول لابن الدهان ٦٧، والمساعد ٤٨٦/٣ — ٤٨٧، والهمع ٣٧٣/٣، وحاشية الصبان الأشموني ١٥٢/٤.

(١٦٧) المراد بزنة مفاعل أو مفاعيل: ما يوافقهما في العدة والهيئة، وإن خالفهما في الوزن الاصطلاحي، نحو قولهم في نواكس وحدائد وصواحب. ينظر: شرح الكافية الشافية ١٨٩٠/٤، والأشموني ١٥٢/٤.

(١٦٨) ينظر: كتاب الشعر ١٤٨/١- ١٤٩، والتبصرة ٦٨١/٢، والإيضاح في شرح المفصل ٥٥٠/٢، والتسهيل ٧٥، والأشموني ١٥٢/٤.

(١٦٩) ينظر: الأمالي الشجرية ٣٨١/١، والمساعد ٤٨٧/٣، والهمع ٣٧٤/٣.

(١٧٠) الأمالي الشجرية ٣٨١/١- ٣٨٢.

(١٧١) ينظر: الروض الأنف ٢٧/٣- ٢٨، والمساعد ٤٨٧/٣، والهمع ٣٧٤/٣.

(١٧٢) من الآية: ١٧٣ من سورة البقرة .

اللقمة بالخمر لمن غص ولم يجد غيرها، وإباحة التلفظ بكلمة الكفر للإكراه.(١٧٣)

وقد جرت هذه القاعدة في النحو والتصريف، ومن ذلك أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في سعة الكلام؛ لما في الشعر من ضرورة إقامة الوزن وتسوية القافية، وذلك ما يُعْرَف بالضرورة الشعرية.

ويندرج في هذه القاعدة ما لا يحصى من المسائل النحوية والتصريفية، ولنأخذ مثالاً لكل نوع.

فمن المسائل النحوية في ذلك صرف ما لا ينصرف في الضرورة. قال سيبويه: (اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء؛ لأنّها أسماء كما أنها أسماء).(١٧٤) ومن شواهد النحويين في ذلك قول الشاعر:

فَلَتَأْتِيَنْكَ قَصَائِدٌ وَلَيَرْكَبَنْ
جَيْشٌ إِلَيْكَ قَوَادِمَ الأَكْوَارِ.(١٧٥)

فصرف قصائد، وهي لا تنصرف؛ لأنها على صيغة منتهى الجموع، ولكن الشاعر ردها إلى الأصل، وهو الصرف، وذلك لا يجوز إلا في ضرورة الشعر.(١٧٦) قال المبرد: (فإن احتاج الشاعر إلى صرف ما لا ينصرف صرفه مع هذه الحركة، فيصير بمنزلة غيره مما لا علة فيه، كما قال:

فَلَتَأْتِيَنْكَ قَصَائِدٌ وَلَيَرْكَبَنْ
جَيْشٌ إِلَيْكَ قَوَادِمَ الأَكْوَارِ.(١٧٧)

ومن المسائل التصريفية في ذلك حذف نون "لكنْ" للتخلص من التقاء الساكنين في قول الشاعر:

فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلاَ أَسْتَطِيعُهُ
وَلاَكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلِ.(١٧٨)

فحذف نون "لكن" لالتقاء الساكنين، وكان سبيله أن يكسرها، ولكن حذفها في الشعر جائز.(١٧٩) قال ابن جني -وقد أنشد البيت-: (فهذا أراد: ولكن اسقني، فحذف النون؛ لالتقاء الساكنين).(١٨٠)

الثانية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب):

ومن فروع هذه القاعدة عند الفقهاء: أنه يجب في الوضوء غسل شيء من الرأس؛ لأن غسل الوجه لا يتحقق إلا بغسل شيء من الرأس، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.(١٨١)

قالوا: ومن ذلك الاشتغال بعلم النحو الذي يُفْهم به كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك واجبٌ؛ لأن حفظ الشريعة واجبٌ، ولا يتأتى حفظها إلا بمعرفة ذلك العلم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ.(١٨٢)

وقد جرت هذه القاعدة في العربية، ومن ذلك أن كل واحد من الموصولات يجب أن تكون بعده صلة تُعَرِّفُهُ، ويتم بها معناه، وذلك واجبٌ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ.(١٨٣) قال المرادي: (كل واحدٍ من الموصولات لا بد له من صلة؛ لأنه اسمٌ ناقصٌ لا يتم معناه إلا بصلته).(١٨٤)

الثالثة: (يُغْتَفَرُ في التوابع ما لا يُغْتَفَرُ في غيرها، وقريب منها: يُغْتَفَرُ في الشيء ضمنًا ما لا يُغْتَفَرُ فيه قصدًا، وربما يقال: يُغْتَفَرُ في الثواني ما لا يُغْتَفَرُ في الأوائل).

نص على هذه القاعدة بتلك العبارات السيوطي، وقال: (والعبارة الأولى أحسن وأعم).(١٨٥)

ومن فروعها عند الفقهاء: سجود التلاوة في الصلاة يجوز على الراحلة تبعًا، وجرى فيه خارجها خلافٌ؛ لاستقلاله.

ومنها: أن النسب لا يثبت بشهادة النساء، فإن شهدن بالولادة على الفراش ثبت النسب تبعًا.(١٨٦)

(١٧٣) ينظر: أنوار البروق في أنواع الفروق للقرافي ١٤٧/٤، والمنثور في القواعد الفقهية ٣١٨/٢.
(١٧٤) الكتاب ٢٦/١.
(١٧٥) البيت من الكامل، وهو للنابغة في ديوانه ٥٥، والأصول ٤٣٦/٣، والإنصاف ٤٩٠/٢، وبلا نسبة في المقتضب ١٤٣/١، والخصائص ٣٤٧/٢.
(١٧٦) ينظر: الإنصاف ٤٩٠/٢.
(١٧٧) المقتضب ١٤٣/١.
(١٧٨) البيت من الطويل، وهو للنجاشي في الكتاب ٢٧/١، وبلا نسبة في اللامات ١٥٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٩/١، وسر الصناعة ٥٤١/٢، واللباب ١١١/١-١١٢.
(١٧٩) ينظر: اللامات ١٥٨، والإنصاف ٦٨٤/٢.
(١٨٠) سر الصناعة ٥٤١/٢.
(١٨١) المنثور من القواعد الفقهية ٤٧/٢.
(١٨٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ٢٠٥/٢.
(١٨٣) ينظر: شرح الأشموني ١٦٠/١-١٦١.
(١٨٤) توضيح المقاصد ٤٤٠/١.
(١٨٥) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ١٢١.
(١٨٦) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ١٢١.

وقد جرت هذه القاعدة في العربية، حتى إن ابن هشام جعلها من الأمور والقواعد الكلية الإحدى عشرة التي يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور والجزئية، فقال: (القاعدة الثامنة: كثيرًا ما يُغْتَفَرُ في الثواني ما لا يُغْتَفَرُ في الأوائل).(١٨٧)

ومن فروع هذه القاعدة قول العرب: كُلُّ شَاةٍ وسخلتها بدرهم، ورُبَّ رجل وأخيه، ولا يجوز: كلُّ سخلتها، ولا رُبَّ أخيه؛ لأنه يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل.(١٨٨)

ومن ذلك أن أبا حيان أوجب نصب "عشية" المعطوف على "غدوة" المنصوب بـ"لدن" في نحو قولك: من لدن غدوةً وعشيةً، ومنع الجر؛ لأن غدوة عند من نصبه ليس في موضع جر، فليس من باب العطف على الموضع، ولا يلزم من ذلك أن يكون لدن انتصب بعدها ظرفٌ غير غدوة؛ لأنه يجوز في الثواني ما لا يجوز في الأوائل.(١٨٩)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ترفع الدرجات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـد،

فإنه يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط التالية:

١- أن بين كل من الفقه وأصوله والنحو وأصوله صلة وثيقة وعلاقة قوية متينة، ومن دلائل ذلك أنه لا يمكن فهم النصوص الشرعية من مصادرها الأصيلة فهمًا صحيحًا إلا بالاتكاء على اللغة وفهم قواعدها.

كما أن النحو معقولٌ من منقول، وكذلك الفقه معقولٌ من منقول، وهذا جامعٌ أصيلٌ بينهما، نص عليه أرباب العلم فيهما.

٢- أن النظائر النحوية للقاعدة الفقهية (الأمور بمقاصدها) كثيرة منها:

أ- ما ذهب إليه سيبويه والجمهور من اشتراط القصد في الكلام، فلا يطلق الكلام حقيقة إلا على الجمل المفيدة المقصودة، بخلاف ما نطق به النائم والساهي، وما تحكيه الحيوانات المعَلَّمَة، فلا يسمى كلامًا؛ ولذلك أجمع العلماء على أن يقال: القرآن كلام الله، ولا يقال: القرآن قول الله.

ب- اشتراط القصد في العلم المنقول من صفة، نحو: الحارث والعباس، فإن قصد المتكلم لمح الأصل في الأسماء -وهو التنكير- أدخل أداة التعريف، وإلا استقام له التجريد.

ج- القصد في نداء النكرة، فإن قُصِدَ نداء واحد بعينه تعَرَّف، ووجب بناؤه على الضم، وإن لم يُقْصَد لم يتعرف، وأعرب بالنصب.

د- القصد فيما جاز إعرابه عطف بيان وبدل كل، فإن قُصِدَ سقوط المتبوع، وإحلال التابع محله أُعْرِبَ بدلاً، وإن لم يُقْصَدْ ذلك أُعْرِبَ عطف بيان.

وعلى هذا لو قلت: زَوَّجْتُك بنتي فاطمة، وكانت عائشة، فإن أردت عطف البيان صح النكاح؛ لأن الغلط وقع في البيان، وهو الثاني، وإن أردت البدل لم يصح النكاح؛ لأن الغلط وقع فيما هو معتمد الحديث، وهو الثاني.

أرأيت كيف كان القصد سبيلاً إلى الإعراب، وطريقًا من طرائق الحكم الشرعي؟!

هـ - القصد في نعت المنادى المقصور المنون للضرورة نحو: يا فتىً الطويل، بني النعت على ما قُصِدَ في المنادى، فإن قُصِدَ فيه الضم جاز في نعته الأمران: الرفع والنصب، وإن قُصِدَ فيه النصب، تعيَّن في نعته النصب، ولا يجوز رفعه؛ لأنه تابعٌ لمنصوب لفظًا ومحلاً.

٣- أن ما ذكره السيوطي من جريان القاعدة الفقهية (من استعجل شيئًا قبل أوانه عُوقِبَ بحرمانه) على القواعد النحوية، إنما يجري على مذهب التفصيل، وهو: أن اسم الفاعل يجوز أن يُنْعَت بعد استيفاء معموله، فإن نُعِتَ قبله امتُنِعَ عمله من أصله، وهو مذهب البصريين والفراء، وإليه ذهب بعض الأندلسيين.

ولا يجري في العربية على مذهب الكسائي؛ لأنه لا يمنع عمل اسم الفاعل المجرد الموصوف قبل استيفائه مفعوله، كما لا يجري على العكبري وابن عصفور وابن مالك؛ لأنه يمنعون العمل بالوصف قبل استيفاء المفعول وبعده.

(١٨٧) مغني اللبيب ٩٠٨.
(١٨٨) ينظر: الكتاب ٥٥/٢، ١٨٧، والأصول ٣٩/٢، ومغني اللبيب ٩٠٨.
(١٨٩) ينظر: الارتشاف ١٤٥٦/٣، والهمع ٢٢١/٢ .

٤- أن القاعدة الفقهية: (المكَبَّر لا يُكَبَّر) لها نظائر نحوية وتصريفية: فمن نظائرها النحوية: المعَرَّف لا يُعَرَّف؛ ومن ثم امتنع دخول اللام المعَرِّفَة على العلم والمضاف.
وأما نظائرها التصريفية فمنها: قاعدة: المصَغَّر لا يُصَغَّر، فلا يصغر نحو: كُعَيْت وجُمَيْل.
ومنها: منع جمع ما كان على صيغة منتهى الجموع؛ لأنه لا نظير له في الآحاد فيحمل عليه.

٥- أن القاعدة الفقهية (الخروج من الخلاف مستحبٌ) لها نظير في القواعد التصريفية، وهي: أنه إذا دار الأمر في ضرورة الشعر بين قصر الممدود ومد المقصور. فالأول أولى; لأنه متفق على جوازه، والثاني مختلف فيه.

٦- أن ما لم ينبه عليه السيوطي من هذه النظائر في كتابه (الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية) أكثر من أن يستقصى في هذا البحث المعْنِيّ بدراسة ما ورد منها في هذا الكتاب؛ لذا قصرت الأمر على الإشارة الموجزة إلى ثلاث من النظائر النحوية والتصريفية للقواعد الفقهية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي. تحقيق الدكتور/ رجب عثمان محمد. مكتبة الخانجي. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٢. أسرار العربية لأبي البركات الأنباري. تحقيق/ محمد بهجة البيطار. مطبوعات المجمع العلمي بدمشق. دار الآفاق العربية.
٣. أسنى المطالب شرح روض الطالب للعلامة زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري الشافعي. دار الكتاب الإسلامي
٤. الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.
٥. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للإمام السيوطي. دار الكتب العلمية.
٦. الأصول في النحو لابن السراج. تحقيق الدكتور/ عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الرابعة: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٧. إعراب القرآن للنحاس لأبي جعفر النحاس. تحقيق: زهير غازي زاهد. عالم الكتب. لبنان. الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
٨. الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي. تحقيق الدكتور/ محمود سليمان ياقوت. كلية الآداب جامعة طنطا. دار المعرفة الجامعية: ١٤١٤هـ ١٩٩٤م..
٩. ألفية ابن مالك في النحو والصرف لابن مالك. مكتبة الآداب. القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
١٠. الأمالي الشجرية لابن الشجري. تحقيق الدكتور/ محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
١١. - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري. دار الكتب العلمية. بيروت: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٢. إنباه الرواة على أنباه النحاة للوزير علي بن يوسف القفطي تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
١٣. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري. تحقيق الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل: ١٩٨٢م.
١٤. أنوار البروق في أنواع الفروق لأحمد بن إدريس القرافي المالكي. عالم الكتب.
١٥. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. الطبعة الخامسة: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٦. الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب. تحقيق الدكتور/ موسى بناي العليلي. وزارة الأوقاف العراقية: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
١٧. البحر الرائق شرح كنز الحقائق للعلامة زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي. دار الكتاب الإسلامي.
١٨. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. دار الفكر. الطبعة الثانية: ١٩٨٣م.
١٩. التبصرة والتذكرة لعبد الله بن علي بن إسحاق

الصيمري. تحقيق الدكتور/فتحي أحمد مصطفى علي الدين. جامعة أم القرى بالسعودية. الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٢٠. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي. تحقيق الأستاذ الدكتور/ حسن هنداوي. دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٢١. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو للعلامة ابن مالك. المطبعة الأميرية بمكة المحمية: ١٣١٩هـ
٢٢. التصريح بمضمون التوضيح للشيخ/ خالد الأزهري، ومعه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العليمي. مطبعة الحلبي.
٢٣. التعليقة على كتاب سيبويه للفارسي. تحقيق الدكتور/عوض بن حمد القوزي. مطبعة الأمانة. القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٢٤. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي. تحقيق الدكتور/عبد الرحمن علي سليمان. دار الفكر العربي. الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
٢٥. التوطئة لأبي علي الشلوبين. تحقيق الدكتور/ يوسف أحمد المطبوع. مطابع سجل العرب: ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ت ٦٧١هـ). تحقيق/ أحمد عبد العليم البردوني. دار الشعب. القاهرة. الطبعة الثانية: ١٣٧٣هـ.
٢٧. الجامع الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني. تحقيق/ أبوالوفا الأفغاني. لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند. مطبعة الاستقامة. الطبعة الأولى: ١٣٥٦هـ ١٩٣٩م.
٢٨. الجمل في النحو للزجاجي. تحقيق/ علي توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢٩. حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية. مطبعة الحلبي بمصر.
٣٠. الخاطريات لابن جني رسالة (ماجستير) في كلية اللغة العربية. جامعة أم القرى. تحقيق ودراسة: سعيد بن محمد بن عبد الله القرني: ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٣١. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق الشيخ/عبد السلام هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
٣٢. الخصائص لابن جني. تحقيق الدكتور/ محمد علي النجار. دار الهدى. الطبعة الثانية.
٣٣. درر الحكام في شرح مجلة الأحكام للعلامة علي حيدر الحنفي. دار الجيل.
٣٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي. تحقيق الأساتذة: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وجاد مخلوف جاد، وزكريا عبد المجيد النوتي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٣٥. ديوان مهلهل بن أبي ربيعة. شرح وتقديم طلال حرب. الدار العالمية.
٣٦. ديوان النابغة الذبياني. تحقيق حمدو طماس. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٣٧. رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (محمد أمين بن عمر) الحنفي. دار الكتب العلمية.
٣٨. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية للسهيلي. تحقيق/طه عبد الرءوف سعد. دار المعرفة. بيروت: ١٣٩٨هـ ١٩٥٤م.
٣٩. سر صناعة الإعراب لابن جني. تحقيق الدكتور/ حسن هنداوي. دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى: ١٩٨٥م.
٤٠. شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس. تحقيق الدكتور/وهبة متولي عمر سالمة. مكتبة الشباب. الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٤١. شرح الألفية للأشموني، ومعه حاشية الصبان، وشرح الشواهد للعيني. مطبعة. الحلبي.
٤٢. شرح الألفية لابن عقيل. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر. سوريا: ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٤٣. شرح الألفية لابن الناظم. تحقيق: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٤٤. شرح التسهيل لابن مالك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ٢٠٠١م.
٤٥. شرح الجمل لابن عصفور. قدم له فواز الشعار، وأشرف عليه الدكتور/إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٤٦. شرح شافية ابن الحاجب للرضي، ومعه شرح شواهد شرح الشافية للبغدادي. تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. بيروت: ١٤٠٢هـ.
٤٧. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الشركة المتحدة. سوريا. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٤٨. شرح شواهد سيبويه المسمى تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب للأعلم الشنتمري بهامش كتاب سيبويه. مطبعة بولاق: ١٣١٦هـ.
٤٩. شرح قطر الندى لابن هشام. تحقيق الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر العربي.
٥٠. شرح الكافية الشافية لابن مالك. تحقيق الدكتور/ عبد المنعم أحمد هريدي. دار المأمون للتراث. مكة المكرمة. الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٥١. شرح المفصل لابن يعيش. مكتبة المتنبي. القاهرة.
٥٢. شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير للعلامة صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي. تحقيق الدكتور/عبدالرحمن بن العثيمين. جامعة أم القرى مكة المكرمة. دار الغرب الإسلامي.
٥٣. شرح المقدمة الجزولية لأبي علي الشلوبين. تحقيق الدكتور/ تركي بن سهو العتيبي. مكتبة الرشيد. الرياض ١٤١٣ هـ.
٥٤. شرح المكودي على ألفية ابن مالك لأبي زيد عبد الرحمن بن علي المكودي. مطبعة الحلبي. الطبعة الثالثة: ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م.
٥٥. شعر الأحوص الأنصاري. جمعه وحققه عادل سليمان جمال. مكتبة الخانجي. القاهرة. الطبعة الثانية: ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٥٦. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق الدكتور/ مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير. اليمامة. بيروت.
٥٧. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
٥٨. ضرائر الشعر لابن عصفور. تحقيق/خليل عمران المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٥٩. علل التثنية لابن جني. تحقيق الدكتور/صبيح التميمي. مكتبة الثقافة الدينية. مصر: ١٤١٣هـ.
٦٠. غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر للعلامة أحمد بن محمد الحموي الحنفي. دار الكتب العلمية.
٦١. الفروع لابن مفلح الحنبلي. عالم الكتب.
٦٢. الفصول الخمسون لابن معط زين الدين يحي بن عبد المعطي (ت ٦٢٨هـ). تحقيق الدكتور/ محمود محمد الطناحي. مطبعة الحلبي بمصر: ١٩٧٧م.
٦٣. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني للعلامة أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي. دار الفكر.
٦٤. قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام. دار الكتب العلمية.
٦٥. الكتاب لسيبويه. تحقيق الشيخ/ عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت.
٦٦. كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب للفارسي. تحقيق الدكتور/ محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٦٧. اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري. تحقيق الدكتور عبد الإله النبهان. دار الفكر. دمشق. الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٦٨. لسان العرب للعلامة/ محمد بن مكرم بن منظور. دار صادر. بيروت.
٦٩. اللمع في العربية لابن جني . تحقيق الدكتور/ حسين

محمد شرف. عالم الكتب. الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٧٠. المبسوط للعلامة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي. دار المعرفة.
٧١. مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب. تحقيق/ عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر: ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٧٢. مجالس العلماء لأبي إسحاق الزجاجي. تحقيق الأستاذ: عبدالسلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٧٣. المجموع شرح المهذب للإمام النووي المطبعة المنيرية.
٧٤. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني. تحقيق/ علي النجدي ناصف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة: ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٧٥. المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل. تحقيق الدكتور/ محمد كامل بركات. دار الفكر. دمشق: ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٧٦. المصباح في علم النحو لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي. تحقيق/ ياسين محمود الخطيب. دار النفائس. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٧٧. معاني القرآن للفراء. تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار. دار السرور. بيروت.
٧٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري. تحقيق/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله. دار الفكر. دمشق. الطبعة السادسة: ١٩٨٥م.
٧٩. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للعلامة محمد بن أحمد الشربيني الخطيب الشافعي دار الكتب العلمية.
٨٠. - المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري. تحقيق الدكتور: علي أبو ملحم. مكتبة الهلال. بيروت الطبعة الأولى: ١٩٩٣م.
٨١. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ) تحقيق الدكتور: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين. جامعة أم القرى الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٨٢. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المعروف بشرح الشواهد الكبرى لبدر الدين العيني. بهامش حاشية الصبان. مطبعة الحلبي بالقاهرة.
٨٣. المقرب لابن عصفور. تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٨٤. المقصور والممدود لأبي العباس بن ولاد. تحقيق/ بولس برونله. مطبعة ليدن: ١٩٠٠م.
٨٥. المنثور من القواعد الفقهية للعلامة بدر الدين بن محمد بهادر الزركشي الشافعي. وزارة الأوقاف الكويتية
٨٦. الموسوعة الفقهية. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت. وزارة الأوقاف الكويتية.
٨٧. موصل النبيل إلى نحو التسهيل للشيخ/ خالد الأزهري. رسالة (دكتوراه) في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى. تحقيق ودراسة: ثريا عبد السميع إسماعيل: ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٨٨. نهاية المحتاج إلى شرح ألفاظ المنهاج للعلامة محمد بن شهاب الدين الرملي الشافعي. دار الفكر.
٨٩. همع الهوامع شرح جمع الجوامع للعلامة/ جلال الدين السيوطي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوفيقية. مصر.
٩٠. النشر في القراءات العشر لابن الجزري. تحقيق/ علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت.
٩١. النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري. تحقيق الأستاذ/ رشاد بلجيب وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. المملكة المغربية: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

Isotopes Suyuti the Disposal and Grammatical Rules Jurisprudential Analytical Study

G. H. Bashandi
Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Jazan University, K.S.A.

Abstract

The beholder of Science in Jurisprudence and Islamic stands on between him and the science of grammar and assets of close and strong relationship solid thermoplastic origination and appearing until maturity and completeness; so that both of them reasonably Moved، and this mosque authentic between them، provided employers flag there.

It also can not understand the religious texts from authentic sources true understanding only Baltae language and understand the rules and complex individuals.

The development of the deceased Imam Suyuti (911 AH) in Nazaa'im two books، one in the way، and the other in the literature، and started at first intended to be exhibits in Arabic for the later jurisprudence Rate it، and madder wrote Nazaa'im.

The second drawer in the interview some of the rules of jurisprudence to its Arab peers found a way.

That was in Taif minutes، and precious dear، cited at the conclusion of his explanation of the jurisprudence rule، Fastrat attention researcher، and made him combines scattering them; to studying in this research a detailed analytical study of the sayings Alnhoyen where، with a statement opinion researcher in each of them.

Keywords: Isotope - exchange - rules - Principles - study - analysis.

درجة التزام طلاب جامعة جازان بالمملكة العربية السعودية بممارسات التربية المرورية كما تبدو في نظام المرور ولائحته التنفيذية من وجهة نظر الطلاب أنفسهم

علي يحيى العريشي[١] - وائل عبد الرحمن التل[٢]

[١] كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية.

[٢] كلية التربية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على درجة التزام طلاب جامعة جازان بالمملكة العربية السعودية بممارسات التربية المرورية كما تبدو في نظام المرور واللائحة التنفيذية له من وجهة نظر الطلاب أنفسهم، وإلى الكشف عن أثر الاختلاف في وجهات نظرهم باختلاف متغيرات الدراسة. لتحقيق هذه الأهداف تم بناء استبانة تكوّنت من (٩٥) فقرة توزّعت على عينة قصدية فيما يتعلق بامتلاك أو قيادة مركبة خاصة، وعشوائية فيما يتعلق بمتغيرات الدراسة، تكوّنت من (٧٩١) طالباً. بيّنت نتائج الدراسة أن أفراد العينة يلتزمون بممارسات التربية المرورية بشكل عام بدرجة متوسطة، كما بيّنت وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات وجهات نظرهم لدرجة التزامهم بهذه الممارسات تعزى للمستوى الدراسي لصالح طلاب (السنة الأخيرة)، ولمستوى تعليم ولي الأمر لصالح (جامعي فما فوق)، ولمكان السكن لصالح (المدينة)، وللحصول على قسيمة مخالفة مرورية لصالح (الذين حصلوا عليها)، في حين لم تكن هناك فروق دالة تعزى لمستوى تعليم الأم، ولمهنة ولي الأمر، ولمهنة الأم، ولارتكاب الحوادث المرورية.

الكلمات المفتاحية: التعليم العالي، الوعي التربوي، التربية المرورية، نظام، مرور، لائحة، جامعة، جازان، السعودية.

مُقدّمة

يتجاوز عدد الحوادث المرورية المسجلة في الوطن العربي سنوياً نصف مليون حادث مروري تتسبب بمقتل (٣٦) ألف شخص، ونحو (٤٠٠) ألف مصاب، فضلاً عن خسائر اقتصادية مادية ومالية جسيمة، جعلت العالم العربي يُصنّف عالمياً بالمرتبة الأولى في مجال ضحايا المرور، حيث يفقد بمعدل مواطن كل (١٥) دقيقة (المنظمة العربية للسلامة المرورية، ٢٠١٠)، وكان أكثر المتضررين من هذه الحوادث هم فئة الأطفال (أبو علوش والبلاونة والجلامدة، ٢٠٠٩).

وتُعد المملكة العربية السعودية واحدة من أكثر دول العالم التي تحدث فيها حوادث مرورية مميتة (طالب، ٢٠١٠)، حيث إن مؤشر الخطورة "عدد الوفيات إلى عدد المصابين في حوادث المرور" فيها مرتفع جداً، وهو ما يعادل تقريباً عشرة أمثال مؤشر الخطورة نفسه في كل من المملكة المتحدة وكندا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وتقريباً خمسة أمثاله في بلدان الاتحاد الأوروبي (المطير، ٢٠٠٥)، فقد شهدت المملكة خلال السنوات الخمس الماضية أكثر من (١،٩) مليون حادث مروري بمعدل (٣٨٠) ألف حادث مروري كل عام، قُتل فيها ما يزيد عن (٣٠) ألف شخص، وأصيب (١٧٧) ألف شخص، وتم ضبط ما يزيد عن (٤٥) مليون مخالفة مرورية (الإدارة العامة للمرور، ٢٠١٠).

إن تلك الإحصائيات المرورية أقلقت وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية لما تُقدّمه من أرقام مخيفة، فعملت الإدارة العامة للمرور- التي أُعيد فصلها عن الأجهزة الأمنية والشرطية وإعادة هيكلتها (الشهراني، ٢٠٠٣)-، على تطوير العمل المروري والسلامة المرورية على الطرق، وتقديم أفضل الخدمات المرورية، والحد من النتائج السلبية

البريد الإلكتروني: wtal@jazanu.edu.sa
*تمويل الدراسة بدعم من جامعة جازان
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

للحوادث المرورية، من خلال عدة خطط تطويرية، وتم البدء بتطبيق نظام المرور الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/٨٥) وتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٤٢٨هـ والمشتمل على (٨٥) مادة تتواءم مع المرحلة الراهنة، ومن أهمها استيعاب التقنية الحديثة في رصد المخالفات، وتشكيل لجنة إشرافية لتنفيذ مشروع الإستراتيجية الوطنية للسلامة المرورية تندرج تحت مظلتها الخطة الوطنية التنفيذية للسلامة المرورية، وتسيير دوريات المرور السري، والنظر في بناء أنظمة النقل الذكية التي أثبتت فعاليتها عالمياً في تطوير إنسيابية حركة المرور وزيادة كفاءة شبكة الطرق، وتنظيم رصد المخالفات المرورية آلياً، وتحديد أنظمة إدارة الحركة المرورية والأنظمة الأمنية اللازمة (برقية صاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية رقم ٢٦٩٥٠ وتاريخ ٢٦-١٤٣١/٤/٢٧هـ)، و(برقية وزير التعليم العالي رقم ٨١٥٣ وتاريخ ١٤٣١/٥/١٠هـ).

وبعد الاطلاع على عدد من الدراسات ذات الصلة بالحوادث المرورية تبيّن أن العوامل المؤثرة في وقوع هذه الحوادث تعود إلى عنصرين اثنين، هما: العنصر البشري، والعنصر المادي؛ فمن الدراسات التي تناولت العوامل المؤثرة في وقوع الحوادث المرورية المتعلقة بالعنصر البشري دراسة (محمد، ٢٠٠٨) التي أشارت إلى أن (٤٤٪) تقريباً من حوادث المرور في مصر وقعت بسبب السائق، ودراسة (أبو علوش والبلاونة والجلامدة، ٢٠٠٩) التي أشارت إلى أن السائق سبب في (٩٠ ٪) من حوادث المرور في الأردن، ودراسة (النافع والسيف، ١٩٩٨) التي أشارت إلى أن تهور السائقين في سرعة قيادة المركبة يشكّل نحو ثلثي حوادث المرور في السعودية.

وتُشكل خصائص السائق الثقافية والتعليمية والعمرية عاملاً مؤثراً في وقوع الحوادث المرورية المتعلقة بالعنصر البشري؛ فقد بيّنت دراسة (النافع والسيف، ١٩٩٨) وجود علاقة وثيقة بين حوادث المرور والمستوى التعليمي والثقافي للسائقين، وبيّنت دراسة (هنوش والهويدي والجلامدة، ٢٠٠٨) أن معظم سائقي المركبات العمومية الذين يمارسون سلوكيات خاطئة ومخالفات مرورية يحظون بالحد الأدنى من التعليم، وبينت دراسة (الصالح، ١٩٩٨) أن حوادث المرور المتعلقة بالسرعة الزائدة في قيادة المركبة والتجاوز غير النظامي وعدم التقيد بإشارات المرور ترتبط بثقافة السائقين، وبيّنت دراسة (الشعوان، ١٩٩٧) أن عدم التزام السائقين بقواعد ونظم المجتمع يعد من أهم أسباب حوادث المرور، وبيّنت دراسة (يوسف، ١٩٩٤) أن عدم الامتثال لقواعد المرور وسلامة السير مصدره ضعف التنشئة والتأهيل للاندماج في النظام الحضري.

كما تُشكل خصائص السائق النفسية عاملاً مؤثراً آخر في وقوع الحوادث المرورية المتعلقة بالعنصر البشري، مثل الإفراط في الثقة والانحياز نحو تقييم الأخطار وأسلوب الحياة (العبودي، ٢٠١٠)، واضطراب الحالة النفسية وعدم استقرارها (السيف، ١٩٩٧)، حيث بينت دراسة (Dief-enbaker، et al، 2003) أن السائقين الذين يقودون سياراتهم وهم في حالة انفعال وغضب يرتكبون مخالفات كثيرة تكون سبباً في حوادث المرور، حيث يتصفون بالعدائية أثناء القيادة، مثل إهانة السائقين الآخرين على الطريق وسبهم بألفاظ نابية، والميل إلى المخاطرة مثل تخطي الآخرين، وتجاوز السرعة المحددة، والتنقل بين مسارات الطريق بسرعة عالية، ومخالفة الإشارات في التقاطعات. كما بينت دراسة (منصور، ٢٠٠٩) أن هؤلاء السائقين حين يقودون سياراتهم وهم في حالة من الغضب والانفعال الشديد ربما ينصرفون أو يتشتت انتباههم بعيداً عن الطريق، وينشغل ذهنهم، ومن ثم يقل تركيزهم على الطريق لمعالجة المعلومات المتطلبة لقيادة السيارة بأمان مثل كبح فرامل السيارة في الوقت المناسب، والنظر في مرآة السيارة قبل التحول يميناً أو يساراً، وضبط سرعة المركبة بحد السرعة المقرر. كما بينت أن السائقين الذين لديهم سلوك عدواني في قيادة المركبة أكثر عُرضة لحوادث المرور، ومن مظاهر هذا السلوك العدواني عدم احترام قواعد المرور، وعدم ارتداء أحزمة الأمان، والتعدي اللفظي والمادي على السائقين الآخرين، وكسر إشارات المرور، وإطلاق نفير السيارة بصوت مرتفع، والمخاطرة في تخطي السيارات الأخرى على الطريق.

وبينت دراسة (Sanchez and Angeles، 2005) وجود علاقة بين اضطرابات الانتباه لدى السائقين وعدد

الحوادث المرورية التي تعرضوا لها، وهو ما أكدته دراسة (Burcu، 2005)، ودراسة (Marcott et al، 2006)، ودراسة (Carrion، et al، 2005)، ودراسة (Nancy and Andrea، 2006)، ودراسة (Mckenna and Horswill، 2006). كما بينت دراسة (Davids، 2006) وجود علاقة طردية بين اضطرابات الضغوط والمجاراة لدى سائقي حافلات نقل الركاب العمومي أثناء القيادة والحوادث المرورية التي تعرضوا لها.

وهناك دراسات تناولت العوامل المؤثرة في وقوع الحوادث المرورية المتعلقة بالعنصر المادي مثل نوع الطرق وهندسة المرور (شويري، ٢٠٠٦)، وتصميمها من حيث عرضها واتساعها وما يحيط بها من صخور وأشجار (الغامدي والغامدي، ٢٠٠٦)، واللوحات الإرشادية والتقاطعات في الشوارع (جمال، ١٩٩٧)؛ فمن هذه الدراسات دراسة (السيف وآخرون، ١٩٩١) التي بيّنت أن المركبة تعد العامل الوسيط في سلسلة العوامل المسببة للحوادث، ودراسة (جمال، ١٩٩٧) التي بيّنت أن سلامة المركبة وتوفر جميع وسائل السلامة وصلاحيتها للقيادة تساعد السائق في التحكم بالمركبة والتقليل من الحوادث المرورية.

ويُعد عدد المركبات عاملاً مهماً في ارتفاع نسبة الحوادث؛ فقد بينت دراسة (هاكوز، ٢٠٠٧) أن الازدياد السنوي المضطرد في أعداد المركبات بالأردن لم يواكبها توسع بنفس الإضطراد في الشوارع والطرق لتستوعب هذه الزيادة، مما أدى إلى ازدياد عدد الحوادث المرورية، حيث بلغ عددها عام ٢٠٠٦م (١٣٠٠) حادث مروري حصدت (٨٩٩) وفاة، أي بزيادة بلغت (٣٠،١٢٪). كما أشارت دراسة (المقبل، ٢٠٠٠) إلى أن عدد المركبات في السعودية عام ١٩٧٠م لم يتجاوز مائة ألف سيارة، إلا أن هذا العدد ارتفع ليصل في عام ٢٠٠٠م إلى أكثر من خمسة ملايين سيارة، الأمر الذي أدى إلى دخول عناصر سلوكية جديدة، وظهور تحديات كبيرة مثل كثافة حجم حركة المرور، وزيادة العبء على العاملين في قطاع المرور، وظهور الحاجة إلى مزيد من الطرق.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن المشكلة المرورية في المملكة العربية السعودية حادة جداً، سواء من حيث عدد الحوادث وحجم الخسائر البشرية والاقتصادية وعدد المخالفات، أو من حيث مستوى الإدراك والوضوح لدى فئة الشباب تجاه المخاطر الحقيقية أثناء القيادة وحجم هذه المشكلة كقضية اجتماعية (الشهراني، ٢٠٠٣)، وذلك نظراً لزيادة ميلهم نحو حب الإثارة وركوب الأخطار والمغامرة والمبالغة التي تؤدي إلى أفعال سلوكية اجتماعية سلبية أثناء قيادة مركباتهم (العبودي، ٢٠١٠).

وتزيد من حدة المشكلة المرورية تلك التأثيرات السلبية المصاحبة التي تسبب الحوادث المرورية والآثار السلبية الناجمة عنها، خاصة الآثار المباشرة على الصحة النفسية التي عادة ما تكون خفية عن الملاحظة الحسية المباشرة، أو يتم تجاهلها من قِبل ذوي المصابين (الشريف، ٢٠٠٦)، مثل التوتر، واضطراب الضغوط الصدمية (الناصر، ٢٠٠٥)، وكذلك الآثار الاجتماعية مثل عدم اندماج المصابين داخل أسرهم ومجتمعهم الأصلي، والتي تتطلب بذل جهود كبيرة لتوفير الرعاية المناسبة لهم وإعادة تأهيلهم لممارسة أدوارهم ونشاطهم اليومي بصورة طبيعية (الحميدان، ٢٠٠٦).

ولأن العلاقة بين التعليم والسلامة المرورية علاقة تكاملية، ولأن البعد الأمني يُشكّل أحد الأبعاد الرئيسة للتعليم، ولأن دور التعليم حيوي في عمليات التوعية بأخطار الحوادث المرورية ومواجهة الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن هذه الحوادث، خاصة في هذا العصر الذي يتسم بالتقدم التكنولوجي، والانفجار المعرفي، والتغيرات السريعة في عدد من المجالات المادية والتقنية والاقتصادية والثقافية (سعيد، ٢٠٠٧)، فإن إجراء دراسات حول المسؤولية المجتمعية للجامعات في تنمية الوعي التربوي المروري لدى الطالب الجامعي ليتمكن من تحمل المسؤولية تجاه نفسه ومجتمعه والمحافظة على أمنه وموارده البشرية ومدخراته وثرواته الاقتصادية تُعد ضرورة تربوية، كما تُمثّل الخطوة الأولى للوقاية من الحوادث المرورية وتحقيق الأمن المجتمعي والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والحضاري بمحاولتها إحداث تغييرات مرغوب فيها في

أنماط الحركة وأسلوب قيادة المركبات.

كل ذلك جعل الدراسة الحالية استجابة علمية ملحة تحددت مشكلتها بالسؤال الرئيس التالي: **ما درجة التزام طلاب جامعة جازان بالمملكة العربية السعودية بممارسات التربية المرورية كما تبدو في نظام المرور واللائحة التنفيذية له من وجهة نظر الطلاب أنفسهم؟**

وللإجابة عن هذا السؤال الرئيس يجيب الباحثان عن السؤالين الفرعيين التاليين:

السؤال الأول: ما تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى للمتغيرات التصنيفية للدراسة: المستوى الدراسي، ومستوى تعليم ولي الأمر، ومستوى تعليم الأم، ومهنة ولي الأمر، ومهنة الأم، ومكان السكن، وارتكاب الحوادث المرورية، والحصول على قسيمة مخالفة مرورية؟

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- التعرف على واقع التزام طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية التي تحددت في نظام المرور واللائحة التنفيذية له أثناء قيادة مركباتهم وفق تقديرات الطلاب أنفسهم.
- الكشف عن أثر اختلاف تقديرات طلاب جامعة جازان لواقع التزامهم بممارسات التربية المرورية باختلاف المتغيرات التصنيفية للدراسة.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية موضوعها ذاته، ومن تمكّنها من الإجابة عن أسئلتها، وفي كونها الدراسة الأولى –بحدود علم الباحثين– التي تناولت التربية المرورية وفقاً لحدودها، إضافة إلى أنه يتوقع أن تفيد نتائج الدراسة:

- طلاب جامعة جازان في التعرّف بطريقة علمية منظمة إلى ممارسات التربية المرورية التي تحددت في أداة الدراسة والمستنبطة من نظام المرور واللائحة التنفيذية له بالمملكة العربية السعودية.
- عمادة شؤون الطلاب بجامعة جازان في التعرّف على مستوى التزام طلاب الجامعة بممارسات التربية المرورية لتضمين البرامج والفعاليات والأنشطة المناسبة في خطتها السنوية التي تُسهم في زيادة الوعي التربوي المروري لديهم.
- الإدارة العامة للمرور بالمملكة العربية السعودية في التعرّف إلى مستوى التزام طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية لتطوير استراتيجيات رفع مستوى الوعي التربوي المروري لدى طلاب الجامعات بالتعاون مع الجامعات.
- تقديم أداة تتمتع بدرجة جيدة من الصدق والثبات يتوقع أن يستخدمها باحثون آخرون في إجراء دراسات أخرى ذات صلة.

التعريفات الإجرائية:

يُعرّف الباحثان المصطلحات الواردة في عنوان الدراسة تعريفاً إجرائياً على النحو التالي:

الدرجة: تقدير إجابات طلاب جامعة جازان أفراد عينة الدراسة المتعلقة بالتزامهم بممارسات التربية المرورية التي تحددت في نظام المرور واللائحة التنفيذية له وعبّروا عنها بوضع إشارة (✓) في الاختيار الذي يمثّل وجهة نظر كل منهم على كل فقرة في الأداة من بين ثلاثة خيارات: كبيرة، متوسطة، قليلة.

الالتزام: مراعاة طلاب جامعة جازان الذين يمتلكون أو يقودون مركبات خاصة لممارسات التربية المرورية التي تحددت في نظام المرور واللائحة التنفيذية له أثناء قيادة مركباتهم.

الطلاب: طلاب جامعة جازان الذين بمستوى السنتين الأولى والأخيرة بمختلف التخصصات العلمية وكانوا على مقاعد الدراسة خلال الفصل الثاني من العام الجامعي ١٤٣١- ١٤٣٢هـ (٢٠١٠-٢٠١١م).

التربية المرورية: ممارسات (قواعد السير على الطرق) الواردة في (المادة الخمسون) ونصّها (الطريق للجميع، وتجب مراعاة حقوق الآخرين من مستخدميه) وتفريعاتها المرقمة بـ(٥٠) وتقسيماتها من نظام المرور واللائحة التنفيذية له بالمملكة العربية السعودية وتقع في (٢١ صفحة).

نظام المرور ولائحته التنفيذية: هو النظام الصادر عن الإدارة العامة للمرور بوزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٨٥ وتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٤٢٨هـ واللائحة التنفيذية له الصادرة بقرار وزير الداخلية رقم ٧٠١٩ وتاريخ ١٤٢٩/٧/٣هـ، والذي اشتمل على (٨٥) مادة بتفريعاتها وتقسيماتها، وتوزعت إلى (٨) أبواب جاءت في (١٥٩ صفحة).

حدود الدراسة:

تمثلت حدود هذه الدراسة في اقتصارها على:

- الممارسات المرورية التي تحددت في (قواعد السير على الطرق) الواردة في (المادة الخمسون) ونصّها (الطريق للجميع، وتجب مراعاة حقوق الآخرين من مستخدميه) وتفريعاتها المرقمة بـ(٥٠) وتقسيماتها من نظام المرور واللائحة التنفيذية له بالمملكة العربية السعودية.

- وجهة نظر طلاب جامعة جازان أنفسهم في تحديد درجة التزامهم بممارسات التربية المرورية.

- طلاب جامعة جازان الذين بمستوى السنتين الأولى والأخيرة بمختلف التخصصات العلمية وكانوا على مقاعد الدراسة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣١- ١٤٣٢هـ (٢٠١٠-٢٠١١م) وكانوا يمتلكون أو يقودون مركبات خاصة.

طريقة الدراسة وإجراءاتها

منهج الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي لملاءمته طبيعة الدراسة وأهدافها.

مجتمع الدراسة:

تكوّن مجتمع الدراسة من طلاب جامعة جازان المنتظمين بالدراسة بمستوى السنتين الأولى والأخيرة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣١- ١٤٣٢هـ (٢٠١٠-٢٠١١م) وبلغ عددهم (٤٨٧٦) طالباً، منهم (٤١٩٠) طالباً بمستوى السنة الأولى، و(٦٨٦) طالباً بمستوى السنة الأخيرة.

عينة الدراسة:

تكوّنت عينة الدراسة من (٨٧٠) طالباً تم اختيار أفرادها بالطريقة القصدية فيما يتعلق بامتلاك أو قيادة مركبة خاصة، وبالطريقة العشوائية فيما يتعلق بمتغيرات الدراسة، استجاب منهم (٨١٦) طالباً، واستُبعدت (٢٥) استبانة غير صالحة للتحليل الإحصائي، فتبقّى من أفراد العينة (٧٩١) طالباً يمثلون ما نسبته (٩١٪) تقريباً من حجم العينة، وقد توزعوا حسب متغيرات الدراسة كما في جدول (١).

أداة الدراسة:

قام الباحثان بإعداد أداة الدراسة (الاستبانة) بعد دراسة وتحليل (قواعد السير على الطرق) الواردة في (المادة الخمسون) ونصّها (الطريق للجميع، وتجب مراعاة حقوق الآخرين من مستخدميه) وتفريعاتها المرقمة بـ(٥٠) وتقسيماتها من نظام المرور واللائحة التنفيذية له بالمملكة العربية السعودية. وقد تكونت هذه الاستبانة في صورتها النهائية من جزأين، يهدف الجزء الأول إلى التعريف بالدراسة وتعليمات تعبئة الاستبانة والبيانات الشخصية لأفراد العينة، ويهدف الجزء الثاني إلى قياس درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية مقرونة بسلم إجابات وفق نموذج (ليكرت) الثلاثي (درجة كبيرة، درجة متوسطة، درجة قليلة). ويجيب أفراد العينة عن كل فقرة فيها وعددها (٩٥) فقرة باختيار درجة موافقة واحدة من بين بدائل الإجابة بوضع (✓) داخل الخانة المناسبة.

أما معيار الحكم على درجة الالتزام بهذه الممارسات فهو: (٢,٣٣ فأكثر) درجة كبيرة، (أقل من ٢,٣٣ - ١,٦٦) درجة متوسطة، (أقل من ١,٦٦) درجة قليلة.

صدق الأداة:

تم التحقق من الصدق الظاهري للاستبانة بعرضها على (٢١) محكّماً من ذوي الخبرة والكفاءة في عدد من الجامعات، ومن الأجهزة الحكومية المعنية بمنطقة جازان، وإجراء كافة التعديلات اللازمة المتعلقة بشمول الاستبانة لممارسات التربية المرورية التي تحددت في (قواعد السير على الطرق) الواردة في (المادة الخمسون) وتفريعاتها المرقمة بـ(٥٠) وتقسيماتها من نظام المرور واللائحة التنفيذية له، ومدى كفايتها لغايات هذه الدراسة، ووضوح هدف كل فقرة، ودقة صياغتها، ومناسبة توزع الفقرات في الاستبانة، وتعديل ما يرونه مناسباً. وعُدّت موافقة (٨٥٪) من

جدول (١): توزع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة ونسبهم المئوية

المتغير	المستوى	العدد	النسبة المئوية
المستوى الدراسي	السنة الأولى	٥١٢	٦٤,٧
	السنة الأخيرة	٢٧٩	٣٥,٣
مستوى تعليم ولي الأمر	غير متعلم	١٧٨	٢٢,٥
	ثانوي فأقل	٢٦٨	٣٣,٩
	دبلوم متوسط	١١٦	١٤,٧
	جامعي فما فوق	٢٢٩	٢٩,٠
مستوى تعليم الأم	غير متعلمة	٤٠٩	٥١,٧
	ثانوي فأقل	٢٢٠	٢٧,٨
	دبلوم متوسط	٧٦	٩,٦
	جامعي فما فوق	٨٦	١٠,٩
مهنة ولي الأمر	معلم	١٧٣	٢١,٩
	موظف حكومي	٣٣٧	٤٢,٦
	موظف قطاع خاص	٤٠	٥,١
	عمل حر	١٠٦	١٣,٤
	بلا عمل	١٣٥	١٧,١
مهنة الأم	موظفة	٧٦	٩,٦
	غير موظفة	٧١٥	٩٠,٤
مكان السكن	قرية	٤٨٥	٦١,٣
	مدينة	٢٢٢	٢٨,١
	غير ذلك (جبال، بادية...	٨٤	١٠,٦
ارتكاب الحوادث المرورية	نعم	٣٤٥	٤٣,٦
	لا	٤٤٦	٥٦,٤
الحصول على قسيمة مخالفة مرورية	نعم	٤٢٦	٥٣,٩
	لا	٣٦٥	٤٦,١
الكلي		٧٩١	٪١٠٠

المحكمين على مناسبة الفقرة شرطاً لاعتمادها.

وللتأكد من الصدق الداخلي للاستبانة تمّ حساب معاملات ارتباط كل فقرة مع الأداة ككل، وقد جاءت قيم هذه المعاملات دالة إحصائياً، حيث تراوحت بين (٠,٤٢ - ٠,٧٨).

ثبات الأداة:

للتأكد من تمتع الاستبانة بمعامل ثبات مقبول إحصائياً وذي دلالة تم حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ-ألفا للأداة ككل، وقد بلغ (٠,٩٦)، وهذا يشير إلى أنها تتمتع بمعامل ثبات مرتفع ذي دلالة يمكّنها من تحقيق أهداف الدراسة.

جمع معلومات الدراسة:

جمعت معلومات الدراسة الحالية من أفراد العينة الذين كانوا منتظمين بالدراسة في جامعة جازان خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣١-١٤٣٢هـ (٢٠١٠-٢٠١١م) خلال الفترة بين ٧-٢٠١١/٥/١١م، بموافقة واهتمام معالي مدير الجامعة، وبالتعاون مع عمداء الكليات.

متغيرات الدراسة:

تمثّلت متغيرات هذه الدراسة بما يلي:

١. المتغير المستقل:

- واقع التزام طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية.

٢. المتغيرات التصنيفية:

- المستوى الدراسي: وله مستويان، هما: (السنة الأولى)، (السنة الأخيرة).
- مستوى تعليم ولي الأمر: وله أربعة مستويات، هي: (غير متعلم)، (ثانوي فأقل)، (دبلوم متوسط)، (جامعي فما فوق).
- مستوى تعليم الأم: وله أربعة مستويات، هي: (غير متعلمة)، (ثانوي فأقل)، (دبلوم متوسط)، (جامعي فما فوق).
- مهنة ولي الأمر: وله خمسة مستويات، هي: (معلم)، (موظف قطاع حكومي)، (موظف قطاع خاص)، (عمل حر)، (بلا عمل).
- مهنة الأم: وله مستويان، هما: (موظفة)، (غير موظفة).
- مكان السكن: وله ثلاثة مستويات، هي: (قرية)، (مدينة)، (غير ذلك: جبال، بادية...).
- ارتكاب الحوادث المرورية: وله مستويان، هما: (نعم)، (لا).
- الحصول على قسيمة مخالفة مرورية: وله مستويان، هما: (نعم)، (لا).

٣. المتغير التابع:

- وجهة نظر طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية.

المعالجات الإحصائية:

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للإجابة عن السؤال الأول المتعلق بتقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية، وللإجابة عن السؤال الثاني المتعلق بأثر اختلاف تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية باختلاف متغيرات الدراسة.
- اختبار ت (t-test) لمعرفة الفروق الدالة في إجابة السؤال الثاني فيما يتعلق بمتغيرات المستوى الدراسي، ومهنة الأم، وارتكاب الحوادث المرورية، والحصول على قسيمة مخالفة مرورية.
- تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA) لمعرفة دلالة الفروق في إجابة السؤال الثاني فيما يتعلق بمتغيرات مستوى تعليم ولي الأمر ومستوى تعليم الأم ومهنة ولي الأمر ومكان السكن.
- طريقة "شفيه" (Scheffe) للمقارنات البعدية لمعرفة دلالة الفروق الزوجية في إجابة السؤال الثاني فيما يتعلق بمتغيري مستوى تعليم ولي الأمر ومكان السكن.

عرض نتائج الدراسة:

أولاً: عرض نتائج السؤال الأول: ما تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية؟

للتعرف على درجة التزام طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية من وجهة نظرهم تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديراتهم على كل فقرة في الأداة والأداة ككل، وهو ما يوضحه جدول (٢).

يتضح من جدول (٢) ما يلي:

- يلتزم طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية من وجهة نظرهم بشكل عام بدرجة متوسطة، وبمتوسط حسابي (١,٨١) وبانحراف معياري (٠,٤٢).
- تراوحت المتوسطات الحسابية لالتزام طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية من وجهة نظرهم ما بين (٢,١٦- ١,٤٩).
- لا يلتزم طلاب جامعة جازان بأي من ممارسات التربية المرورية بدرجة كبيرة.
- يلتزم طلاب جامعة جازان بـ (٦٨) ممارسة من ممارسات التربية المرورية بدرجة متوسطة، أعلاها الفقرة (٢٨) ونصّها: "أترك مسافة كافية بين مركبتي والمركبة التي أمامي لتفادي منعطف مفاجئ أو لإيقاف مركبتي في الأحوال التي تتوقف فيها المركبة التي أمامي فجأة" بمتوسط حسابي (٢,١٦) وبانحراف معياري (٠,٨٤)، ثم الفقرة (٢٢) "ألتزم أقصى الجانب الأيمن من الطريق إذا كانت سرعة سيارتي أقل من السرعة القصوى المصرح بها" بمتوسط حسابي (٢,١٥) وبانحراف معياري (٠,٨٤)، والفقرة (٢٩) "أعلن عن رغبتي في تهدئة سرعة مركبتي قبل وقت كاف سواء باستعمال الإشارات أو نور الفرامل الخلفي" بمتوسط حسابي (٢,١٥) وبانحراف معياري (٠,٨٥).
- يلتزم طلاب جامعة جازان بـ (١٧) ممارسة من ممارسات التربية المرورية بدرجة قليلة، أدناها الفقرة (٧١) ونصّها: "حين أسير في طريق الخدمة أتيح الأفضلية للمركبات الخارجة من الطريق الرئيسي إلى طريق الخدمة" بمتوسط حسابي (١,٤٩) وبانحراف معياري (٠,٧١)، والفقرة (٧) "ألتزم بالسرعة النظامية عند الاقتراب من مفارق الطرق وملتقياتها ومنعطفاتها" بمتوسط حسابي (١,٤٩) وبانحراف معياري (٠,٧٠)، ثم الفقرة (٩٤) "النور البرتقالي يعني أن أتوقف بالمركبة وعدم تجاوز خط الوقوف" بمتوسط حسابي (١,٥٠) وبانحراف معياري (٠,٦٨).

ثانياً: عرض نتائج السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى للمتغيرات التصنيفية للدراسة: المستوى الدراسي، ومستوى تعليم ولي الأمر، ومستوى تعليم الأم، ومهنة ولي الأمر، ومهنة الأم، ومكان السكن، وارتكاب الحوادث المرورية، والحصول على قسيمة مخالفة مرورية؟

١. متغير المستوى الدراسي:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب المستوى الدراسي (السنة الأولى، السنة الأخيرة) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" (t-test)، وجاءت النتائج كما في جدول (٣).

يتبين من جدول (٣) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى للمستوى الدراسي لصالح الطلاب بمستوى (السنة الأخيرة)، حيث بلغت قيمة (ت) (-٦,٧٧٩).

٢. متغير مستوى تعليم ولي الأمر:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب مستوى تعليم ولي الأمر (غير متعلم، ثانوي فأقل، دبلوم متوسط، جامعي فما فوق) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وجاءت النتائج كما في جدول (٤).

يتضح من جدول (٤) وجود تباين ظاهر بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية بسبب اختلاف فئات متغير مستوى تعليم ولي الأمر، ولمعرفة دلالة الفروق بين هذه المتوسطات تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA)، وجاءت النتائج كما في جدول (٥).

يتضح من جدول (٥) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لمستوى تعليم ولي الأمر، حيث بلغت قيمة (ف) (٤,٩٣٥)، ولبيان الفروق

جدول (٢): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٢٨	أترك مسافة كافية بين مركبتي والمركبة التي أمامي لتفادي منعطف مفاجئ أو لإيقاف مركبتي في الأحوال التي تتوقف فيها المركبة التي أمامي فجأة	٢,١٦	٠,٨٤	١
٢٢	ألتزم أقصى الجانب الأيمن من الطريق إذا كانت سرعة سيارتي أقل من السرعة القصوى المصرح بها	٢,١٥	٠,٨٤	٢
٢٩	أعلن عن رغبتي في تهدئة سرعة مركبتي قبل وقت كاف سواء باستعمال الإشارات أو نور الفرامل الخلفي	٢,١٥	٠,٨٥	٢
٢٣	ألتزم أقصى الجانب الأيمن من الطريق عندما تكون الرؤية غير واضحة على الطريق	٢,١٤	٠,٨٥	٤
٨	أحرص أثناء قيادتي على عدم معاكسة المنتفعين بالطريق	٢,١٢	٠,٨٧	٥
١٥	لا أستعمل أجهزة التنبيه أثناء قيادة مركبتي إلا في حالة الضرورة لتنبيه مستعملي الطريق إما إلى اقتراب المركبة وإما إلى خطر ناشئ عنها أو خطر يهددها	٢,٠٨	٠,٨٤	٦
٢٤	إذا تقابلت مع مركبة أخرى قادمة من اتجاه مضاد ألتزم أقصى الجانب الأيمن من الطريق	٢,٠٨	٠,٨٦	٦
٢٥	يجب على سائقي المركبات التي تسير في اتجاه واحد أن يتركوا فيما بينهم مسافة كافية تتناسب مع سرعة تلك المركبات	٢,٠٧	٠,٨٤	٨
٣٢	أقوم في حالة وقوف مركبتي أو تعطلها بوضع علامات تحذير واضحة	٢,٠٥	٠,٨٥	٩
٤٦	أتأكد قبل الشروع في التجاوز من وضوح الرؤية وخلو الطريق أمامي من العوائق	٢,٠٢	٠,٨٥	١٠
٢٧	إذا أردتُ الانحراف بسيارتي يميناً أو شمالاً أو الدوران إلى الخلف في اتجاه مضاد لخط سيري أتأكد أولاً من عدم وجود إشارات تمنع ذلك	٢,٠١	٠,٨٢	١١
٣١	أقوم في حالة وقوف مركبتي أو تعطلها بإبقائها خارج مجرى الطريق	٢,٠١	٠,٨٨	١١
٥	إذا كان الطريق المعبد مقسوماً إلى مسارين محدودين بخط متقطع فإني أسير بمركبتي في المسار الأيمن ولا أقطع الخط إلا بقصد تجاوز مركبة أمامي	٢,٠٠	٠,٨٥	١٣
٥١	ألتزم أقصى اليمين إذا كانت هناك مركبة تريد تجاوز مركبتي	١,٩٩	٠,٨٣	١٤

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٥٨	عند رغبتي تبديل وجهة سيري نحو اليمين أو اليسار أعطي الإشارة الضوئية اللازمة من مسافة معقولة قبل تغيير الاتجاه وحتى تمامه	١,٩٩	٠,٨٦	١٤
٤٨	أمتنع عن الشروع في تجاوز المركبة التي أمامي قبل إعلان رغبتي بوضوح في الوقت المناسب مستعملا إشارات التنبيه الضوئية	١,٩٨	٠,٨٥	١٦
٥٢	إذا أردتُ تبديل الطريق التي أسلكها إلى طريق آخر أبيّن مقصدي بإشارة ضوئية مرئية	١,٩٨	٠,٨٥	١٦
٣٤	يمكنني الالتفاف بمركبتي إلى اليمين في التقاطعات أثناء الإشارة الحمراء بعد التوقف التام ما لم يكن هناك إشارة تمنع ذلك	١,٩٧	٠,٨٦	١٨
٤٥	أمتنع عن الشروع في تجاوز المركبة التي أمامي إذا كانت المركبة التي خلفي قد بدأت فعلاً في التجاوز	١,٩٦	٠,٨٦	١٩
٧٠	عند الدخول من طريق فرعي إلى الطريق الرئيس أتيح أفضلية المرور للمركبات التي تيسير على الطريق الرئيس	١,٩٦	٠,٨٦	١٩
٩٠	حين تقف مركبتي على طريق غير مجهز بإنارة عامة ليلاً أترك نوراً أحمر في المؤخرة من الجهة المعاكسة لجانب الطريق	١,٩٥	٠,٨٨	٢١
٩	أمتنع عن استعمال المكابح (الفرامل) فجأة إلا للضرورة*	١,٩٤	٠,٩٠	٢٢
٤١	أقوم بالتجاوز من يمين المركبة التي أمامي إذا أعطت إشارة التوجه إلى اليسار	١,٩٤	٠,٨٦	٢٢
٥٩	عندما أرغب بإيقاف مركبتي فإني أُنبه بإشارة ضوئية من مسافة معقولة إلى أن تتوقف المركبة تماماً	١,٩٤	٠,٨٦	٢٢
٥٠	أعود بمركبتي إلى يمين الطريق بعد إتمام عملية التجاوز	١,٩٣	٠,٨٤	٢٥
٦	عند التأهب لترك الطريق من أجل سلوك طريق آخر واقع إلى اليسار أقوم بالتأكد أولاً من أن ذلك لا يشكل خطراً على الآخرين*	١,٩٢	٠,٨٩	٢٦
٦٤	عند اقترابي من تقاطع أكثر من طريق في ملتقى يشكل ساحة دائرية (الدوار) أتيح الأفضلية للمركبات التي تسير حول الدائرة أو الدوار	١,٩٢	٠,٨٥	٢٦
١٢	أمتنع عن إيقاف محركات مركبتي عن الدوران بقصد تسييرها بقوة اندفاعها*	١,٩١	٠,٩٠	٢٨
٦٢	عند الاقتراب من ملتقى أكثر من طريق لا توجد به إشارات ضوئية ولا رجل المرور فإن الأفضلية للمركبة الآتية من الطريق الرئيس	١,٩١	٠,٨٣	٢٨
٣٩	أمتنع عن إجراء التجاوز عندما تكون هناك إشارة أو خطوط ذات دلالة تمنع ذلك	١,٨٩	٠,٨٥	٣٠

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٧٨	أقوم بتخفيف سرعة مركبتي إذا ظهر لي أن الطريق غير حرة	١,٨٩	٠,٨٣	٣٠
١٠	أمنع ركاب مركبتي من الركوب أو النزول من الجانب الأيسر للمركبة*	١,٨٨	٠,٨٥	٣٢
٣	التزم بقيادة مركبتي على المسار المناسب من الطريق للسرعة المحددة*	١,٨٧	٠,٨٧	٣٣
٤٢	أقوم عند التلاقي بتهدئة سرعة مركبتي أو التوقف إذا اقتضت الضرورة إلى حين مرور مستعملي الطريق القادمين من الجهة المقابلة لاتجاهي	١,٨٧	٠,٨٢	٣٣
٥٧	أمتنع عن الالتفاف إلى الخلف عندما تكون الإشارة حمراء أو توجد إشارة تمنع ذلك	١,٨٦	٠,٨٧	٣٥
٨٦	أقوم بإضاءة مصابيح سيارتي إذا كنت أسير ليلاً حتى وإن كانت الطريق مجهزة بإنارة عامة	١,٨٦	٠,٨٦	٣٥
٤	إذا كان الطريق المعبد مقسوماً إلى مسارين محدودين بخطين متصلين أمتنع عن اجتياز هذه الخطوط إذا كنت أسير بمركبتي على مسار منهما	١,٨٥	٠,٨٤	٣٧
١٦	إذا تنازل لي سائق عن أية أولوية له فإني أعتمد على هذا التنازل بعد تفاهمي الواضح مع المتنازل*	١,٨٤	٠,٨٣	٣٨
٢٠	التزم أقصى الجانب الأيمن من الطريق إذا كنت سأنعطف إلى طريق على يميني*	١,٨٤	٠,٨٤	٣٨
٣٠	أقوم بالعودة بمركبتي إلى الخلف في الطريق العام في حالة الضرورة لمسافة لا تتجاوز (٢٠) متراً*	١,٨٤	٠,٨٥	٣٨
١١	أمنع الأشخاص في مركبتي من إخراج أجزاء من أجسامهم من النوافذ أو غيرها*	١,٨٣	٠,٨٦	٤١
١٩	إني مسئول عن وجود ما يعوق رؤيتي بسبب جلوس أحد في مركبتي أو حمولتها أو حالتها*	١,٨٣	٠,٨٦	٤١
٢٦	إذا أردت الانحراف بسيارتي أو الدوران إلى الخلف في اتجاه مضاد لخط سيري أتأكد من إمكان إجراء ذلك دون أن أعرّض نفسي أو غيري للخطر*	١,٨٣	٠,٨٧	٤١
٣٥	ألتزم الجهة اليمنى من الطريق بقدر الإمكان عند التلاقي على اليمين	١,٨٣	٠,٨٢	٤١
٦٦	إذا كانت مركبتي متقدمة على المركبات فإن مسؤوليتي مراقبة حركة المرور من حيث تأثرها بأي تغيير في المسافة أو الاتجاه عند تخفيف سرعتي أو تبديل اتجاهي	١,٨٣	٠,٨٠	٤١
١٣	أمتنع في حال مغادرتي مركبتي عن ترك محركها في حالة تشغيل*	١,٨٢	٠,٨٣	٤٦

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٧٢	إذا التقيت بسائق في طريق تم إغلاق جزء منه فإن أفضلية المرور لمن كانت طريقه مفتوحة إلى اليمين	١,٨٢	٠,٨٠	٤٦
٧٧	أحدد سرعة مركبتي وفقاً لصعوبات السير أو العوائق المحتملة	١,٨٢	٠,٨٤	٤٦
٣٨	أمتنع عن إجراء التجاوز في المنحنيات الحادة والجسور المحدبة*	١,٨١	٠,٨٤	٤٩
٦٠	أقترب بقدر الإمكان من حافة الطريق المحاذية لجهة سيري إذا كان مقصدي ترك الطريق وسلوك طريق آخر	١,٨١	٠,٨٠	٤٩
٧٥	أولوية المرور في التقاطعات إذا كان المرور غير منظم هي للمركبات القادمة من طريق رئيس	١,٨١	٠,٨٢	٤٩
٢١	التزم أقصى الجانب الأيمن من الطريق إذا كان هناك منتفع آخر سيتجاوز مركبتي*	١,٨٠	٠,٨٥	٥٢
٥٥	في حالة التفافي إلى اليسار في الطريق ذات الاتجاهين يجب علي السير بالمركبة على يمين الخط المنصف للطريق	١,٨٠	٠,٨٤	٥٢
٨٥	يحظر الوقوف بمركبتي في عكس اتجاه السير أو بعرض الطريق أو في منتصفه	١,٨٠	٠,٨٤	٥٢
٩٣	أقوم بإضاءة أنوار التلاقي عندما تكون أنوار الموضع غير كافية للسماح لبقية مستعملي الطريق من رؤية مركبتي على مسافة كافية	١,٨٠	٠,٨٢	٥٢
٥٦	في حالة التفافي إلى اليسار في طريق ذات اتجاه واحد أسير بالمركبة على يسار خط السير	١,٧٩	٠,٨٠	٥٦
٧٤	أولوية المرور في التقاطعات إذا كان المرور غير منظم هي للمركبات التي دخلت فعلا التقاطع	١,٧٩	٠,٨٠	٥٦
٩٢	أقوم بإضاءة أنوار التلاقي على الطرق الرئيسة العريضة	١,٧٨	٠,٨٤	٥٨
١٧	أمتنع أثناء قيادة مركبتي عن البصق أو إلقاء المخلفات على الطريق العام*	١,٧٧	٠,٨١	٥٩
٨٤	أمتنع عن الوقوف بمركبتي عند أي منعطف	١,٧٦	٠,٨٢	٦٠
٨٨	أمتنع عن استعمال الأنوار العالية لمركبتي في داخل المدن مطلقاً	١,٧٤	٠,٧٩	٦١
١٨	أقوم بالكشف على جميع أجهزة مركبتي قبل تحريكها*	١,٧٣	٠,٨٠	٦٢
٦٥	لسائق المركبة المتقدمة أفضلية المرور على غيره من سائقي المركبات	١,٧٣	٠,٨٢	٦٢
٣٧	أمتنع عن إجراء التجاوز في المرتفعات غير المكشوفة*	١,٧٢	٠,٨٢	٦٤

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٤٤	أمتنع عن إجراء التجاوز إذا كانت المركبة التي أمامي قد شرعت في تجاوز مركبة أخرى أمامها أو أعطتني إشارة تحذير بذلك*	١,٧٢	٠,٧٩	٦٤
٥٣	على كل سائق مركبة يحاول الخروج من بناء أو مرآب (كراج) أن يبيّن مقصده بإشارة ضوئية مرئية*	١,٧٢	٠,٨٠	٦٦
٣٣	أمتنع عن تجاوز أرتال المركبات في حال الكثافة المرورية باستخدام كتف الطريق أو المسارب المخصصة للالتفاف*	١,٧١	٠,٧٨	٦٧
٦١	عندما تقترب مركبتان في آن واحد من ملتقى طريقين ليس لأحدهما أفضلية فإن على المركبة الآتية من جهة اليسار ترك مجال المرور للمركبة الثانية	١,٧٠	٠,٧٩	٦٨
٧٦	أولوية المرور في تقاطع طرق متساوية الأهمية إذا كان المرور غير منظم هي للمركبات القادمة من اليمين أيا كان نوعها	١,٧٠	٠,٨٠	٦٨
٤٧	أراعي عند الشروع في التجاوز سرعة مركبتي وسرعة المركبة التي سأتجاوزها*	١,٦٩	٠,٧٧	٧٠
٥٤	يجري الالتفاف إلى اليمين من الطرف الأيمن للطريق ما لم تكن هناك إشارات محددة بالأسهم لاتجاه محدد*	١,٦٩	٠,٧٩	٧٠
٦٨	يتساوى حق الأفضلية في المرور للسائقين الذين يسيران متحاذيين بشكل متوازٍ	١,٦٩	٠,٧٧	٧٠
٦٩	حين أرغب تغيير اتجاهي أعطي أفضلية المرور للمركبة التي تسير في اتجاه مستقيم*	١,٦٨	٠,٧٨	٧٣
٦٣	على السائقين اللذين يقتربان من ملتقى أكثر من طريق لا توجد به إشارات ضوئية ولا رجل المرور إعطاء الأفضلية للمركبة الآتية من جهة اليمين*	١,٦٧	٠,٧٧	٧٤
٨٩	أستعمل الأنوار العالية في الطرق خارج المدن سواء في حالة مواجهة المركبات المقابلة أو في حالة السير خلف مركبة أخرى بمسافة لا تقل عن ٥٠ متراً*	١,٦٧	٠,٧٧	٧٤
٣٦	في حال رغبت بالتجاوز فإني أقوم بالتجاوز من اليسار فقط*	١,٦٦	٠,٨٢	٧٦
٤٩	أراعي عند التجاوز ترك مسافة جانبية كافية بيني وبين المركبة التي أريد تجاوزها*	١,٦٦	٠,٧٧	٧٦
٩١	امتنع عن استعمال أنوار القيادة في جميع الأحوال التي يجب فيها عدم إبهار بقية مستعملي الطريق*	١,٦٦	٠,٧٧	٧٦
٤٠	إذا كانت خلفي مركبة ترغب في التجاوز فإني أحافظ على سرعة مركبتي*	١,٦٤	٠,٧٦	٧٩
٤٣	أولوية المرور في الطرق الجبلية والطرق المائلة حيث الانحدار الشديد والتلاقي هي للمركبة في الاتجاه الصاعد*	١,٦٤	٠,٧٦	٧٩

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٧٣	يجب على سائق المركبة وإن كانت له الأولوية أو النور الأخضر أو أي علامة أخرى تسمح له بالمرور عدم دخول التقاطع إذا كان سيتوقف فيه عند الوصول إليه*	١,٦٤	٠,٧٨	٧٩
٨٠	لا يجوز للمركبات الصغيرة أن تسير بسرعة تزيد عن ٨٠ كم داخل حدود المدن*	١,٦٤	٠,٧٥	٧٩
٨٣	يحظر على سائقي المركبات التسابق بمركباتهم خارج المدن*	١,٦٢	٠,٧٦	٨٣
١٤	أمتنع عن وضع ستائر أو تظليل أو أي شيء يمنع الرؤية على زجاج سيارتي إلا وفق الشروط والضوابط التي تحددها الإدارة العامة للمرور*	١,٦١	٠,٧٣	٨٤
٨٧	أستعمل أنوار التلاقي إذا كنت أسير نهاراً عند وجود ضباب كثيف أو عواصف رملية تحجب الرؤية عني*	١,٦١	٠,٧٦	٨٤
٦٧	عندما أرغب في الدوران بمركبتي إلى الخلف في تقاطع لا يوجد به إشارات ضوئية أو إشارة تمنع ذلك أعطي الأفضلية للمركبات القادمة من الاتجاهات الأخرى*	١,٦٠	٠,٧٤	٨٦
٨٢	أقوم بتخفيض السرعة عن الحد الأقصى للسرعة المسموح به ليلاً*	١,٦٠	٠,٧٥	٨٦
٢	أتقيد بتعليمات رجال المرور حتى وإن خالفت إشارات المرور*	١,٥٨	٠,٧٣	٨٨
٨١	لا يجوز للمركبات الصغيرة السير بسرعة تزيد عن ١٢٠ كم خارج حدود المدن*	١,٥٧	٠,٧٢	٨٩
٩٥	النور الأحمر المتقطع يعني عدم السير حتى التأكد من خلو الطريق من المركبات*	١,٥٥	٠,٧٥	٩٠
١	أتقيد بجميع إشارات المرور الكهربائية والمعدنية	١,٥٤	٠,٦٤	٩١
٧٩	أخفف من سرعة مركبتي في المنحدرات وعند الاقتراب من المرتفعات	١,٥٣	٠,٧٣	٩٢
٩٤	النور البرتقالي يعني أن أتوقف بالمركبة وعدم تجاوز خط الوقوف	١,٥٠	٠,٦٨	٩٣
٧	ألتزم بالسرعة النظامية عند الاقتراب من مفارق الطرق وملتقياتها ومنعطفاتها	١,٤٩	٠,٧٠	٩٤
٧١	حين أسير في طريق الخدمة أتيح الأفضلية للمركبات الخارجة من الطريق الرئيس إلى طريق الخدمة	١,٤٩	٠,٧١	٩٤
	الأداة ككل	١,٨١	٠,٤٢	

* فقرات سلبية في الأصل، عكست تقديرات المقياس عند تصحيحها.

جدول (٣): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب المستوى الدراسي

فئات المستوى الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
السنة الأولى	٥١٢	١,٧٤	٠,٤٣	٦,٧٧٩-	٧٨٩	٠,٠٠٠
السنة الأخيرة	٢٧٩	١,٩٥	٠,٣٦			

جدول (٤): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مستوى تعليم ولي الأمر

فئات مستوى تعليم ولي الأمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
غير متعلم	١٧٨	١,٧٣	٠,٤٥
ثانوي فأقل	٢٦٨	١,٨٤	٠,٤١
دبلوم متوسط	١١٦	١,٧٧	٠,٤٣
جامعي فما فوق	٢٢٩	١,٨٧	٠,٣٨
المجموع	٧٩١	١,٨١	٠,٤٢

جدول (٥): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مستوى تعليم ولي الأمر

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	٢,٥٣٥	٣	٠,٨٤٥	٤,٩٣٥	٠,٠٠٢
داخل المجوعات	١٣٤,٧٤٢	٧٨٧	٠,١٧١		
الكلي	١٣٧,٢٧٧	٧٩٠			

الزوجية الدالة إحصائياً بين هذه المتوسطات تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة "شفيه" (Scheffe)، وجاءت النتائج كما في جدول (٦).

يتضح من جدول (٦) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لمستوى تعليم ولي الأمر بين (غير متعلم) و(جامعي فما فوق) وجاءت الفروق لصالح (جامعي فما فوق).

٣. متغير مستوى تعليم الأم:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب مستوى تعليم الأم (غير متعلمة، ثانوي فأقل، دبلوم متوسط، جامعي فما فوق) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وجاءت النتائج كما في جدول (٧).

يتضح من جدول (٧) وجود تباين ظاهر بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية بسبب اختلاف فئات متغير مستوى تعليم الأم، ولمعرفة دلالة الفروق بين هذه المتوسطات تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA)، وجاءت النتائج كما في جدول (٨).

يتضح من جدول (٨) عدم وجود فروق دالة عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لمستوى تعليم الأم، حيث بلغت قيمة (ف) (٠,٨٤٠).

٤. متغير مهنة ولي الأمر:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب مهنة ولي الأمر (معلم، موظف قطاع حكومي، موظف قطاع خاص، عمل حر، بلا عمل) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وجاءت النتائج كما في جدول (٩).

يتضح من جدول (٩) وجود تباين ظاهر بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية بسبب اختلاف فئات متغير مهنة ولي الأمر، ولمعرفة دلالة الفروق بين هذه المتوسطات تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA)، وجاءت النتائج كما في جدول (١٠).

يتضح من جدول (١٠) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لمهنة ولي الأمر، حيث بلغت قيمة (ف) (١,١٠٥).

٥. متغير مهنة الأم:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب مهنة الأم (موظفة، غير موظفة) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" (t-test)، وجاءت النتائج كما في جدول (١١).

يتضح من جدول (١١) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لمهنة الأم، حيث بلغت قيمة (ت) (١,٧٦٣).

٦. متغير مكان السكن:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب مكان السكن (قرية، مدينة، غير ذلك) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وجاءت النتائج كما في جدول (١٢):

يتضح من جدول (١٢) وجود تباين ظاهر بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية بسبب اختلاف فئات متغير مكان السكن، ولمعرفة دلالة الفروق بين هذه المتوسطات تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA)، وجاءت النتائج كما

جدول (٦): نتائج المقارنات البعدية بطريقة (شفيه) لمعرفة دلالة الفروق الزوجية بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مستوى تعليم ولي الأمر

فئات مستوى تعليم ولي الأمر	المتوسط الحسابي	غير متعلم	ثانوي فأقل	دبلوم متوسط	جامعي فما فوق
غير متعلم	١,٧٣				
ثانوي فأقل	١,٨٤	٠,١١			
دبلوم متوسط	١,٧٧	٠,٠٥	٠,٠٦		
جامعي فما فوق	١,٨٧	٠,١٥ *	٠,٠٤	٠,١٠	

جدول (٧): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مستوى تعليم الأم

فئات مستوى تعليم الأم	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
غير متعلمة	٤٠٩	١,٧٩	٠,٤٣
ثانوي فأقل	٢٢٠	١,٨٣	٠,٣٩
دبلوم متوسط	٧٦	١,٨٤	٠,٤٦
جامعي فما فوق	٨٦	١,٨٤	٠,٣٨
المجموع	٧٩١	١,٨١	٠,٤٢

جدول (٨): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مستوى تعليم الأم

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	٠,٤٣٨	٣	٠,١٤٦	٠,٨٤٠	٠,٤٧٢
داخل المجوعات	١٣٦,٨٣٩	٧٨٧	٠,١٧٤		
الكلي	١٣٧,٢٧٧	٧٩٠			

جدول (٩): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مهنة ولي الأمر

فئات مهنة ولي الأمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
معلم	١٧٣	١,٨٣	٠,٤٠
موظف قطاع حكومي	٣٣٧	١,٨٠	٠,٤٢
موظف قطاع خاص	٤٠	١,٨٤	٠,٤٤
عمل حر	١٠٦	١,٨٧	٠,٤١
بلا عمل	١٣٥	١,٧٧	٠,٤٣
المجموع	٧٩١	١,٨١	٠,٤٢

جدول (١٠): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مهنة ولي الأمر

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	٠,٧٦٨	٤	٠,١٩٢	١,١٠٥	٠,٣٥٣
داخل المجوعات	١٣٦,٥٠٩	٧٨٦	٠,١٧٤		
الكلي	١٣٧,٢٧٧	٧٩٠			

جدول (١١): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مهنة الأم

فئات مهنة الأم	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
موظفة	٧٦	١,٨٩	٠,٣٨	١,٧٦٣	٧٨٩	٠,٠٧٨
غير موظفة	٧١٥	١,٨٠	٠,٤٢			

في جدول (١٣).

يتضح من جدول (١٣) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية تعزى لمكان السكن، حيث بلغت قيمة (ف) (٣,١٣١)، ولبيان الفروق الزوجية ذات الدلالة الإحصائية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة "شفيه" (Scheffe)، وجاءت النتائج كما في جدول (١٤).

يتضح من جدول (١٤) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لمكان السكن بين (مدينة) و(غير ذلك) وجاءت الفروق لصالح (مدينة).

٧. متغير ارتكاب الحوادث المرورية:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب ارتكاب الحوادث المرورية (نعم، لا) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" (t-test)، وجاءت النتائج كما في جدول (١٥).

يتضح من جدول (١٥) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لارتكاب الحوادث المرورية، حيث بلغت قيمة (ت) (١,٥٥٠).

٨. متغير الحصول على قسيمة مخالفة مرورية:

للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية عند تصنيفهم حسب الحصول على قسيمة مخالفة مرورية (نعم، لا) تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" (t-test)، وجاءت النتائج كما في جدول (١٦).

يتضح من جدول (١٦) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى للحصول على قسيمة مخالفة مرورية وقد جاءت هذه الفروق لصالح طلاب الجامعة الذين (حصلوا على قسيمة مخالفة مرورية)، حيث بلغت قيمة (ت) (٥,٤٢٩).

مناقشة نتائج الدراسة:

أولاً: مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

بيّنت نتائج السؤال الأول أن طلاب جامعة جازان يلتزمون بممارسات التربية المرورية من وجهة نظرهم بشكل عام بدرجة متوسطة، وبلغ متوسطها الحسابي (١,٨١) وانحرافها المعياري (٠,٤٢)، وتراوحت المتوسطات الحسابية لوجهات نظرهم في التزامهم بهذه الممارسات بين (٢,١٦- ١,٤٩). تشير هذه النتيجة إلى أن أفراد عينة البحث من طلاب جامعة جازان يتمتعون بمصداقية في تقييم أنفسهم، كما تُشير إلى أنهم متفاوتون في مستوى اطلاعهم على (قواعد السير على الطريق) الواردة في (المادة الخمسون) من نظام المرور واللائحة التنفيذية له الذي تم توزيعه على جميع قطاعات وكليات الجامعة.

ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن مدارس تعليم السياقة لا تمارس مسؤولياتها في إعداد السائقين وغرس القيم الإيجابية فيهم بالمستوى المأمول (المالكي، ٢٠٠٦)، وأن معظم تلك المدارس لا يتوافر لديها خطة منهجية واضحة، ولا تتناول البرامج المتّبعة فيها الجانب الأخلاقي لمهارة قيادة المركبات بشكل مباشر (اسبيته، ٢٠٠٦). كما يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى الخصائص العمرية والنفسية التي يتسم بها طلاب الجامعة في هذه السن، ومن ذلك سعيهم إلى إشباع رغباتهم وتحقيق الذات بمحاولة إظهار النفس أمام الأقران وتميزها عليهم، والتباهي بإتقانهم مهارات السيطرة، أو لفت الانتباه إلى نوع أو موديل السيارة، أو إظهار قدرتهم على تقليد بعض المشاهد الخطرة التي تعرض لها بعض البرامج المتخصصة في بعض القنوات الفضائية، وكذلك ألعاب السرعة والسباقات الالكترونية المتوافرة في كثير من المنازل ومحلات الألعاب الالكترونية، مما أدى إلى ممارسة هؤلاء الطلاب بعض الممارسات المرورية المخالفة. وهذا يؤكد على أهمية بث قواعد السير على الطريق وقواعد السلامة المرورية في مناهج التعليم العام

جدول (١٢): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مكان السكن

فئات مكان السكن	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
قرية	٤٨٥	١,٨١	٠,٤٢
مدينة	٢٢٢	١,٨٦	٠,٣٩
غير ذلك (جبال، بادية...)	٨٤	١,٧٢	٠,٤٤
المجموع	٧٩١	١,٨١	٠,٤٢

جدول (١٣): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مكان السكن

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	١,٠٨٢	٢	٠,٥٤١	٣,١٣١	٠,٠٤٤
داخل المجوعات	١٣٦,١٩٥	٧٨٨	٠,١٧٣		
الكلي	١٣٧,٢٧٧	٧٩٠			

جدول (١٤): نتائج المقارنات البعدية بطريقة (شفيه) لمعرفة دلالة الفروق الزوجية بين متوسطات وجهات نظر أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب مكان السكن

فئات مكان السكن	المتوسط الحسابي	قرية	مدينة	غير ذلك
قرية	١,٨١			
مدينة	١,٨٦	٠,٠٥		
غير ذلك (جبال، بادية...)	١,٧٢	٠,٠٨	٠,١٣*	

جدول (١٥): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب ارتكاب الحوادث المرورية

فئات ارتكاب الحوادث	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
نعم	٣٤٥	١,٨٤	٠,٤٠	١,٥٥٠	٧٨٩	٠,١٢١
لا	٤٤٦	١,٧٩	٠,٤٣			

جدول (١٦): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لمعرفة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية حسب الحصول على قسيمة مخالفة مرورية

فئات الحصول على قسيمة مخالفة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
نعم	٤٢٦	١,٨٩	٠,٣٨	٥,٤٢٩	٧٨٩	٠,٠٠٠
لا	٣٦٥	١,٧٣	٠,٤٤			

لإكساب تلاميذ وطلاب مختلف مراحل التعليم العام، والطلاب في المرحلة الثانوية خاصة، هذه القواعد في سن مبكرة (الرويشد، ٢٠٠٩؛ النعمة، ٢٠٠٦).

ثانياً: مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

بيّنت نتائج السؤال الثاني فيما يتعلق بأثر متغير المستوى الدراسي وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات درجة التزام طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية لصالح الطلاب بمستوى (السنة الأخيرة). يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن مستوى اهتمام الأنشطة المدرسية في مدارس التعليم العام، وكذلك مستوى دور المعلمين ومشرفي الأنشطة المدرسية، بالتربية المرورية ما زالا أقل من المأمول قياساً بمستوى اهتمام جامعة جازان وسعيها لزيادة مستوى وعي طلاب الجامعة بها بالتدريج وصولاً إلى السنة الدراسية الأخيرة، سواء كان هذا الاهتمام من خلال المواد الدراسية الثقافية، أم من خلال الأنشطة والمحاضرات العامة والندوات الخاصة التي تنفذها عمادة شؤون الطلاب بالجامعة.

وفيما يتعلق بأثر متغير مستوى تعليم ولي الأمر فقد بيّنت نتائج السؤال الثاني وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية لصالح (جامعي فما فوق). يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن أولياء الأمور الجامعيين يدركون قواعد السير على الطريق ويلتزمون بها عند قيادة مركباتهم وينبهون إلى أهميتها وضرورة ممارستها مما جعل أبناءهم الطلاب في جامعة جازان يدركونها ويلتزمون بها بدرجة أكبر من التزام أبناء أولياء الأمور الذين يصنّفون في المستويات التعليمية الأخرى. كما يمكن أن تعزى هذه

النتيجة إلى أن أولياء الأمور الجامعيين وأبناءهم ينظرون إلى الالتزام بممارسات التربية المرورية عند قيادة المركبة على أنه سلوك حضاري يعكس المستوى الثقافي للأسرة، ويؤدي إلى تحسين صورتها في المجتمع.

وفيما يتعلق بأثر متغير مستوى تعليم الأم فقد بينت نتائج السؤال الثاني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥). يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى عدم ممارسة الأم قيادة المركبات، مما أدى إلى عدم معرفتها بقواعد السير على الطرق، وبالتالي أدى إلى ضعف تأثيرها في عملية زيادة مستوى وعي أبنائها بممارسات التربية المرورية.

وفيما يتعلق بأثر متغير مهنة ولي الأمر فقد بينت نتائج السؤال الثاني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥). يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن أولياء الأمور بمختلف المهن يتيحون أمام أبنائهم الطلاب في جامعة جازان فرصة ممارسة قيادة المركبات، وذلك لحاجة الأسرة إلى مساعدة الأبناء في تأمين احتياجاتها وتلبية متطلباتها، خاصة وأن أماكن عمل بعض أولياء الأمور تبعد عن مكان سكنى الأسرة، كما يحتاجونهم أحياناً في توصيل أمهاتهم لأماكن عملهن والتي قد تكون في محافظة غير مكان عمل ولي الأمر، لكن يبدو أن إتاحة هذه الفرصة لم يرافقه اهتمام أولياء الأمور بمتابعة أساليب أبنائهم في قيادة المركبات، وبتوجيههم إلى ضرورة الالتزام بممارسات التربية المرورية في قيادتهم.

وأما فيما يتعلق بأثر متغير مهنة الأم فقد بينت نتائج السؤال الثاني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥). تؤكد هذه النتيجة ما تمت الإشارة إليه في مناقشة ما يتعلق بمتغير مستوى تعليم الأم، حيث إن عدم معرفة الأم بقواعد السير على الطرق لعدم ممارسة قيادة المركبات قد أدى إلى ضعف تأثيرها في عملية توعية أبنائها بممارسات التربية المرورية، وفي تنمية اتجاهات إيجابية لديهم نحوها. لكن هذا لا يبرر للأم الموظفة، حيث تُتاح أمامها فرص أكثر من الأم غير الموظفة للخروج، خاصة أن خروجها يكون في أوقات ذروة قيادة المركبات وزحمة المرور والسير على الطرق والسرعة الزائدة للمركبات على الطرق الخارجية، وبالتالي زيادة فرص مشاهدتها العملية لحوادث المرور والوقوف على أسباب ونتائج حدوثها.

وفيما يتعلق بأثر متغير مكان السكن فقد بينت نتائج السؤال الثاني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لصالح الطلاب القاطنين في المدينة. يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى تعزيز الإجراءات الأمنية المرورية داخل المدينة أكثر مما هو عليه الحال في غيرها، وذلك من حيث تشديد مراقبة حركة المركبات وأساليب قيادتها، والتدقيق في رخص القيادة ومدى الالتزام بالقواعد المرورية وبالإشارات الضوئية والمعدنية، وعدم التهاون في تحرير المخالفات واتخاذ الإجراءات الصارمة بحق المخالفات الكبرى. ويمكن أن تعزى هذه النتيجة أيضاً إلى زيادة اهتمام الجهات المختصة بالتوعية المرورية وتنظيم الطرق وهندستها وتأثيثها في المدينة بشكل أكبر من الاهتمام بها في بيئات أخرى.

وفيما يتعلق بأثر متغير ارتكاب الحوادث المرورية فقد بينت نتائج السؤال الثاني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥). يمكن أن تُعزى هذه النتيجة إلى غياب الفعالية التي ينبغي أن تتوافر في حملات التوعية المرورية كالالتزام بشروطها من حيث تحديد موضوعها وشعارها وأبعادها ومراحلها وصياغة مضمون رسالتها ومحتواها وأسلوبها ومدتها ودعائمها ورصدها ومتابعتها بدقة متناهية (بوطالبي، ٢٠٠٦؛ الرشيدي، ٢٠٠٦)، وكالاهتمام بالأساليب غير المباشرة فيها بأن تكون رسائلها سريعة ومكتملة المضمون، واختيار مفرداتها من قيم المجتمع وأخلاقياته، وبما يتلاءم وثقافة المتلقي، والعمل على بثها وإذاعتها ونشرها بشكل متكرر، والتركيز على قيمة الإنسان وحياته أكثر من الجوانب المادية أو المالية المترتبة على الحوادث المرورية

(الحياري والإبراهيم، ٢٠٠٨). وقد بيّن (طالب، ٢٠١٠) أن النرويج تُعد مثالاً يُقتدى في مجال التوعية الوقائية من حوادث الطرق، حيث تنطلق في نشر المعلومات والمعارف بطريقة وأسلوب احترافي، وتستقي معلوماتها من الحوادث المرورية نفسها، ومن المعارف العلمية المتعلقة بالمرور والسلامة المرورية، وذلك بواسطة جهاز احترافي مختص (NPRA) في السلامة المرورية.

وفيما يتعلق بأثر متغير الحصول على قسيمة مخالفة مرورية فقد بينت نتائج السؤال الثاني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات درجة الالتزام بممارسات التربية المرورية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لصالح الطلاب الذين حصلوا عليها. يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى زيادة خبرة الطلاب الذين حصلوا على قسيمة مخالفة مرورية بممارسات التربية المرورية لمعرفتهم بالممارسات التي لم يلتزموا بها واستحقوا على ذلك الحصول على قسيمة مخالفة، وإلى إدراك الطلاب الذين لم يحصلوا على قسيمة مخالفة مرورية للنتائج التي تترتب على عدم الالتزام بممارسات التربية المرورية واتعاظهم بما أصاب غيرهم، مما أدى إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً في التزامهم بهذه الممارسات.

استنتاجات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة الحالية يستنتج الباحثان ما يلي:

- يلتزم طلاب جامعة جازان بممارسات التربية المرورية من وجهة نظرهم بشكل عام بدرجة متوسطة، وبمتوسط حسابي (١,٨١) وبانحراف معياري (٠,٤٢)، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية لوجهات نظرهم في التزامهم بهذه الممارسات بين (٢,١٦- ١,٤٩).

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى للمستوى الدراسي لصالح طلاب (السنة الأخيرة)، ولمستوى تعليم ولي الأمر لصالح (جامعي فما فوق)، ولمكان السكن لصالح (المدينة)، وللحصول على قسيمة مخالفة مرورية لصالح الذين (حصلوا على قسيمة مخالفة مرورية).

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات طلاب جامعة جازان لدرجة التزامهم بممارسات التربية المرورية تعزى لمستوى تعليم الأم، ولمهنة ولي الأمر، ولمهنة الأم، ولارتكاب الحوادث المرورية.

توصيات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة الحالية ومناقشتها، وطبيعة مجتمعها، يوصي الباحثان بما يلي:

- توصيات على مستوى التعليم العام: زيادة الاهتمام بالتربية المرورية في المناهج الدراسية بمراحل التعليم العام، والعمل على تأهيل معلميها ومشرفي الأنشطة الطلابية فيها من خلال إلحاقهم بدورات تدريبية وورش عمل مناسبة في مجال السلامة المرورية، والعمل على تعميم فكرة إنشاء ركن مروري بالمدارس يحتوي على اللوحات والإشارات المرورية والعلامات الأرضية وغيرها من المفاهيم المرورية، بهدف زيادة الوعي التربوي المروري لدى تلاميذها وطلابها.

- توصيات على مستوى مدارس تعليم السياقة: إعادة النظر بالخطة المنهجية وبالبرامج المتبعة في مدارس تعليم السياقة بالشكل الذي يُسهم في الاهتمام بدرجة أكبر بممارسات التربية المرورية التي تحددت في (قواعد السير على الطرق) الواردة في (المادة الخمسون) وتفريعاتها المرقمة بـ(٥٠) وتقسيماتها من نظام المرور واللائحة التنفيذية له بالمملكة العربية السعودية.

- توصيات على مستوى الإدارة العامة للمرور: القيام بتعميم نظام المرور واللائحة التنفيذية له على أولياء الأمور من مختلف مستوياتهم التعليمية، ومختلف مهنهم، وأماكن سكناهم، وتطوير آليات تكوين الشعور لديهم بأهمية الالتزام بقواعد وقوانين وآداب السير على الطرق وتقبّل التعليمات الخاصة بذلك، وزيادة الاهتمام بتوسيع دائرة مراقبتها للمركبات والنشاط المروري، وتفعيل المخالفات المرورية بدرجة أكبر، والتركيز على التوعية الإعلامية وفق الشروط والضوابط ذات الجدوى والفاعلية، بهدف إحداث التوازن في الوعي المروري لدى قائدي المركبات من مختلف المستويات التعليمية والمهن والبيئات

المكانية.

- توصيات على مستوى جامعة جازان: استمرار اهتمام جامعة جازان في النهوض بدورها في زيادة مستوى الوعي التربوي المروري لدى طلاب الجامعة، وإحداث تغييرات مرغوب فيها في أنماط الحركة وأسلوب قيادتهم المركبات صيانة للأنفس وحقناً للدماء وحفظاً للأموال، على أن يشمل ذلك جميع طلاب الجامعة بمختلف مستوياتهم الدراسية.

قائمة المراجع

الأمر السامي رقم ٣٨١٢/م ب وتاريخ ٥/٥/ ١٤٣١هـ.

برقية صاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية رقم ٢٦٩٥٠ وتاريخ ٢٦-١٤٣١/٤/٢٧هـ.

برقية وزير التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية رقم ٨١٥٣ وتاريخ ١٤٣١/٥/١٠هـ.

وزارة الداخلية، (٢٠٠٨م)، "نظام المرور واللائحة التنفيذية له"، الإدارة العامة للمرور، الرياض.

الإدارة العامة للمرور، (٢٠١٠م)، "إحصائيات الحوادث المرورية"، وزارة الداخلية، الرياض.

اسبيته، جهاد، (٢٠٠٦م)، "القيم التربوية في مدارس تعليم السياقة"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

جمال، عبد المحسن عبد العال، (١٩٩٧م)، "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

الحميدان، عايد علي، (٢٠٠٦م)، "الآثار الاجتماعية للحوادث المرورية"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

الحياري، خالد محمد والإبراهيم، محمد أحمد، (٢٠٠٨م)، "التربية المرورية لطلبة المدارس للفئة العمرية ١٢-١٨ عام"، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الخامس للسلامة المرورية بإدارة السير المركزية، عمان، خلال الفترة من ٢٢-٢٤/ ٤/ ٢٠٠٨م.

الرشيدي، علي ضبيان، (٢٠٠٦م)، "فعالية الحملات المرورية التوعوية"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

الرويشد، محمد سليمان، (٢٠٠٩م)، "قيم السلامة المرورية في مناهج التعليم العام"، المكتبة الإلكترونية: البحوث والأوراق العلمية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١-٢٢.

سعيد، محمود شاكر، (٢٠٠٧م)، "تقرير عن مؤتمر التعليم والسلامة المرورية"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، ٢٢، ٤٣: ٢٧١-٢٩٠.

السيف، عبد الجليل، (١٩٩٧م)، "تطور أساليب تنظيم إدارة المرور: جوانب نظرية وتطبيقية"، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض.

السيف، عبد الجليل وآخرون، (١٩٩١م)، "دراسة أسباب ارتفاع نسبة إصابات حوادث المرور في كل من منطقة مكة المكرمة والمنطقة الشرقية ووسائل تلافيها"، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض.

الشريف، حمود هزاع، (٢٠٠٦م)، "الآثار النفسية للحوادث المرورية"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

الشعوان، محمد، (١٩٩٧م)، "أسباب الحوادث المرورية"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

الشهراني، سعد علي، (٢٠٠٣م)، "اتجاهات الشباب نحو

مشكلة المرور: دراسة مسحية على طلاب التعليم الثانوي بالرياض"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، ١٨، ٣٥: ٣٠١-٣٥٤.

شويري، إلياس ميشال، (٢٠٠٦م)، "السلامة المرورية في لبنان"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

الصالح، ناصر عبد الله، (١٩٩٨م)، "حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة: العلاقات المكانية والاتجاهات الزمنية"، مركز بحوث العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

طالب، أحسن مبارك، (٢٠١٠م)، "سبل الوقاية من حوادث المرور"، المكتبة الإلكترونية: البحوث والأوراق العلمية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١-٥٤.

بو طالبي، الهاشمي بوزيد، (٢٠٠٦م)، "فعاليات حملات التوعية المرورية"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

العبودي، صالح، (٢٠١٠م)، "العوامل النفسية لحوادث المرور"، المكتبة الإلكترونية: البحوث والأوراق العلمية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٣٧- ١٥٠.

أبو علوش، منير والبلاونة، سهى والجلامدة، فرح، (٢٠٠٩م)، "دور التوعية المرورية في الحد من حوادث الأطفال"، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الرابع للبحث العلمي، عمان، خلال الفترة من ٢٢-٢٤/ ٤/ ٢٠٠٨م.

الغامدي، محمد سعيد والغامدي، سعيد فالح، (٢٠٠٦م)، "الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير: دراسة استطلاعية بمحافظة جدة"، مركز بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

المالكي، مرضي راضي، (٢٠٠٦م)، "القيم التربوية في مدارس تعليم السياقة"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

محمد، عصام محمد إبراهيم، (٢٠٠٨م)، "حوادث الطرق في مصر: دراسة أمنية مكانية"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، ٢٣، ٤٦: ٣٠١-٣٥٧.

المطير، عامر ناصر، (٢٠٠٥م)، "استخدام بعض المؤشرات الإحصائية في خطورة الحوادث المرورية"، المكتبة الإلكترونية: البحوث والأوراق العلمية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١-٣٤.

المقبل، عبد الله عبد الرحمن، (٢٠٠٠م)، "وزارة المواصلات ودورها في تحسين السلامة المرورية"، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة النقل البري بين الماضي والحاضر بجامعة الملك عبد العزيز، جدة.

منصور، محمد السيد، (٢٠٠٩م)، "العوامل المسهمة في الوقوع في حوادث المرور كدالة لبعض متغيرات الشخصية"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ١٠، ٢: ٥٩-٨٦.

المنظمة العربية للسلامة المرورية، (٢٠١٠م)، "إحصائيات الحوادث المرورية"، المنظمة العربية للسلامة المرورية، تونس.

الناصر، فهد عبد الرحمن، (٢٠٠٥م)، "الأبعاد النفسية والاجتماعية للحوادث المرورية"، المكتبة الإلكترونية: البحوث والأوراق العلمية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١١١-١٤٤.

النافع، عبد الله والسيف، خالد، (١٩٩٨م)، "تحليل الخصائص النفسية الاجتماعية المتعلقة بسلوك

قيادات السيارات بالمملكة"، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض.

النعمة، محمد واحد، (٢٠٠٦م)، "أهمية السلامة المرورية في المرحلة الثانوية"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التعليم والسلامة المرورية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، خلال الفترة من ٢٠-٢٢/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١- ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

هاكوز، داود، (٢٠٠٧م)، "أسباب عدم التزام المواطن الأردني بقواعد قانون السير"، إدارة السير المركزية، عمان.

هنوش، محمد والهويدي، عزام والجلامدة، فرح، (٢٠٠٨م)، "سلوكيات سائقي النقل العام وعلاقتها بالحوادث المرورية"، إدارة السير المركزية، عمان.

يوسف، إبراهيم، (١٩٩٤م)، "الإشكالية الثقافية لظاهرة حوادث المرور"، ورقة عمل مقدمة إلى الحلقة الدراسية سلامة الطرق والحد من الحوادث المرورية، منظمة عواصم المدن الإسلامية، أنقرة.

Burcu، E. (2005)، "Road traffic accidents and disability: A cross-section study from Turkey"، Disability and Rehabilitation، 27، 21: 1333-1338.

Carrion، L، Morales، D. and Barroso، Y. (2005)، "Driving with cognitive deficits: Neurorehabilitation and legal measures are needed for driving again after severe traumatic brain injury"، Brain Injury، 19، 3: 213-219.

Davids، H. (2006)، "Sleep disorders، breathing and continuous positive airway pressure compliance in a group of commercial bus drivers in Hong Kong"، Respirology، 11، 6: 723-730.

Diefenbaker، J.، Oetting، E. and Lynch، R. (1994)، "Development of driving anger scale"، Psychological Reports، 74: 83-91.

Marcotter، T، et al (2006)، "Visual attention deficits are associated with driving accidents in cognitive infected individuals"، Journal of Clinical and Experimental Neuropsychology، 28، 1: 13-28.

Mckenna، F. and Horswill، M. (2006)، "Risk Taking from the participant، s perspective: the driving and accident risk"، Health Psychology، 25، 2: 163-170.

Nancy، N and Anderea، P. (2006)، "Assessment of insight and self – awareness in older drivers"، Psychological Reports، 51: 34-42.

Sanchez، M and Angels، Q. (2005)، "Prevention of traffic accidents: the assessment of perceptual-motor alteration before obtaining driving license: A longitudinal study of the first years of driving"، Brain Injury، 19، 3: 189-196.

The Level of Commitment of Jazan University Students (K.S.A) for Practicing Traffic Education as it Appears in Saudi Traffic Rule and its Implemented Regulation From Their Viewpoints.

A. Y. Arishi[1] and W. A. Al-Tal[2]
[1] Faculty of Arts and Humanities, Jazan University, K.S.A.
[2] Faculty of Education, Jazan University, K.S.A.

Abstract

The study aims at identifying the level of commitment of Jazan University students، for practicing traffic education as it appears in Saudi traffic rule and its implemented regulation of their viewpoints، and exploring effect of their viewpoints with classifiable variables' difference of the study. A questionnaire was formed of (95) items and distributed into intended sample concerned with owning or driving a private car، as well as a random sample with regard to the study variables. Fittingly، the random sample was formed of (791) students. The study reveals the following findings out:

- the individual sample 's commitment of practicing traffic education is average.
- there are statistical and indicative differences between the means of students' viewpoints for level of their commitment of such practice for the academic level attributed to the advantages of the (final year students)، the guardians' education level (post graduation)، living in towns، and getting a voucher for a traffic violation (for those who got it).
- there are no statistical and indicative differences attributed to mother' education، guardian's occupation، mother's job، and commission of traffic accidents.

Keywords: Higher Education، educational awareness، traffic education، rule، traffic، regulation، University، Jazan، Saudi Arabia.

"عبيد الشعر" هل كانوا عبيدًا للشعر؟

مختار سيدي الغوث
قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

درس هذا البحث ما نُسب إلى بعض الجاهليين من تعاهُد الشعر وطول تنقيحه، فبيَّن أن مصدر ذلك عبارةٌ، نسبها الجاحظ إلى الأصمعي، ثم توسَّع فيها خالفوه، حتى جعلوا بعض الشعراء يقول القصيدة في حول. وبنى المحدَثون على ما قال الأولون، على ما فيه من مبالغة وقلة تحقيق، فزعموا أنهم كانوا يمثلون مدرسة ذات مذهب مميز، يظهر في طول الأناة، واتخاذ الشعر صناعة، وعدم إرسال النفس على السجية، والنزوع إلى التصوير الحسي. فبيَّن البحث أن حياة الشعوب البدائية، ومنها عرب الجاهلية، قائمة على البساطة، وعدم التأنق، والرضا بالعفو، وأن مناسبات شعر الجاهليين لم يكن فيها ما يُنْظِر تلك المدة المزعومة، وأن شعر عبيد الشعر لا يختلف عن شعر المطبوعين، من حيث التفاوت، والاشتمال على كل ما أُخذ على المطبوعين من العيوب، وتنقيحٌ لا يقي هذا ونحوَه لا معنى له. أما إجادتهم فمردها إلى الموهبة والطبع؛ فإن طول التنقيح ليس شرطَ الإجادة، ولا هي أثرٌ له، بالضرورة. ولم يكن بين عبيد الشعر من العلاقة الفنية إلا ما كان بين سائر شعراء الجاهلية، من التوافق في بعض الصور والمعاني والألفاظ، وهو توافق مرده إلى البداوة والأمية، ووحدة البيئة الثقافية، ورواية بعضهم أشعار بعض. أما الحسية فسمة من سمات الشعر الجاهلي كله.

الكلمات المفتاحية: عبيد الشعر – مدرسة عبيد الشعر – التنقيح – التكلف – الطبع والصنعة – الشعر الجاهلي – زهير بن أبي سلمى – كعب بن زهير – الحطيئة – أوس بن حجر.

مُقدّمة

عبودية بعض الجاهليين للشعر موضوع أبدأ فيه الأولون وأعادوا، وردَّد مؤرخو الأدب العربي ودارسوه، في العصر الحديث، ما قالوا، واشتغلوا عن تمحيصه بالاحتجاج له، وادَّعوا أن بين عبيد الشعر من العلاقة الفنية ما ليس بينهم، وبنوا ذلك على ما رُويَ من أن بعضهم روى عن بعض، وعلى توافق بعضهم في بعض المعاني والألفاظ. ومصدر هذه الدعوى قولة نسبت إلى الأصمعي، توسَّع فيها خالفوه من النقاد، وأضافوا إليها كل ما نَسبوا إلى "عبيد الشعر" من طول التنقيح، وما بنوا عليه تمييزهم من الشعراء المطبوعين. وقد تبين لي من الدرس والبحث أن القضية لم تُبْنَ على أساس علمي، ولم تنل من التحقيق ما هي أهله، وأن المحدثين بالغوا فيها مبالغة أخرجتها عن حدودها، كما ينبغي أن تُفهم من قول الأصمعي؛ فرأيت أن يكون هذا البحث الذي اعتمدت فيه أن أُبين عن حقيقة ما قيل في "عبيد الشعر" قديما، وما بُني عليه حديثا. وقد بدأته بعرض ما قيل فيهم عرضا مقرونا بالتحليل وبيان ما استند إليه، وعرضت من حياتهم وحياة العرب في زمانهم ما قد يكون فيه دليل على عدم صحة عبوديتهم للشعر، ودرست شعرهم، فميزت ما صح منه مما هو منحول، وبيَّنت ما في الصحيح من الأدلة على أنه مطبوع، ودرست العلاقة الفنية بين أشعارهم، فبيَّنت أن الباقي منها لا يمثل مذهبا فنيا مميزا، وأن ما بينهم من التوافق أو التشابه يقع مثله بين شعراء الجاهلية كافة، وأن مردَّ ذلك إلى أمور غيرِ التي ظن المؤرخون. وخصصت بالدراسة شعر زهير والحطيئة؛ لأن عبوديتهما للشعر مما اتفق عليه، ولأن الباقي من شعرهما أصح مما نسب إلى غيرهما، وذلك أدعى إلى أن يكون ما يبنى على دراسته صحيحا. وخُتِمَ البحث بمناقشة مفصلة لما عُرِض من أقوال الأولين والآخِرينَ التي لم ينلها في العرض ما يكفي من المناقشة.

آراء النقاد والمؤرخين

ربما كان أقدم نصٍّ ورد فيه مصطلح "عبيد الشعر" قول الأصمعي الشهير: "زهير والحطيئة وأشباههما عبيد

البريد الإلكتروني: drmktar3@gmail.com
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

الشعر"[١]، "الحطيئة عبد شعره"[٢]. ولم أقف في المأثور من أقوال الأصمعي وأخباره على بيان منه لمعنى ذلك، ولا الوجه الذي بناه عليه، إلا عبارةً اضطربت فيها نُسَخ "البيان والتبيين"، ربما كانت من كلامه، هي: "لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم، حتى أدخلهم باب التكلُّف، وأصحاب الصنعة، ومَنْ يلتمس قهر الكلام، واغتصاب الألفاظ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهوا رهوا، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا، وإنما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي، ورؤبة؛ ولذلك قالوا في شعره (النابغة): مُطْرَفٌ بآلاف، وحِمارٌ بِوَاف"[٣]. فعبودية الشعر عنده هي: استفراغ المجهود في عمل الشعر وإخراجه على أمثل ما في وسع الشاعر أن يأتي به، سالما مما يكون في شعر المطبوعين من التفاوت. وهذا -فيما يبدو- تخيُّل لما كان يفعل زهير والحطيئة، حين يقرضان الشعر، مبني على ما يَرى من أن شعرهما كان كله "متخيرا منتخبا، لمكان الصنعة والتكلف، والقيام عليه"[٤]، وإن لم يترك ذلك فيه آثارا مما يكون -عادة- في متكلَّف الشعر، من كثرة "الضرورات، وحذْف ما بالمعاني حاجة إليه، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه"[٥]، وأنك "ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره، ومضموما إلى غير لِفْقِه"[٦]. وفحوى هذا أن التكلف هنا صفة، تدل على "التعهد والتنقيح، بشرط ألا يظهر ذلك في النص"[٧]، وهو أمر يصعب تصوره، ولا سيما إذا كان الذي يقوله لم ير "المتكلِّف" وهو ينظم، ولا روى عمن رآه. وكان ابن قتيبة أكثر موضوعية من الأصمعي فيما قال في المطبوعين، بغض النظر عن صحة فهْمه للطبع والمطبوعين، والتكلف والمتكلفين، فقد بنى كلامه على آثارٍ ماثلة في أشعارهم، وأدلة مروية عمن رآهم وهم ينظمون: "المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبيَّنتَ على شعره رونق الطبع، ووشي الغريزة، وإذا امتُحن لم يتلعثم"[٨]، ومثَّل بما رُوِيَ عن الحسين بن مطير، والشماخ بن ضرار، ورُجَّاز من بني سعد. وخالف الأصمعيَّ، فسوَّى بين الشعراء في تفاوت الشعر، ولم يخصص به مطبوعا دون متكلف: "ولا أرى غير الجعدي في هذا الحكم إلا كالجعدي"[٩]، وفسَّره باختلاف دواعي قول الشعر، وقال إنه يعرض للشاعر الواحد، فيجود بعض شعره دون بعض[١٠]. ولكنه لم يبين كيف يتكلف الشاعر، إلا قوله إن المتكلِّف: "هو الذي قوَّم شعره بالثقاف، ونقَّحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر"[١١]، وهو قول الأصمعي بعينه.

وعرض الجاحظ، للتنقيح، فلم يسْلم ما قال فيه من التعميم والاضطراب، واقتصر -في الجملة- على قول الأصمعي، وما فَهِم من قول بعض الشعراء، ولم يبيِّن ما كان يكون فيه التنقيح من الشعر، ولا الأدلة التي استدل بها على تنقيح "عبيد الشعر"، إلا ما رأينا آنفا من تفسيره لكلام الأصمعي، فقال إن زهيرا كان "يسمي كبار قصائده الحوليات"[١٢]، وإن "من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا، وزمنا طويلا، يردِّد فيها نظره، ويُجيلُ فيها عقلَه، ويقلِّب فيها رأيه، اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوَّله الله -تعالى- من نعمته، وكانوا يسمُّون تلك القصائد: الحوليات، والمقلَّدات، والمنقَّحات، والمحْكَمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا، وشاعرا مفلقا"[١٣]. وقال إن التجويد كان خاصا بطوال المدائح: "ومن تكسَّب بشعره، والتمس به صلات الأشراف والقادة، وجوائز الملوك والسادة، في قصائد السماطين، وبالطوال التي تنشد يوم الحفل لم يجد بدًّا من صنيع زهير والحطيئة، وأشباههما، فإذا قالوا في غير

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٥، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ١/ ٢٠٤، وانظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ١/ ٧٨.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٠٦.
(٣) الجاحظ،البيان والتبيين، ٢/ ١٣.
(٤) الجاحظ،البيان والتبيين، ١/ ٢٠٦.
(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٨٩.
(٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٩٠.
(٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٩١.
(٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٨٢.
(٩) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٨٢.
(١٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٧٨.
(١١) صمُّود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس، تونس، الجامعة التونسية، ١٩٨١ م، ٣٢٣.
(١٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٠٤.
(١٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ٩.

ذلك أخذوا عفو الكلام، وتركوا المجهود"[١٤].

وتتابع الذين جاؤوا بعد الأصمعي والجاحظ على تقرير ما قالا، فقال ابن جني إن شعر العرب القديم لم يكن مرتجلا كله، بل كان يعرض للشعراء فيه من الصبر عليه، والملاطفة له، والتلوُّم عليه ورياضته، وإحكام صنعته، نحوٌ مما كان يعرض لكثير من المولدين، ولكنه اقتصر على التمثيل بزهير، كما اقتصر عليه مَنْ قبله، فقال إنه عمل سبع قصائد في سبع سنوات، فكانت تسمى حوليات زهير؛ لأنه كان يحوك القصيدة في سنة[١٥]. ولعله لو عرَفَ غيرَ زهير لذكره، فضلا عن أنه لم يسند ما قال، كما لم يسنده الأصمعي والجاحظ، إلا أن الأصمعي لم يذكر أن زهيرا خص بالتنقيح بعض شعره دون بعض، ولا حدد لتنقيحه مدة؛ فمن ثم كان أمثل؛ إذ اقتصر على إبداء رأيه، من ابن جني؛ إذ عمد إلى ترداد ما يشاع، من غير دليل. وقد اجتهد ابن جني في تقرير أن العرب لم يكونوا يختلفون عن المولدين، في الارتجال والتنقيح، وإن لم يكن في جل ما استشهد به دليل على ما أراد، فقد ذكر إجبال ذي الرمة حولا[١٦]، وإقامة الكميت برهة لا يهتدي إلى ما يتم به بيتا، استهل به قصيدته[١٧]، ثم قال: "ومثل هذا في أشعارهم الدالة على الاهتمام بها، والتعب في إحكامها كثير معروف"[١٨]. ولم يميز التعب، من أجل الإحكام، من مُكْث الشاعر حولا مُرْتَجًا عليه، لا يهتدي لشيء، فهذا عِيٌّ وعجْزٌ عن إتمام، وذاك تأنُّق فيما قد واتى. أما ما استشهد به من كلام الشعراء، فليس فيه ما يدل على اشتغال بالتنقيح خاصة، وإنما هو بيان لطريقتهم في نظم الشعر، وتقويم ما يعتريه من عيوب الوزن والقافية[١٩]، فحسْب، ولكنه -مع ذلك- عقَّب على ما أورد من أقوال الشعراء بأن "هذا -كما ترى- مزاولة ومطالبة واغتصاب لها، ومعاناةُ كلفةٍ بها"[٢٠]. وكان فيما ذهب إليه مدفوعا بالاحتجاج لرأي شيخه أبي علي الفارسي في جواز أن يركب المولدون من الضرائر ما ركب غيرهم من شعراء العرب[٢١]، على خلاف ما يرى بعض النحويين. ثم تابعه أبو هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي، فقال أبو هلال إن التنقيح كان دأب طائفة من حذَّاق الشعراء القدامى والمحدثين، وإن زهيرا كان يعمل القصيدة في ستة أشهر، ويهذبها في ستة، ثم يظهرها، وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر، وينظر فيها ثلاثة أشهر، ثم يبرزها[٢٢]. وسوف نرى ما قال ابن سنان. وقدَّر ابن رشيق نظم الشاعر للقصيدة بليلة أو ساعة، ثم "ربما رصد لها أو قاتَ نشاطه، فتباطأ عمله لذلك"[٢٣]، أي إن تنقيحه ما كان يستغرق ما قال الجاحظ ومن تابعه، فإنَّ طول الزمن، مع قلة الاشتغال بالتنقيح، لا يختلف عن قِصَره مع الجدِّ فيه. وقدَّر ابن أبي الإصبع المصري نظم زهير للقصيدة بشهر، وتنقيحها بحولٍ، وقدَّر للحطيئة شهرين في النظم، وشهرين للتنقيح[٢٤]، فالمجموع أربعة أشهر. كما قدَّرها أبو هلال، وإن اختلفا في توزيعها. وعنه نقل البغدادي -فيما يبدو- ما قال في زهير[٢٥]. وروى الأصفهاني أن مروان بن أبي حفصة كان يقول القصيدة في أربعة أشهر، ويحككها في أربعة، ويعرضها في أربعة[٢٦]. وتابعه ابن جني، أو وافقه[٢٧]. ولم يكن مروان معدودا في عبيد الشعر، ولا كان جاهليا، لكنه نال نصيبه من هذا التقدير، لأسباب سوف نعرفها.

ولا يخفى أن تقدير المدد اجتهاد من المقدِّرين، كما يبدو من هذا الخلاف، وأن ابتداءه كان في القرن الثالث أو الرابع الهجريين، وأن ابن جني وأبا الفرج الأصفهاني

(١٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٣ وما بعدها.
(١٥) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الكتاب، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، ١/ ٣٢٥.
(١٦) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٥.
(١٧) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٦.
(١٨) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٧.
(١٩) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٥ وما بعدها.
(٢٠) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٦.
(٢١) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٣.
(٢٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ١٤١.
(٢٣) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م، ١/ ١٣٩.
(٢٤) ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، المكتبة الشاملة، ٨٥.
(٢٥) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت، ٢/ ٣٣٥.
(٢٦) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٤.
(٢٧) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٤.

من أقدم من نقله، أما الأصمعي الذي هو أقدم من نسب زهيرا والحطيئة إلى العبودية للشعر، فلم يذكر ما كانا يقضيان في النظم والتنقيح، ولا ذكر أن لزهير قصائد تسمى الحوليات. ولم أر قَبل الجاحظ من حدَّد النظم بمدة سوى ما ورد في بيت لسويد بن كراع، وما نسب الجاحظ إلى نوح بن جرير من أنه قال إن الحطيئة هو القائل: "خير الشعر الحولي المنقح"[٢٨]. وهذه طبيعة الأخباريين الذين لا يتقيدون بالوقائع التاريخية: يبنون ما يصنعون على القول يحتمله، ولو احتمالا بعيدا أو ضعيفا، ثم يتوسع فيه المتأخر توسُّعَ من لا يتحرج من المبالغة والتزيد.

ولم يتنبه أبو هلال إلى أن مما يحتاج إلى مسوغ أن يُمْضي زهير حولا في قصيدة، ويمضي فيها الحطيئة أربعة أشهر، ولا يمضي فيها أبو نواس سوى ليلة واحدة[٢٩]، مع ما بينهم من التفاوت في السليقة، والتمكن في اللغة، كما لم يفطن إلى ما بين أبي نواس والحطيئة من التشابه في قصر القصائد، مع أنه نقل ما نسب إلى الحطيئة من عدم الإطالة[٣٠]، وعزا قصر قصائد أبي نواس إلى التنقيح[٣١]. ولو صح هذا لكان الحطيئة دون أبي نواس في طبعه ومقدرته الفنية وشاعريته، وهو شيء ربما لا يراه أبو هلال. وقد تناقض أبو هلال في الحطيئة من حيث لا يدري، فقال في موضع آخر من كتابه: "والكلام إذا خرج في غير تكلف وكدٍّ وشدة تفكُّر وتعمُّل كان سلسا سهلا، وكان له ماء ورواء ورقراق، وعليه فِرِنْد، لا يكون على غيره مما عَسُر بروزه، واستُكرِه خروجه، وذلك مثل قول الحطيئة:

هُمُ القومُ الذين إذا أُلِمت
مِنَ الأيام مُظْلِمَةٌ أَضَاءُوا

وقوله:

لهمْ في بني الحاجاتِ أَيْدٍ كأنَّها
تَسَاقُطُ مَاءِ المُزْنِ في البَلَدِ القَفْرِ"[٣٢]

فالحطيئة هنا مطبوع، يخرج شعره سهلا سلسا، وهو هناك يقول القصيدة -على قصرها- في أربعة أشهر. وإذا كان في وسع الحطيئة أن يبلغ من الإجادة ما بلغ في هذين البيتين، من غير تنقيح ولا تعمُّل، فلم لا يكون في وسعه ذلك في شعره كله؟ وما الحاجة إلى التنقيح إذا كان في الوسع درَك البغية بدونه؟!

وفسَّر ابن رشيق عبوديتهم للشعر بأنهم يتكلفون إصلاحه، ويشغلون به حواسهم وخواطرهم[٣٣]، ولكنه قال إن "العرب لا تنظر في أعطاف شعرها، بأن تجنِّس، أو تطابق، أو تقابل، فتترك لفظة للفظة، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكنَّ نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسْط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض"[٣٤]. ومثَّل بأبيات للحطيئة وأبي ذؤيب الهذلي، على مجيء الأبيات مستوفية للمعنى، منسوقا بعضها على بعض، لأن ذلك من حسن الصنعة، ومما كان يُعنَى به العرب في تثقيف الشعر[٣٥]، ولم يلتفت إلى الجانب الفني في الأبيات غيرَ ما ذكر، مع أن بعضها -كأبيات الحطيئة- ليس من أجود شعره، إن سُلِّم بأنها له. إلا أن رأيه هذا يخالف ما روي عن ذي الرمة من تخيُّر الألفاظ، والسهر في تطلُّبها[٣٦]. ولعل ما نفى عناية العرب به هو البديع، لا إحلال اللفظ محل اللفظ، يكون أمثلَ منه وأشدَّ إبانة عن المراد.

وعني بعض الأخباريين والنقاد ببيان العلاقة التاريخية بين عبيد الشعر، وبينهم وبين بعض من رووا عنهم، وأسند بعض الأخباريين ما قال في تلك العلاقة، واقتصر النقاد على إيراده دون ذكر مصدره، فروى محمد بن سلام، عن يونس، عن أبي عمرو بن العلاء أن زهيرا كان راوية أوس بن حجر[٣٧]، ونقل عن أبي علي الحرمازي أنه كان زوجَ أمه[٣٨]، ونقل ابن رشيق أن زهيرا روى عن طفيل

(٢٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٠٤.
(٢٩) العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١٤١.
(٣٠) العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١٧٤.
(٣١) العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١٤١.
(٣٢) العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١٧١.
(٣٣) العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١٧١.
(٣٤) العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١/ ١٢٩.
(٣٥) العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١/ ١٣٠.
(٣٦) انظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، ٢٣٣، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢/ ٢٥٠.
(٣٧) ابن سلام، محمد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ١/ ٩٧. وانظر: القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، بيروت، دار القلم، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، ١٦.
(٣٨) طبقات فحول الشعراء، ١/ ٩٨.

الغنوي[٣٩]، ولعله إنما عوَّل على ما ورد في ديوانه[٤٠] المنسوب إلى الأصمعي: "أَخَذَ كلُّ الشعراء من طفيل، حتى زهير والنابغة"، ولكن الأخذ لا يقتضي الرواية. وذكر ابن سلام[٤١]، وابن قتيبة[٤٢]، وأبو الفرج الأصفهاني[٤٣] أن الحطيئة كان راوية زهير وآل زهير. وزاد الأصفهاني أن كثير عزة روى عن جميل، عن هدبة بن خشرم، عن الحطيئة، عن زهير[٤٤]، وإن لم يذكر هو ولا غيره أن هدبة وجميلا وكثيرا كانوا يسيرون بسيرة زهير في عبادة الشعر، أو تأثروا بمذهبه الفني، لكن ذلك قد يفهم ضمنا من روايتهم عنه، كما روى عنه الحطيئة. وعدَّ ابن رشيق النابغة الذبياني في عبيد الشعر، وعدَّ منهم "طفيلا الغنوي،... وكان يسمَّى محبِّرًا لحسن شعره، ومنهم الحطيئة، والنمر بن تولب، وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء الكيِّس"[٤٥].

وبنى طه حسين على هذه الآراء والروايات، مع عدم ثقته بأخبار زهير وأوس؛ لأنها -في نظره- أقرب إلى الأساطير[٤٦]، فسلَّم بما قال الأصفهاني من رواية كثير عن جميل، عن الحطيئة عن زهير، إلا أنه أسقط هدبة[٤٧]، وأضاف النابغة إلى عبيد الشعر[٤٨]، كما أضافه ابن رشيق، وقال إن ما بقي من شعر زهير يصدِّق المعروف من سيرته، ويحقق ما تحدَّث به الرواة: فـ"حين نقرأ هذا الشعر نحس فيه العمل، ونتبين فيه الصنعة، ولا نشك في أن صاحبه قد تكلَّف في إنشائه وتجويده جهدا غير قليل"[٤٩]. ولا يخرج قوله هذا عما قد رأينا من قول الأصمعي المتقدم. وجعل عبيدَ الشعر مدرسة، وتنقيحهم مذهبا، يرثه التلميذ عن الأستاذ، ومؤسس المدرسة أوس بن حجر، "ورفع أمرها زهير، وكان يريد أن يفرض هذه المدرسة على البيئة التي كان يعيش فيها فرضا، فهو يستعين بكعب على ذلك، ويحمله على أن يقول الشعر، يفضِّل فيه نفسه، ويفضِّل فيه الحطيئة، ويزعم لنفسه وللحطيئة التفوق في الإجادة والانفراد والإتقان"[٥٠]. أما أصول المذهب، فطول الأناة، وعدم الاندفاع مع السجية، واتخاذ الشعر صناعة، والاعتماد على الحواس في إخراج الصور الشعرية، وكان ذلك بارزا في شعر أوس، خاصة، وكان زهير أحرص عليه من أستاذه؛ لأنه يتخذ هذا الأسلوب طريقا إلى وصف المعاني وعرضها على السامع[٥١]. وجعل كلَّ وصف مادي في الشعر الجاهلي متأثرا بهذا المذهب، أو منتميا إليه، كوصف النابغة للناقة، وتشبيهها بالثور الوحشي، فـ"هو بعينه القصص الذي تراه عند أوس وزهير، معتمدا على الصور المادية"[٥٢]، مع أن زهيرا لم يصف بقر الوحش فيما صح من شعره، أما القصيدة التي يشير إليها طه حسين، فمصنوعة، والوصف فيها يختلف عن وصف أوس، ولا يتوافقان إلا في الفكرة العامة (تشبيه الناقة بالثور، وصراع الثور والكلاب)، والتوافق في الفكرة العامة والغرض ليس مما ينبغي أن يستدل به على وحدة المذهب؛ لأنه يقع في الشعر كله، ويقال مثل ذلك في توافي الشعراء على المعنى ونحوه، الذي جعله أيضا دليلَ وحدة المذهب[٥٣]. أما الناقة فلم يصفها زهير إلا في الهمزية التي يرى طه أنها، كلها أو أكثرها، منحولة[٥٤]. وكان ربما تكلَّف وجه شبه بين شعر زهير وكعب والحطيئة، من أجل أن يثبت وحدة مذهبهما، كما تكلف وجه الشبه بين قول الحطيئة:

وقد نَظَرْتُكمُ أَعشاءَ صادرةٍ
للخِمْسِ طالَ بها حَوْزي وتَنْساسِي

وقول زهير:

رَعَوْا ما رَعَوْا من ظِمْئِهِمْ ثم أَوْرَدوا
غِمارًا تفرَّى بالسِّلاحِ وبالدَّمِ

فإن زهيرا -في نظره- أراد أن يصور اضطراب عبس وذبيان بين الحرب المهلكة، والسلم المدخولة، فشبه ذلك

(٣٩) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ٣٦٣.
(٤٠) طفيل الغنوي، ديوانه، ٢١.
(٤١) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٠٤.
(٤٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ١٤٣ و ٣١٠.
(٤٣) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ط. الساسي، ٢/ ٤٤.
(٤٤) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٧/ ٧٣ و ٢١/ ١٦٩ و١٧٧.
(٤٥) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ١٣٢.
(٤٦) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ط١٨، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٥ م، ٢٨٢ و٢٦٩ و٢٩٠.
(٤٧) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٨٣.
(٤٨) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٣٠٢.
(٤٩) حسين، طه، حديث الأربعاء، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤م، ٩٤.
(٥٠) حسين، طه، حديث الأربعاء، ١٣١.
(٥١) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٨٨ و ٢٨٤ و ٢٩١.
(٥٢) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٣٠٢ -٣٠٤.
(٥٣) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٩٢.
(٥٤) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٨٥.

بما يكون من رعي الإبل، ثم ورودها الماءَ، ثم انصرافها إلى المرعى، وكذلك فعل الحطيئة[٥٥]. ولم يُرِد الحطيئة أكثر من تشبيه صبره على الزبرقان، وطول انتظاره أن يفيء إلى رشده بطول تعشية الإبل الصادرة للخِمس في المرعى، وأراد زهير أن عبسا وذبيان كَفُّوا عن الحرب، واشتغلوا بالإعداد لها، ثم عاودوها، ثم كفوا عنها ثم أخذوا في الإعداد لها، وشبَّه ذلك بصدور الماشية إلى المرعى، ثم عودتها إلى الماء، ثم صدورها مرة أخرى. وقال إن وصف النابغة للدار مطبوع بطابع "المدرسة"، كما يبدو من توافق قوله:

إلا الأثافيَ لأيًا ما أُبَيِّنُها
والنُّؤْيَ كالحوضِ بالمظلومة الجَلَدِ

وقول زهير:

وقفْتُ بها من بعْدِ عشرينَ حِجَّةً
فلأْيًا عرفتُ الدارَ بعْدَ توهُّمِ،
أثافيَ سُفْعًا في مُعرَّسِ مِرْجَلٍ
ونُؤيًا كجِذْم الحوضِ لم يَتَثلَّمِ

وتوافق قول النابغة:

ردَّتْ عليه أقاصِيه ولبَّده
ضربُ الوليدةِ بالمِسحاةِ في الثَّأَدِ

وقول الحطيئة:

رأتْ عارضا جَوْنًا فقامت غريرة
بمِسْحاتها قبلَ الظلامِ تُبادِرُهْ
فما برِحتْ حتى أتى الماءُ دونَه
وسُدَّت نواحيه ورُقِّع دابرهْ[٥٦]

ولا ريب في أن هنالك تأثرا بينا، ولكن هذا ونحوه، بل أكثر منه، كثير في شعر العرب، وليس مرده إلى وحدة المذهب.

وتابع طه حسين مَنْ عرَضوا لعبيد الشعر من مؤرخي الأدب، في كل ما قد رأينا، مع شيء من المبالغة[٥٧]، فكان من المتابعين شوقي ضيف، واتَّسم ما قال بالتعميم، بالإضافة إلى المبالغة، فقال إن الحياة الأدبية في العصر الجاهلي كانت معقدة، شديدة الالتواء، وإن الجاهليين كانوا يتكلفون في شعرهم فنونا من التكلف، ويلقون من صناعته عنتا وشدة[٥٨]. وقرر صحة ما ذهب إليه جويدي (Guidi) من أن "قصائد القرن السادس الميلادي الجديرة بالإعجاب تنبئ بأنها ثمرة صناعة طويلة"[٥٩]، واستدل على ذلك بما في لغتها ونحوها وتراكيبها وأوزانها من كثرة القواعد والأصول[٦٠]، كما استدل بألقاب بعض الشعراء والقصائد، كمهلهل، ومحبِّر، والكيِّسَ، والنابغة، والمرقش، والفحل، والمثقِّب، والمنخِّل، والمتنخِّل، والأفوه، و"اليتيمة"، و"السُّموط"،و"الحوليات"، و"المقلَّدات"، و"المنقَّحات"، و"المحْكَمات"[٦١]. واستدل على صنعة زهير بأنه كان يُعنى بتحقيق صوره، فلا يأتي بها متراكمة، كما يصنع امرؤ القيس، بل يعمد إلى تفصيلها وتمثيلها بجميع شعبها وتفاريعها، كأنما يبحثها ويحققها[٦٢]. ويرى أن أروع الأدلة على تكلف زهير أنه كان إذا تناول موضوعا مطروقا، كوصف الإبل والأطلال، عمد إلى ألفاظ غريبة، فإن عرض لموضوع غير مطروق، كالحكمة والمدح، لم يُعْنَ باللفظ الغريب، وإنما يكتفي بغرابة المعاني الجديدة، وهذا يعني أنه يبحث عما في وسعه من الطرائف، ليضيفها إلى فنه[٦٣]. وعدَّ كُثيِّرًا تلميذا من مدرسة زهير، كما يبدو من إعجابه بالصور البيانية، وتطلُّبه أن يقع منها على الغريب والطريف، وجعل من مظاهر صنعته لزومه اللام المشددة في قصيدته:

خليليَّ، هذا رَبْعُ عَزَّةَ؛ فاعقِلا
قلوصَيْكما، ثمَّ ابكيا حيثُ حَلَّتِ[٦٤]

ولم يستبعد بروكلمان أن يستغرق تنقيح القصيدة حولا، واستدل على ذلك باختلاف رواياتها، الذي يدل عنده على أن الشاعر كان يُنشِدها رواتَه وخواصَّه أولَ الأمر؛

(٥٥) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ١٤٤.
(٥٦) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٣٠٢.
(٥٧) انظر مثلا: ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، ط٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦ م، ٣٠٧ و ٣٢٧، والصباغ، محمد لطفي، فن الوصف عند مدرسة عبيد الشعر، ط١، دمشق وبيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ٢٠.
(٥٨) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة، دار المعارف، ط١٠، ١٩٧٨ م، ٢٢ و ٢٤.
(٥٩) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ١٤.
(٦٠) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ١٤.
(٦١) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٢٣.
(٦٢) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٢٦.
(٦٣) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٣١.
(٦٤) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٣٦ وما بعدها.

لئلا ينساها، ثم يزيد عليها، وربما بدَّل بعض أبياتها[٦٥].

وسوف ندرس تنقيح عبيد الشعر للشعر من جهتين: جهة خارجية، هي تاريخ العرب وثقافتهم، ومناسباتُ شعر عبيد الشعر التي قيل فيها، فنبين ما في طبيعة العرب وثقافتهم من مقتضيات عدم التنقيح، وما في مناسبات الشعر من دواعي أن يكون كسائر الشعر الجاهلي، لا ينال من التنقيح إلا ما ينال. وجهة داخلية، ندرس فيها الشعر في نفسه، لنرى ما فيه من الأدلة على التنقيح أو عدمه، وما فيه من الأدلة على وجود مذهب فني مشترك، أو عدم وجوده. وقبل الشروع في ذلك أنبه إلى أن الذي أنفيه عن "عبيد الشعر" هو التنقيح الذي يبلغ أشهرا وأعواما، لا التنقيح الذي يصاحب القول أو يتلوه، فإنه عمل مدفوع بالتوق إلى الكمال، قلَّما يخلو منه عمل جادٌّ، فنيٌّ أو غير فني، وهو أثر من آثار الشعور بالقصور والنقص الذي فُطر عليه الإنسان.

الأدلة الخارجية

١- حياة العرب في الجاهلية: فهي قائمة على البساطة والتلقائية، وقلة الإمعان في التخير والتأنق، في شؤون الحياة كلها[٦٦]، ومنها الكلام. ومن آثار ذلك ما وقع في أشعارهم من الأخطاء اللغوية والعروضية[٦٧]، وعذر النحويين لهم بأنهم لا يتخيرون[٦٨]، وأنَّ ما وقع فيه بعضهم من ذلك كان يقع "على الغلط وقلة المعرفة به، وأنه يجاوز طبعه ولا يشعر به"[٦٩]. ومن آثاره ما يسمى "عمود الشعر"، وجوهره "قرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه، المستعمل في مثله"[٧٠]. وإذا كانت المعاني قريبة، وجلُّ الكلام معادا، وبناء القصيدة مقررا، وأغراضها محددة، والطبع صحيحا، والتمكن من اللغة قائما، فلا حاجة إلى التنقيح الذي نُسب إليه "عبيد الشعر".

٢- أن ما كان بعض الرواة والأدباء القدامى يصفون به العرب من السليقة، ومواتاة الكلام، والاقتدار عليه، والاستغناء بالطبع عن التكلف، هو ما كان شعراؤهم يتمدحون به، ويأنفون من غيره، وظل ذلك حالهم حتى القرن الرابع الهجري، فكان المتنبي يقول:

أنامَ ملْءَ جفوني عن شواردِها
ويسهرُ الخلق جرَّاها ويختصمُ

كما كان كعب بن زهير يقول:

نقول فلا نعيا بشيء نقوله
ومن قائليها من يسيء ويُجْمِلُ

وسويد بن كراع:

أعددت للحرب التي أُعنَى بها
قوافيا لم أَعْيَ باجتلابها

وجرير:

ألم تعلمْ مُسَرَّحِيَ القوافي
فلا عِيًّا بهنَّ ولا اجتلابا

ومَنْ ذكر منهم أنه لا يرتجل لم يتجاوز تنقيحه الليلة، يقول فيها ويقوِّم ما يقول، وإنما ذكر الليل والعمل فيه لأنه من الأوقات التي "يسرع فيها أبيُّ الشعر، ويُسْمح أتيُّه"، كما قال ابن قتيبة[٧١]؛ لما يكون فيه من الفراغ والخلوة، وراحة البدن، واجتماع القلب. ولم يكن ذلك خاصا بالشعر دون النثر، وإنما كان عاما في كلامهم الجاد كله، شعره ونثره. وما كان تنقيح من ينقح يتجاوز إصلاح الخلل في الوزن والقافية، يفوت الشاعر في غمرة الانفعال، والاشتغال بالنظم، كما يبدو من قول ذي الرمة:

وشعرٍ قد أرِقْتُ له طريفٍ،
أجنّبه المسانَدَ والمحالا[٧٢]

(٦٥) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٥، ١٩٨٣ م، ١/ ٦١.

(٦٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ١٢٣ وما بعدها.

(٦٧) انظر: الآمدي، الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، ٢٨، والقاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ٤ - ١٥.

(٦٨) الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، تكملة إصلاح ما تغلط به العامة، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، مجمع اللغة العربية، د. ت، ٥، وانظر: الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ٢٢٧.

(٦٩) القزاز القيرواني، محمد بن جعفر، ضرائر الشعر، تحقيق زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٣ م، ٧٩، وانظر: العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١٥٠، وابن رشيق، مصدر سابق، ٢/ ٢٦٩.

(٧٠) الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ٣٨٠، وانظر ص ١٠.

(٧١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٨١.

(٧٢) المرزباني، الموشح، ١٦.

وقول عدي بن الرقاع:

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينها
حتى أقوِّم ميلَها وسنادَها
نظرَ المثقِّفِ في كعوب قناتِه
حتى يُقيمَ ثقافُه منآدَها(٧٣)

ومن العجيب أن يكون الذين يُنسَبون إلى العبودية من أقليم من أشد الجزيرة إغراقا في البداوة، وبعدا عن الحضارة، وأن يكونوا من أهل الجاهلية، على حين أن التاريخ الإسلامي لم يعرف عن شعرائه المتحضرين الذين أولعوا بالشعر، ورصدوا له حياتهم، كأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، ما يقارب ما نسب إلى عبيد الشعر من طول التنقيح، إلا ما روي عن مروان بن أبي حفصة من أنه كان يعمل القصيدة في أربعة أشهر، ويحككها في أربعة، ويعرضها في أربعة، ثم يخرجها إلى الناس(٧٤). وهو خبر لا يصح، كما سوف نرى.

٣- قِدَم بعض الشعراء، وحداثة الشعر في زمانهم: فمن لوازم القدم الطبع والسليقة، ومن لوازم هذين الاقتدار على إيقاع الألفاظ في مواقعها، من غير حاجة إلى مراجعة أو تنقيح؛ لأن الذي يريد المنقِّحُ هو ما يواتي المطبوع عفوا؛ لأن "اللغة تقدِّم له نفسها شعرا"(٧٥)، و"من الثابت لدى معظم النقاد أن خير أشعار الشعوب هو ما قالته أيام بداوتها الأولى"(٧٦)، وأن التكلف في الآداب إنما يظهر في العصور المتأخرة، من تاريخ الشعوب والحضارات، حين تشيخ، فتهن عزائمها، وتضعف مُنَّتُها، فتعمى عن الجوهر، فتعمد إلى التكلف والزخرفة الجوفاء ظنا منها أنها تبلِّغ ما عجزت عن بلوغه. وحداثة الشعر تقتضي عدم وجود مثال يحاكَى، ومن فقد المثال كان مثاله ما يقول. وتجويد الصنائع -ومنها الكلام- لا يكون إلا بعد عمر قد يطول، يُقام فيه المثال، ويعبَّد الطريق إليه، ولم يكن هذا في زمان طفيل ولا أوس بن حجر، فقد وُصِف طفيل بأنه أقدم شعراء قيس، وأنه أكبر من النابغة، وليس في قيس فحل أقدم منه(٧٧)، وكان أوس معاصرا له فيما يبدو. على أننا "لا نستطيع أن نصف أي شاعر جاهلي أو أموي بهذه الصفة (التكلف)"(٧٨)، لانتفاء دواعيها في زمانهم.

٤- قلة شعر عبيد الشعر، وقِصَر ما نسب إلى بعضهم من القصائد: وقلة الكلام أجمع للقلب والفكر، وأبقى على الطاقة، فإذا صرف همه إلى الكلام وجد نفسه طيعة مقتدرة، وكان ما يأتيه أقرب إلى الجودة، بخلاف من كان كثير الكلام طويله. وعبيد الشعر كلهم مقلون، وقصائدهم إلى القِصَر ما هي، فأطول ما نرى أنه صحيح من قصائد الحطيئة أربعة وثلاثون بيتا من مجزوء الكامل، وسائرها ٢٩، ٢٧، ٢٥، ٢٢، ١٧، ١٥، ٤، وقد قيل له -فيما يدَّعي الأخباريون-: "ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها في الآذان أولج، وفي أفواه الناس أعلق"(٧٩). أما زهير، فأطول قصائده -فيما نرى- المعلقة، وهي في رواية الديوان ستون بيتا، وإذا صح أن بعضها منحول، كما سوف نرى، فهي لا تزيد على ثلاثة وأربعين، وسائر قصائده: ٤٥، ٤١، ٣٣، ٢٣، ١٦، ١٣، ٦، ٤. وقصائد بهذا القصر لا تحتاج إلى طول تنقيح وتحكيك. وقد كان في شعر الجاهليين المطبوعين من جياد القصائد، كمعلقات عنترة، وعمرو بن كلثوم، ولبيد بن ربيعة، ما هو أطول من هذا، ولم يعدُّوا -مع ذلك- في عبيد الشعر، ولا ادُّعي لهم من طول التنقيح ما ادعي لزهير والحطيئة.

وقد حمل ابنَ سنان الخفاجيَّ تصديقُه لما قيل في عبيد الشعر من طول التنقيح على أن ينتقد الجاهليين، ويسِمَهم بالتكلف، ويفضِّل عليهم المحدثين، ويسم زهيرا والحطيئة منهم بالضعف والاجتهاد في إحكام الصنعة، على قلة شعرهما، وعاب زهيرا أن يقول سبع قصائد في سبعة أعوام(٨٠). وإن شاعرا يمضي حولا في نظم بضعة وأربعين بيتا، لجدير بذلك، ولو كان يخترع كل ما يقول، فكيف إذا كانت أغراضه مقررة، وجل معانيه موروداً؟. وما قال ابن سنان لا يخرج عما قال ابن جني، إلا أنه وضعه في سياق

(٧٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٧٩.
(٧٤) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ٩/ ٣٩.
(٧٥) ويليك، رينيه، وأوستن وارن، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧ م، ٢٣.
(٧٦) مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت، ٢٤.
(٧٧) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ١٤/ ٨٥.
(٧٨) مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، ٤٠.
(٧٩) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ١٩/ ٣٣، العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ١٧٤.
(٨٠) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ٢٨٢.

المفاضلة بين القدامى والمحدثين، ووضعه ابن جني في سياق الضرورة بين شعراء العرب والمولدين.

٥- أن جل الشعر الجاهلي شعر مناسبات: والمناسبة لا تَنْظِر؛ فإنها إن مضت ولم يُقَلْ فيها الشاعر ما تقتضي لم يكن شاعرا، ولا سيما إذا كان في المقام منافس، أو من يقول ما يستوجب الرد. وكانت معلقة زهير -مثلا- في قتل وَرْد بن حابس العبسي هرمَ بن ضمضم المري، ومدْح هرم بن سنان والحارث بن عوف؛ لأنهما احتملا ديته في ماهما[٨١]، والقصيدة اللامية (صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله) فيما كان بين حصن بن حذيفة بن بدر وعمرو بن هند[٨٢]، فمن غير المتوقع ألا يقولها زهير إلا بعد عام، كائنا ما كان المستوى الفني الذي يتوخَّى لها؛ فإن ذلك على العي أدل منه على قوة العارضة. وإذا أجاد زهير في أطول شعره، من غير تنقيح، فترْك التنقيح فيما هو أقصر منه أولى. وتدَّعي أخبار زهير أنه كان "سيدا، كثير المال حليما، معروفا بالورع"[٨٣]، وأنه كان يتحرج من عطاء هرم بن سنان[٨٤]، ولم يمدح إلا سادة غطفان[٨٥]، ولا سيما بني مرة منهم، وهم عشيرته الأقربون، فقد كان -إذن- في غنى عما نُسب إليه من التنقيح؛ لأنه لا يمدح غريبا، ولا يؤمل عطاء، وإنما يمدح على المحبة والإعجاب والعصبية، ومن لم يمدح غريبا، ولم يتعرض لعطاء، لم يكن في حاجة إلى ما يخرج عن المألوف من الكلام، وفي هذا يفترق زهير والحطيئة[٨٦]. ولم يكن في قصائد الحطيئة ما كانت مناسبته تسمح بتأخيره شهرا، فضلا عما هو أطول منه؛ إذ كان أكثرها في هجاء الزبرقان، ومدح بغيض، وكان يتكسب بشعره، وخيرُ قصائده وأجودُها -إلى ذلك- دون العشرين.

وكانت قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) في حادثة لا تُنظره أكثر من المدة التي يقطع فيها ما بينه وبين المدينة؛ لأن دمه كان مهدرا، والموت يطالعه من حيثما تلفَّت. وإذا أُخذ برواية تدَّعي أن بجيرا تركه بموضع يقال له أبرُق العزَّاف، وذهب يستطلع له أمر النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم كتب إليه يدعوه إلى الإسلام وأن يطير إليه بالمدينة[٨٧]، فإن أكثر ما استغرقه نظم القصيدة ثلاثة أيام، هي أقصى ما يُقطع فيه ما بين المدينة وأبرق العزاف (١٢٠ كم)، بالسير العادي. وإذا لم يصح هذا الخبر، ولعله غير صحيح، وكان كعب قصد النبي -صلى الله عليه وسلم- من موضع آخر من بلاد بني مرة، فلن تستغرق رحلته أكثر من أسبوع، فقد كانت ديارهم بين المدينة وحائل، وبعضها من المدينة على يومين[٨٨]. والمروي أن آل أبي سلمى كانوا يقيمون بالحاجِر[٨٩]، وهو بأقصى الحدود الشمالية الغربية من القصيم، فوق عُقْلَة الصُّقُور اليوم، ودون الهِجْرة التي تسمَّى البَعَايِث بسبعة أكيال[٩٠]، وهو من المدينة المنورة على نحو مائتين وخمسين كيلا. وهي مسافة تقطع فيما لا يزيد على خمسة أيام، وربما كان له طريق آخر يقطع في أقل من هذا، فقد ذكر ياقوت الحموي أن بين المدينة والجبلين (أجأ وسلمى)، على غير الجادَّة، ثلاث مراحل[٩١]، أي مسيرة ثلاثة أيام، والحاجر أقرب إلى المدينة من الجبلين بنحو مائتي كيل، فيمكن -إذن- أن يقطع ما بينه وبين المدينة بالطريق الذي ليس على الجادة في يومين، أو يوم وبعض يوم، وهو الطريق الذي يتوقع أن يكون كعب سلكه؛ لأن ما هو فيه من الخوف كان يقتضيه أن يسلك أقصر الطرق. فإن فُرِض أن كعبا كان لا يقول إلا عن تنقيح، فأقصى ما نظم فيه قصيدته هذه خمسة أيام، وهي أطول قصائده، وأجودها،

(٨١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ٩/ ١٤١ وما بعدها.
(٨٢) ثعلب، أحمد بن يحيى، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ١٠١.
(٨٣) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ٩/ ١٤٨.
(٨٤) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني ٩/ ١٤٦ وما بعدها.
(٨٥) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني ٩/ ١٤٨.
(٨٦) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، صنعة يعقوب بن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٢٣٦.

(٨٧) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ١٥/ ١٤٢، وابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الشاملة، ١/ ١٠٣، وابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المكتبة الشاملة، ١/ ٤٦.
(٨٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ٥/ ٣٢٠.
(٨٩) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ٩/ ١٤٨، والأصبهاني، الحسين بن عبد الله، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٨ م، ٢٤٣ وما بعدها.
(٩٠) العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٢/ ٧٧٠.
(٩١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ١١٨.

حتى قال طه حسين إن "مدحه فيها يعدل مدح زهير كله"[٩٢]، وإذا كان مدح زهير هو أكثر شعره وأجوده، فإن ما ذهب إليه طه حسين، ومن تأثّره، من طول تنقيح عبيد الشعر، وتكلفهم لا صحة له ولا دليل عليه.

الأدلة الداخلية

ونعني بها ما في الشعر من الأدلة على أن عبيد الشعر ما كانوا ينقحون تنقيحا يزيد على تنقيح غيرهم من المطبوعين، وآية ذلك أن في شعرهم من العيوب كل ما في أشعار المطبوعين، ولو كانوا يولونه من التنقيح أكثر مما يولي المطبوعون أشعارهم لكانت العيوب أقل من العيوب. والذي نَسَب إليهم بعضَ هذه العيوب هو الذي نسبهم إلى العبودية، وقهْر الألفاظ، فقد قال الأصمعي –مثلا–: "لم يكن النابغة وأوس وزهير يحسنون صفة الخيل"[٩٣]، وذكر من عيوب زهير ما ذكر من عيوب غيره[٩٤]. وقال غيره إن زهيرا والنابغة عيبت عليهما أشياء كثيرة عيبت على غيرهما من حذّاق الشعراء، كالأعشى، والفرزدق، وجرير، والأخطل[٩٥]. وقبل بيان ما عيب عليهم أرى أن أميز –أولا– ما يصح لهم مما لا يصح، ففي الدواوين المنسوبة إليهم مصنوع كثير، وإضافته إليهم والحكم عليهم به حكم عليهم بتقصير غيرهم وضعفه، وهو عمل، يحجب حقيقة شعرهم الصحيح، ومذهبهم الفني، أكثر مما يبين عنهما. وسنقف أولا عند ما في شعرهم من أدلة النحل مجملةً، ثم ندرس ديوان كل شاعر دراسة مفصلة، نبين فيها ما يصح منه للشاعر وما لا يصح. ولن نعدَّ النابغة الذبياني والنمر بن تولب من عبيد الشعر، وكان ينبغي ألا نعد منهم طفيلا، لولا ما ادُّعِيَ من أن زهيرا روى عنه، وأخذ منه. أما النابغة، فعده في عبيد الشعر يخالف ما نقل الجاحظ عن الأصمعي في "البيان والتبيين"، وما قيل في النابغة: "كأن شعره كلام، ليس فيه تكلف"[٩٦]، يضاف إلى ذلك أن ما أخذ عليه أكثر مما أخذ على أهل طبقته[٩٧]، وهذا دليل على عدم التنقيح. وأما النمر، فلأن الباقي من شعره ليس فيه ما يدل على تجويد، وكَيْسه لا يستوجب أن يكون من عبيد الشعر، كما فهم ابن رشيق.

ومن أهم أدلة النحل في شعر عبيد الشعر:

١– الفضول والركاكة: وهي أخصُّ سمات الشعر المصنوع، نحو ما ينسب إلى أوس بن حجر:

أَلم تكسَف الشمسُ والبدر والـ
ـكواكب للجبل الواجبِ
لفَقْدِ فَضالةَ لا تستوي الـ
ـفُقودُ ولا خَلَّةُ الذاهبِ[٩٨]

فذكْر ما سوى الشمس من الكواكب، بعد ذكر الشمس، من الفضول؛ لأنه منها يستمد ضوءه، فإن كسفت كسف. ول"الجبل الواجب" كلام يقام به الوزن ويُتوصَّل إلى القافية. وجمع "الفقد" على "الفقود" من الركاكة بمكان؛ لأن المصدر يدل على الجنس، والجنس يدل على القليل والكثير، فلا داعي لجمعه سوى إقامة الوزن. ومن الفضول والركاكة في هذه القصيدة أيضا:

ويكفي المقالةَ أهلَ الرجا
لِ غيرَ مَعيبٍ ولا عائبِ[٩٩]

إذ المراد: يكفي الرجالَ المقالة، أما "أهل" فمن الحشو. ومثله:

هو الواهبُ العِلْقَ عينَ النفيـ
ـسِ والمتعلِّي على الواهب[١٠٠]

فالعلق هو النفيس، وذكر "عين" بينهما لا معنى له ولا فائدة. ومن الفضول هذا البيت:

وقد ثوتْ نِصْفَ حَوْلٍ أَشْهُرًا جُدُدًا
يسْفي على رَحْلِها بالحِيرةِ المورُ[١٠١]

فـ"نصف حول" و "أشهرا" مترادفان، ولا معنى للجمع

(٩٢) حسين، طه، حديث الأربعاء، ١٢٩.

(٩٣) الأصمعي، عبد الملك بن قريب الباهلي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، تحقيق محمد عودة سلامة أبو جرى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، ٣٤، والمرزباني، الموشح، ٥٣.

(٩٤) المرزباني، الموشح، ٥٧.

(٩٥) المرزباني، الموشح، ٤٧.

(٩٦) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/٥٦، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/١٥٦.

(٩٧) انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ١٦٧– ١٦٩، والمرزباني، الموشح، ٤٠ – ٥٦، والعسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ٤٨، ٧٧، ٨٤، ٨٥، ٩٤، ١١٠، ١٦٣

(٩٨) أوس بن حجر، ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، ١٠.

(٩٩) أوس بن حجر، ديوانه، ١١.

(١٠٠) أوس بن حجر، ديوانه، ١٢.

(١٠١) أوس بن حجر، ديوانه، ٤١.

بينهما، والمعنى الذي أراد صانع البيت: وقد ثوت بالحيرة نصفَ حول يسفي عليها المور. ومثله الجمع بين كلمتي "هدوّاً" و"مَوْهِنًا"، في البيت:

أَلَمَّ خيالٌ موهنًا من تُماضِرا
هُدُوًّا، ولم يَطرُقْ من الليل باكِرا[١٠٢]

وهما مترادفتان. والبيت:

وإن قال لي: ماذا ترى؟ يستشيرني
يجدْني ابنَ عمٍّ مِخْلَطَ الأمْرِ مِزْيَلا[١٠٣]

فهذا أسخف من أن يقال في الكلام العادي فضلا عن الشعر. ومثله:

إنَّ من القَوْمِ موجودًا خليفتُه
وما خليفُ أبي وَهْبٍ بموجود[١٠٤]

وغيَّرها عن وَصلِها الشيبُ؛ إنه
شفيعٌ إلى بِيض الخدور مُدرَّبُ[١٠٥]

فالضمير في (إنه) يعود على الشباب الذي لم يُذكر، كما قال الشارح، وهو شيء حمله عليه أن البيت لا معنى له، وبناء الجملة لا يدل عليه، ويجعل صدر البيت وعجزه لا علاقة بينهما، إذ يغدو المعنى: غيَّرها الشيب عن وصلها، والشباب شفيع مدرب. ومن العبارات التي ما يتوقع أن ترِد في شعر جاهلي، صدر هذا البيت:

فلمْ أرَ يوما كان أكثرَ باكيًا
ووجْهًا تُرى فيه الكآبةُ تَجْنَبُ[١٠٦]

فإنه من العبارات التي ترد في قصص العاشقين المصنوعة في العصر العباسي[١٠٧]. ومن الركيك البيتان:

فأمهله حتى إذا أنْ كأنَّه
مُعاطي يدٍ من جَمَّة الماءِ غارفُ
فأرْسَلَه مستيقنَ الظنِّ أنه
مُخالِطُ ما تحتَ الشَّراسِفِ جائفُ[١٠٨]

فلا يخفى ما في البيت الأول من الفضول والركاكة، ولا سيما العبارة "حتى إذا أنْ كأنه"، كما لا يخفى ما في الثاني من التناقض: مستيقن الظن، والظن واليقين متناقضان. ومنه البيتان:

يا راكبًا، إمَّا عرضتَ، فبلِّغنْ
يزيدَ بنَ عبدِ اللهِ ما أنا قائلُ
بآية أني لم أخنك وأنه
سوى الحقِّ -مهما ينطقِ الناسُ- باطلُ[١٠٩]

والبيتان:

ولم تلْهِها تلكَ التكاليفُ؛ إنها
كما شئتَ من أُكرومةٍ وتخرُّدِ
هي ابنةُ أعراقٍ كرامٍ نَمَيْنَها
إلى خُلُق عَفٍّ برَازَتُه قَدِ[١١٠]

وجلُّ ما ينسب إلى أوس هذه حاله، وحال جل ما ينسب إلى طفيل، كما يبدو من هذه الأبيات:

غشيتُ بقُرَّا قَرْطَ حولٍ مُكمَّلٍ
مغانيَ دارٍ من سعادَ ومنزلِ[١١١]

"المغاني" و"الدار" معناهما واحد؛ لأن "المغنى" اسم مكان من "غني"، أي أقام، فإضافتها إلى "الدار" من الفضول، وعطف "منزل" على "دار" تعني أن "مغاني" مضافة إليه، فيكون معنى البيت: منازل دارٍ ومنزلٍ لسعاد، وهو كلام لا معنى له. ثم قال:

ديارٌ لسُعْدى إذ سعاد جِدايةٌ
من الأُدْم خُمصانُ الحشا غيرُ خَنْثَلِ
هِجانُ البياضِ أُشرِبتْ لونَ صُفْرةٍ[١١٢]

سمَّاها سعدى مرة، وسعاد أخرى، لإقامة الوزن، وكذلك الجمع بين "خمصان" و"غير خنثل"؛ ومعناهما واحد، وإضافة "الهجان" إلى "البياض"، والهجان: الكريمة البياض، أو البِيض، فإضافتها إلى البياض من الفضول، كذلك ذكر "لون" في البيت، وكان يكفيه أن يقول: أشربن صفرة. ومثله البيت:

تَضلُّ المِدارَى في ضفائرها العُلى
إذا أُرْسَلتْ، أو هكذا غيرَ مُرْسَلِ[١١٣]

(١٠٢) أوس بن حجر، ديوانه، ٣٣.
(١٠٣) أوس بن حجر، ديوانه، ٨٢.
(١٠٤) أوس بن حجر، ديوانه، ٢٥.
(١٠٥) أوس بن حجر، ديوانه، ٥.
(١٠٦) أوس بن حجر، ديوانه، ٦.
(١٠٧) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١٠٤/٧ و ١٤/٢.
(١٠٨) أوس بن حجر، ديوانه، ٧١.
(١٠٩) أوس بن حجر، ديوانه، ٩٩.
(١١٠) أوس بن حجر، ديوانه، ٢٦.
(١١١) طفيل الغنوي، ديوانه، تحقيق حسان فلاح أوغلي، ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧ م، ٨٣.
(١١٢) طفيل الغنوي، ديوانه، ٨٤.
(١١٣) طفيل الغنوي، ديوانه، ٨٥.

الشطر الثاني كله فضول، ولا يخفى ما في "أو هكذا غير مرسل" من السخف. والبيت:

فما تجود بموعود فتنجزُه
أم لا، فيأسٌ وإعراضٌ وتحميلُ؟(١١٤)

ف "أم لا" كان ينبغي أن تسبق باستفهام، ولكنها لم تسبق إلا بخبر لا يلائمه أن تأتي بعده، وهذا دليل على أن هذا الشعر يصنعه من لا يريد التعبير عن شيء، وإنما يؤلف كلاما معقودا بقواف، مهما بلغ من التهافت. ومن الفضول والركاكة ما ينسب إلى كعب بن زهير:

وبعْدَ ليالٍ قد خَلوْنَ وأشهرٍ
على إثْرِ حول قد تجرَّم كاملِ(١١٥)

فالليالي والأشهر والحول الكامل المجرم ألفاظ يُتبلَّغ بها إلى إتمام الوزن والقافية، وليس تحتها شيء، وواحد منها يغني عنها كلها. ومنه أيضا هذه الأبيات:

ألا أبلغا هذا المعرِّض أنه
أيقظانُ قال القول إذ قالَ أو حلَمْ
فإن تسألِ الأقوامَ عني فإنني
أنا ابن أبي سُلْمى على رَغْم من رَغِمْ
أنا ابن الذي قد عاش تسعين حِجَّةً
فلم يَخْزَ يوما في معدٍّ ولم يُلَمْ(١١٦)

فإدخال الجملة الإنشائية "أيقظان قال القول" على خبر "أنَّ" من اللحن، والعدول عن إتمام الكلام إلى ما يقوم به الوزن دون اعتبار للمعنى. ولا يخفى ما في سائر الأبيات من الضعف. وربما كان هذا الشعر محمولا على كعب بن زهير من أجل إثبات نسبه في مزينة.

٢- التناقض: كهذين البيتين المنسوبين إلى طفيل:

بالعُفْر دارٌ من جميلةَ هيَّجتْ
سوالفَ حُبٍّ في فؤادِك مُنْصِبِ
وكنتَ إذا بانت بها غُربةُ النوى
شديدَ القُوَى، لم تدْرِ ما قولُ مِشْغَبِ(١١٧)

البيت الثاني يناقض صدرُه عجزَه، وهو كله يناقض البيت الأول، فصدر الثاني معناه أنه لا يهلك في أثرها حبًّا لها، إذا رحلت عنه، ومعنى عجُزه أنه لا يسمع فيها قول من ينهاه عنها، من حبه إياها، والبيت كله يناقض ما يفهم من البيت الأول من تعلقها.

٣- التلفيق: وله صورتان:

أ- تلفيق البيت من أبيات لغير الشاعر، وهو كثير في المنسوب إلى أوس وطفيل، والمحمول على زهير. ويبدو أن الذين ادعوا أن زهيرا روى عن أوس وطفيل، وتأثر بمذهبهما، وكان يأخذ منهما، إنما أرادوا إيهام صحة ما لفَّقوا لهما من شعره. وقد جاز ذلك على ابن رشيق، فقال إنه "كان يتوكأ على أوس، في كثير من شعره"(١١٨)، ولم يفطن هو وغيره إلى ما في المنسوب إليهما من غثاثة وتهافت، وإيقاع الكلام في غير موقعه، على وجه يتبرأ فيه بعض العبارات من بعض، لعدم ملاءمته للسياق الذي يحشر فيه، ويراد عليه، وهو لا يكون إلا في الشعر المصنوع. وهذا مما ينبغي أن يميز به التأثر من تلفيق الوضاعين. ومن أمثلة ذلك مما نسب إلى أوس:

فلنِعْمَ رِفْدُ الحي ينتظرونه
ولنعْم حشوُ الدرع والسِّربالِ(١١٩)

فهو من قول زهير:

ولنعم حشوُ الدرع أنت إذا
دُعِيتْ نزال ولُجَّ في الذُّعْرِ(١٢٠)

وقوله:

وما خليجٌ من المرُّوت ذو حَدَبٍ
يرمي الضريرَ بخُشْب الطلحِ والضَّالِ
يوما بأجودَ منه حين تسأله
ولا مُغِبٌّ بتَرْجٍ بين أشبال(١٢١)

فهذا من قول النابغة الذبياني:

فما الفراتُ إذا جاشت غواربُهُ
ترْمي أواريُّه العِبرينِ بالزَّبدِ

(١١٤) طفيل الغنوي، ديوانه، ٧٦.
(١١٥) كعب بن زهير، ديوانه، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، ط١، الرياض، دار الشواف، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، ١٢٥.
(١١٦) كعب بن زهير، ديوانه، ١٣٦.
(١١٧) طفيل الغنوي، ديوانه، ٢١.
(١١٨) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ٩٩.
(١١٩) أوس بن حجر، ديوانه، ١٠٨.
(١٢٠) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٧٨.
(١٢١) أوس بن حجر، ديوانه، ١٠٥.

يومًا بأجودَ منه سيبَ نافلةٍ
ولا يحولُ عطاءُ اليومِ دونَ غَدِ(١٢٢)

وعجز البيت الأخير لا يلائم صدره، فهو يقول في صدره وفي البيت الذي قبله إن خليجا من المروت تلك صفاته ليس أجود من الممدوح، وعجزه يقول إن أسدا بين أشباله بترج، يفترس يوما ويدع يوما ليس أجود منه، وهذا لا معنى له، فالأسد ليس رمزا للجود، فإن أراد أن أسدا تلك صفاته ليس أشجع منه، لم يكن بين الكلامين تناسب. وقوله:

والواهبُ المائة المِعْكاءَ يَشفعُها
يومَ النضالِ بأخرى غيرَ مجهود(١٢٣)

من قول النابغة أيضا:

الواهب المائة المعكاء زينها
سَعْدانُ توضحَ في أوبارِها اللِّبَدُ(١٢٤)

وقوله:

بها العِينُ والآرام ترعى سِخالَها
فَطِيمٌ ودانٍ للفطام وناصِفُ(١٢٥)

من قول زهير:

بها العِينُ والآرامُ يمشينَ خِلفةً
وأطلاؤها ينهضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ(١٢٦)

وقوله:

كأن كُحَيلاً مُعْقَدًا أو عَنِيَّةً
على رَجْعِ ذِفراها من اللِّيتِ واكفُ(١٢٧)

من قول عنترة:

وكأن رُبًّا أو كحيلا مُعْقَدًا
حَشَّ الوَقودُ به جوانبَ قُمْقُمِ

ينباعُ من ذِفْرى غَضوبٍ جَسرةٍ
زيَّافةٍ مِثْلِ الفنيقِ المكْدَمِ(١٢٨)

وقوله:

وأبيضَ هنديًّا كأن غِرارَه
تلألؤُ برقٍ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ(١٢٩)

العبارة الأخيرة منه من البيت المنسوب إلى امرئ القيس:

أصاحِ، ترى بَرْقًا أُريك وميضَه
كلمعِ اليدين في حَبِيٍّ مكلَّلِ(١٣٠)

وقوله:

أم هلْ كبيرٌ بكى لم يقْضِ عبرتَه
إثْرَ الأحِبَّةِ يومَ البينِ مَعْذورُ؟(١٣١)

هو بيت علقمة بعد أن غيرت الكلمة الأخيرة منه:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته
إثر الأحبة يوم البين مشكومُ(١٣٢)

وتنسب إليه قطعة من ستة أبيات، غاية في الركاكة، تُختَم بالبيت الذي ينسب إلى زهير وكعب بن زهير، مع أنه لا علاقة بينهما:

إذا أنت لم تَعْرِض عن الجهلِ والخنا
أصبتَ حليما أو أصابكَ جاهلُ(١٣٣)

ومن التلفيق في المنسوب إلى طفيل البيت:

تَضِلُّ المدارَى في ضفائرِها العُلا(١٣٤)

فهذا من البيت المنسوب إلى امرئ القيس:

غدائره مستشزراتٌ إلى العُلا
تَضِلُّ العِقاصُ في مثنًّى ومُرْسَلِ(١٣٥)

وفي القصيدة البائية(١٣٦) عبارات من القصيدة البائية المنسوبة إلى امرئ القيس (خليلي مرَّا بي على أم جندب)، مثل: كخذروف الوليد المثقَّب(١٣٧)، أسنَّةُ قَعْضَبِ(١٣٨)،

(١٢٢) النابغة الذبياني، ديوانه، صنعة يعقوب بن السكيت، تحقيق شكري فيصل، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م، ٢٢ وما بعدها.
(١٢٣) أوس بن حجر، ديوانه، ٢٥.
(١٢٤) النابغة الذبياني، ديوانه، ١٦.
(١٢٥) أوس بن حجر، ديوانه، ٦٣.
(١٢٦) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٧.
(١٢٧) أوس بن حجر، ديوانه، ٦٧.
(١٢٨) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق بركات يوسف هبود، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، ٢٨٥ وما بعدها.
(١٢٩) أوس بن حجر، ديوانه، ٨٤.
(١٣٠) امرؤ القيس، ديوانه، جمع وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤ م، ٢٤.
(١٣١) أوس بن حجر، ديوانه، ٣٩.
(١٣٢) المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٦، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ٣٩٧.
(١٣٣) أوس بن حجر، ديوانه، ٩٩.
(١٣٤) طفيل الغنوي، ديوانه، ٨٥.
(١٣٥) امرؤ القيس، ديوانه، ١٧.
(١٣٦) طفيل الغنوي، ديوانه، ٢١.
(١٣٧) طفيل الغنوي، ديوانه، ٢٩، وامرؤ القيس، ديوانه، ٥١.
(١٣٨) طفيل الغنوي، ديوانه، ٢٩، وامرؤ القيس، ديوانه، ٥٣.

مجرَّ أَشاءٍ من سُميحةَ مُرْطِبِ[١٣٩]، تيْس حُلَّبِ[١٤٠]، وفي القصيدة المنسوبة إلى امرئ القيس: عثاكيلُ قِنْوٍ من سميحة مرطب[١٤١]، كتيس ظباء الحُلَّب العَدَوانِ[١٤٢]. وهنالك بيت مشترك بينهما في وصف عنق الفرس، نسبه الأصمعي إلى طفيل:

يُراد على فأْسِ اللِّجام كأنما
يراد به مِرْقاةُ جذعٍ مُشذَّبِ[١٤٣]

بالإضافة إلى استحضار معاني القصيدة وصورها في الجملة. وفي بعض القصائد المنسوبة إليه من التلفيق ما هو أصرح من هذا، نحو:

لقد بيَّنتْ للعين أحداجُها معًا
عليهن حُوكيُّ العراق المرقَّمُ
عَقارٌ تظلُّ الطيرُ تخطَف زَهْوَه
وعالينَ أعلاقًا على كلِّ مُفْأَمِ[١٤٤]

فالبيت الأخير ملفق من قول علقمة:

عَقْلاً ورَقْمًا تظلُّ الطيرُ تخطفه
كأنه من دَمِ الأجواف مَدْمُومُ[١٤٥]

والبيت المنسوب إلى امرئ القيس:

وعالينَ قِنْوانًا من البُسْرِ أحْمَرا[١٤٦]

وقوله:

أصاحِ، ترى برقًا أُريكَ وميضَه
يضيءُ سناه سُوقَ أَثْلٍ مُرَكَّمِ
أسفَّ على الأفلاج أيْمَنُ صوبه
وأيسرُه يعلو مَخارِمَ سُمْسَمِ[١٤٧]

فهذان، إلى ركاكتهما، مأخوذان من البيتين المنسوبين إلى امرئ القيس:

أصاح ترى برقا أريك وميضَه
كلمع اليدين في حَبِيٍّ مكلَّلِ
على قَطَنٍ بالشَّيمِ أيمنُ صَوبِه
وأيسرُه على السِّتارِ فيذبلِ[١٤٨]

وقوله:

بأبطحَ تُلفيها فُوَيق فراشها
تَقالُ الضُّحى لم تنتطق عن تفضُّلِ[١٤٩]

من البيت المنسوب إلى امرئ القيس:

وتُضْحي فَتيتُ المسكِ فوقَ فراشِها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضُّلِ[١٥٠]

وقوله:

كجمْرِ غضًى هبَّت له وهو ثاقبٌ
بمَرْوَحةٍ – لم تَسْتَتِر – ريحُ شَمألِ[١٥١]

من البيتين المنسوبين إلى امرئ القيس:

كأن على لَبَّاتِها جمرَ مُصْطَلٍ
أصابَ غَضًى جَزْلا وكُفَّ بأجذالِ
وهبَّت له ريحٌ بمختلف الصُّوَى
صَبًا وشمالٌ في منازلِ قُفَّالِ[١٥٢]

وقوله:

أهلَّت شهورَ المحرمينَ وقد تقَتْ
بأذنابها روعاتِ أكلفَ مُكْدَمِ[١٥٣]

من البيت المنسوب إلى طرفة:

تَريعُ إلى صوتِ المهيب وتتَّقي
بذي خُصَلٍ روعاتِ أكلفَ مُلْبِدِ[١٥٤]

وقوله:

صحا قلبُه وأقصرَ اليومَ باطلُه
وأنكرَه –مما استفادَ– حلائلُهْ
يُرِبْنَ ويَعْرِفْنَ القَوامَ وشيمتي
وأنكرْن زَيغَ الرأسِ والشيبُ شاملُهْ

(١٣٩) طفيل الغنوي، ديوانه، ٣٤.
(١٤٠) طفيل الغنوي، ديوانه، ٤٣.
(١٤١) امرؤ القيس، ديوانه، ٤٨.
(١٤٢) امرؤ القيس، ديوانه، ٨٧.
(١٤٣) طفيل الغنوي، ديوانه، ٤٠، والأصمعي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٣٤، وانظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى، كتاب الخيل، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٨ هـ، ١٣٦.
(١٤٤) طفيل الغنوي، ديوانه، ١٠٢.
(١٤٥) المفضل، المفضليات، ٣٩٧.
(١٤٦) امرؤ القيس، ديوانه، ٥٧.
(١٤٧) طفيل الغنوي، ديوانه، ١٠٣.
(١٤٨) امرؤ القيس، ديوانه، ٢٤ و٢٦.
(١٤٩) طفيل الغنوي، ديوانه، ٨٦.
(١٥٠) امرؤ القيس، ديوانه، ١٧.
(١٥١) طفيل الغنوي، ديوانه، ٨٧.
(١٥٢) امرؤ القيس، ديوانه، ٢٩ وما بعدها.
(١٥٣) طفيل الغنوي، ديوانه، ١٠٦.
(١٥٤) الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، بيروت، دار صادر، د. ت، ٥٠.

وكنتُ كما يعلمن -والدهرُ صالحٌ
كصدرِ اليماني أخلصتْه صياقِلُهْ
وأصبحتُ قد عنّفتُ بالجهل أهلَه
وعُرّيَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ
تبصَّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ
تحمَّلْنَ أمثالَ النِّعاجِ عقائلُهْ[١٥٥]

فهذا أشبه ما يكون بتشطير ركيك للأبيات الأولى من قصيدة زهير: "صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله". و"أخلصته صياقله" في البيت الثالث مأخوذ من بيت لابن مقبل[١٥٦]. أما البيت الأخير فمأخوذ صدره من بيت زهير:

تبصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ
تحمَّلْنَ بالعَلْياءِ من فوق جُرْثُمِ[١٥٧]

وقوله:

حَرْفٌ أخوها أبوها من مهجَّنةٍ
وعمُّها خالها وَجْناءُ مِئشِيرُ[١٥٨]

من بيت كعب بن زهير:

حرفٌ أخوها أبوها من مهجَّنةٍ
وعمُّها خالُها قَوداءُ شِمليلُ[١٥٩]

وإذا صح هذا، فينبغي أن يعاد النظر فيما اتُّهم به زهير من سرقة أوس، والأخذ من طفيل، كما ينبغي أن يعاد النظر في ادعاء سرقة بعض الشعراء من أوس، كما ادعى ابن قتيبة -مثلا- أن قوله:

لعمرُك إنا والأحاليفَ هؤلا
لفي حقبة أظفارُها لم تقلَّمِ

أخذه زهير، فقال:

لدى أسدٍ شاكي السِّلاح مقذَّفٍ
له لِبَدٌ، أظفارُه لم تقلَّمِ

والنابغة في قوله:

وبنو قُعَينٍ لا محالةَ أنهمْ
آتُوكَ غيرَ مقلَّمي الأظفارِ[١٦٠]

وإن النابغة أخذ قوله:

جيشٌ يظلُّ به الفَضاءُ معضِّلا
يدَع الإكامَ كأنهنَّ صحاري

من قول أوس:

ترى الأرضَ منّا بالفضاءِ مريضةً
معضِّلةً منّا بجَمْعٍ عرَمْرَمِ[١٦١]

وقال القاضي الجرجاني إن زهيرا أخذ من أوس قوله:

إذا أنت لم تعْرِضْ عن الجهلِ والخَنا
أصبتَ حليما أو أصابَكَ جاهلُ[١٦٢]

وما نُسب إلى أوس قد يكون محمولا عليه، ومسروقا له من النابغة وزهير، وليس العكس؛ فالبيت الأخير -مثلا- ينسب إلى زهير، وكعب بن زهير، وجابر بن ثعلب الطائي[١٦٣]، وليس أوس بأولى به من واحد من هؤلاء، بعد ما قد رأينا في شعره من التلفيق، وبعد أن رأينا أن الأبيات التي ورد معها تتبرأ منه. والبيت الذي قبله (ترى الأرض منا) يبدو أنه مصنوع، وأنه مأخوذ من بيت النابغة، وليس العكس. وقد أوقع بعضَ الباحثين عدمُ التنبه إلى هذا في ادعاء تأثر كعب بن زهير بكل من وافقه في شيء من شعره[١٦٤]، من غير أن يفطن إلى أن ما نسب إلى غير كعب إنما حذي على ما قال كعب. وهو خطأ وقع فيه بعض دارسي السرقة في الشعر العربي القديم[١٦٥]، كما وقع فيه القدامى بسبب التسليم بصحة ما ينسب إلى شعراء الجاهلية من غير تمحيص.

وقد مرَّ طه حسين على شعر أوس من غير أن يمحصه، أو ينبه إلى ما فيه من النحل، وقرر صحته -في الجملة- كما قرر صحة ما قال الأولون من توكؤ زهير

(١٥٥) طفيل الغنوي، ديوانه، ١١٢.
(١٥٦) ابن مقبل، تميم، ديوانه، تحقيق عزة حسن، بيروت، دار الشرق العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ١٧٩.
(١٥٧) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٩.
(١٥٨) طفيل الغنوي، ديوانه، ٤١.
(١٥٩) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ٣-٤/ ٥٠٧.
(١٦٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٢٠١.
(١٦١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢٠١.
(١٦٢) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ١٩٤.
(١٦٣) انظر: كعب بن زهير، ديوانه، ١٣٤.
(١٦٤) انظر: محمد، إبراهيم السيد، قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، دمشق وبيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ١٨٩ وما بعدها.
(١٦٥) انظر: هدارة، محمد مصطفى، مشلكة السرقات في النقد العربي: دراسة تحليلية مقارنة، ٣، بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١٤ - ٢٢.

عليه[١٦٦]، وبالغ في ذلك، فقال إن زهيرا استغل إحدى قصائده[١٦٧] في معلقته[١٦٨]، وليس بين القصيدتين من تلاق إلا في بيتين (لعمرك إنا والأحاليف هؤلا، لدى أسد شاكي السلاح)، وعبارة (لِعَيْنِ الناظر المتوسِّم)[١٦٩]، وكلمة واحدة، هي اسم مكان (المتثلَّم). وهو توافق مرده إلى أن الأبيات المنسوبة إلى أوس مصنوعة، ككثير من أبيات القصيدة، إن لم تكن مصنوعة كلها. ولعل مما جعل طه يعرض عن هذا أنه يبطل ما أراد، من كون أوس إمامَ مذهب، وأن غيره من عبيد الشعر كان تلميذا له، فسرقتهم منه دليل على تأثرهم إياه، إن لم يكن خفي عليه كما خفي على غيره، فقالوا في أوس وزهير ما قد رأينا.

ومن هذا ما قال ابن قتيبة من أن قول الحطيئة:

عوازبُ لم تسمعْ نُبوح مُقامةٍ
ولم يُحتلَبْ إلا نهارا ضَجورُها

سبق إليه فأُخذ منه، وممن أخذه ابن مقبل:

عوازب لم تسمع نبوح مقامة
ولم ترَ نارًا تمَّ حَولٍ مجرَّمِ[١٧٠]

وقال في موضع آخر[١٧١] إن بيت ابن مقبل لطفيل الغنوي، ومنه أخذ الحطيئة، وإذا صح أن البيت للحطيئة، فلعل الصحيح القول الأول؛ لأن طفيلا لم يثبت له من الشعر شيء ذو بال، ولا يعرف من أمره شيء يوثق به، سوى ما قد رأينا من الأقوال التي لم نجد ما يعضدها من شعره.

ومن التلفيق في القصيدة الدالية المنسوبة إلى زهير:

وتُلْوي بريَّانِ العسيب تُمِرُّه
على فرْجِ مَحرومِ الشراب مجدَّدِ[١٧٢]

فهو ملفق من قول عنترة:

هل تبلغَنِّي دارَها شَدَنيَّةٌ
لُعِنَتْ بمحروم الشراب مصرَّمِ؟[١٧٣]

والبيت المنسوب إلى امرئ القيس:

وأسحمَ ريانِ العَسيب كأنه
عثاكيلُ قِنْوٍ من سُمَيحةَ مُرْطِبِ[١٧٤]

وقوله:

تبادرُ أغوالَ العَشيِّ وتتَّقي
عُلالةَ مَلْويٍّ من القِدِّ مُحْصَدِ[١٧٥]

من البيت المنسوب إلى الحطيئة:

تلاعِبُ أثناءَ الزِّمامِ وتتَّقي
مخافةَ ملويٍّ من القِدِّ مُحْصَدِ[١٧٦]

وقوله:

وسامعتين تعرف العتق فيهما[١٧٧]

من البيت المنسوب إلى امرئ القيس:

له أُذنانِ تعرفُ العِتقَ فيهما
كسامعتي مذعورةٍ وسْطَ رَبْرَبِ[١٧٨]

وقوله:

فأنقذها من غَمرةِ الموتِ أنها
رأتْ أنها إن تنظرِ النبلَ تُقْصَدِ[١٧٩]

من قول أبي تمام:

وأنقذها من غمرة الموت أنه
صدودُ فراقٍ لا صدود تعمُّدِ[١٨٠]

وقوله:

كأن دماءَ المؤسَداتِ بنحرها
أطبَّةُ صِرفٍ في قَضيمٍ مصرَّدِ[١٨١]

من البيت المنسوب إلى امرئ القيس:

كأن دماءَ الهادياتِ بنحره
عصارةُ حِنَّاء بشيبٍ مرجَّلِ[١٨٢]

ومن التلفيق في الشعر المنسوب إلى كعب:

(١٦٦) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٨١.
(١٦٧) هي القصيدة التي في ديوان كعب، ١١٧.
(١٦٨) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٨١.
(١٦٩) أوس بن حجر، ديوانه، ١١٩، وثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٢٠.
(١٧٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٣١٦.
(١٧١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٤٤٥.
(١٧٢) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٦٢.
(١٧٣) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ١٤٢.
(١٧٤) امرؤ القيس، ديوانه، ٤٨.
(١٧٥) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٦٣.
(١٧٦) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٧٦.
(١٧٧) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٦٤.
(١٧٨) امرؤ القيس، ديوانه، ٤٨.
(١٧٩) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٦٦.
(١٨٠) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢ م، ٢/ ٢٢.
(١٨١) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٦٧.
(١٨٢) امرؤ القيس، ديوانه، ٢٣.

ينازعُنيها لذٌّ غيرُ فاحشٍ
مبادرُ غاياتِ التِّجارِ معذَّلُ(١٨٣)

فهو من قول عنترة:

رَبِذٍ يداه بالقِداحِ إذا شتا
هتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ ملوَّمِ(١٨٤)

ومن التلفيق في المنسوب إلى الحطيئة:

إن الخليط أجَدُّوا البين فانفرقوا(١٨٥)

فهو من قول زهير:

إن الخليط أجدَّ البينَ فانفرقا(١٨٦)

وقوله:

ولا تأرَّى لما في القدر ترقبُه
ولا تقوم بأعلى الفجر تنْتَطِقُ(١٨٧)

من بيت أعشى باهلة:

لا يتأرَّى لما في القدر يرْقبُه
ولا يعَضُّ على شُرسوفِه الصَّفَرُ(١٨٨)

وقوله:

يسري القُراد عليها ثم تزْلِقُه
منها مغابنُ مُسْودٌّ بها العَرَقُ(١٨٩)

من قول كعب بن زهير:

يمشي القُراد عليها ثم يزلقه
منها لَبانٌ وأقرابٌ زَهاليلُ(١٩٠)

وقوله:

مقذَّفةٌ باللحمِ وَجْناءُ عَدْوُها
على الأَيْنِ إرقالٌ ووَجِيفُ(١٩١)

من قول النابغة:

مقذوفةٌ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها
له صَرِيفٌ صريفَ القَعْو بالمسَدِ(١٩٢)

وقولِ كعب بن زهير:

لها على الأينِ أرقالٌ وتَبغيلُ(١٩٣)

وقوله:

إذا همَّ بالأعداء لم تثْنِ همَّه
كَعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ(١٩٤)

من قول كثير:

إذا ما أراد الغزْوَ لم تثْنِ عَزْمَه
حَصانٌ عليها نَظْمُ درٍّ يَزينُها(١٩٥)

وقوله:

كأني ساورتني ذاتُ سمٍّ
نقيعٍ ما تلائمها رُقاها(١٩٦)

من قول النابغة:

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ
من الرُّقش في أنيابها السُّمُ ناقعُ(١٩٧)

وقوله:

ترى عافياتِ الطيرِ قد وثِقَت لها
بشِبْعٍ من السَّخلِ العِتاقِ منازلُهْ(١٩٨)

من قول النابغة:

إذا ما غزا بالجيش أبصرتَ فوقهم
عصائبَ طير تهتدي بعصائبِ
جوانحَ قد أيقنَّ أن قبيلَه
إذا ما التقى الجمعانِ أولُ غالبِ(١٩٩)

ب- تلفيق هو جمع أبيات في قصيدة لا علاقة بينها، ولا تعبر عن شيء، وأكثر ما يكون هذا في الشعر المنسوب إلى طفيل، ومن أمثلته:

وبالسَّهْبِ ميمونُ النقيبةِ قولُه
لملتمسِ المعروفِ: أهلٌ ومرحبُ

(١٨٣) كعب بن زهير، ديوانه، ١١٧.
(١٨٤) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ١٤٩.
(١٨٥) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٥٣.
(١٨٦) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٣٨.
(١٨٧) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٥٥.
(١٨٨) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ١/ ١٩٧.
(١٨٩) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٥٧.
(١٩٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣-٤/ ٥٠٧.
(١٩١) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٦٨.
(١٩٢) النابغة الذبياني، ديوانه، ٦.
(١٩٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣-٤/ ٥٠٦.
(١٩٤) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٧٠.
(١٩٥) كثير عزة، ديوانه، جمع مجيد طراد، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ٢٣١.
(١٩٦) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٩٦.
(١٩٧) النابغة الذبياني، ديوانه، ٤٦.
(١٩٨) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٣٤.
(١٩٩) النابغة الذبياني، ديوانه، ٥٧.

كواكبُ دَجْنٍ كلَّما غاب كوكبٌ
بدا وانجلت عنه الدُّجُنَّةُ كوكبُ[٢٠٠]

فالكوكب جمع، ولم يسبق ما يمكن أن تكون الكواكب خبرا عنه سوى "ميمون النقيبة"، وهو مفرد، ثم قال:

لعمري لقد خلَّى ابن خَيْدعَ ثُلمةً
فمنْ أين -إن لم يرْأَبِ اللهُ- تُرْأَبُ؟!
وبالخيرِ إن كان ابن خيْدعَ قد ثوى
يُبَنَّى عليه بيتُه ويُحَجَّبُ
نداماي أضحوا قد تخلَّيتُ منهمُ
فكيف ألذُّ الخمرَ أم كيفَ أشْرَبُ؟[٢٠١]

ولا مناسبة بين الأول من هذه الأبيات والذي قبله، ولا بينه وبين البيت الذي بعده، ولا يخفى ما في الأخير -إلى ذلك- من الفضول، كما لا يخفى أن من المستبعد أن تكون "إن لم يرأب الله" من كلامِ جاهليٍّ، كطفيل. وهو كثيرا ما يصف الخيل ثم يتركها إلى موضوع آخر، ثم يعود إليها، ويكرر ما يقول بألفاظ مختلفة، كما يرى في القصيدة البائية، فهو يقول فيها:

وخيلٍ كأمثال السِّراح مصونةٍ
ذخائرِ ما أبقى الغُرابُ ومُذْهَبُ[٢٠٢]

ثم يصف الخيل في أبيات عدة، ثم يقول:

ومن بطْنِ ذي عاجٍ رعالٌ كأنها
جَرادٌ تُبارِي وِجهةَ الريحِ مطنبُ
أبوهن مكتومٌ وأعوجُ تُفْتلَى
وِرادًا وحوًّا ليس فيهن مُغْرِبُ[٢٠٣]

ولا معنى لأن يعود إلى أنسابها بعد ما ذكر منها، فإما أن يسردها كلها في أبيات متوالية، ثم يدعها إلى غيرها، وإما أن يكتفي بذكر بعضها؛ لأنه يتحقق به ما أراد من الكناية عن عتقها. ومثل هذا ما ينسب إلى أوس من وصف الناقة ثم انصرافه عنها، وعودته إليها مرة أخرى[٢٠٤]، وقوله:

لليلى بأعلى ذي معارِكَ منزلُ
خلاءٌ تنادَى أهلُه فتحمَّلُوا
تبدَّل حالاً بعْدَ حالٍ عهدتُه
تناوَحُ جِنَّانٌ بهنَّ وخُبَّلُ
على العُمْر واصطادت فؤادًا كأنه
أبو غَلِقٍ في ليلتين مؤجَّلُ
ألم تريا إذ جئتما أنَّ لحمَها
به طَعْمُ شَرْيٍ لم يُهذَّب وحَنْظَلُ[٢٠٥]

فلا علاقة بين هذه الأبيات، ولا علاقة بينها وبين ما بعدها، وليست لها فكرة، هذا إلى ما فيها من الركاكة والتكلف، كقوله: جِنَّان وخُبَّل، وهما بمعنى، وإعادة الضمير (هن) على (منزل)، وهو مفرد، ثم تختم القصيدة ببيتين لا علاقة لهما بما قبلهما، ولا معنى لذكرهما:

رأيتُ بُرَيدًا يزدريني بعينه
تأمَّلْ رُوَيدًا إنني مَنْ تَأمَّلُ
وإنكما يا ابني جَنابٍ وُجِدتما
كمَنْ دبَّ يستخفي وفي الحَلْق جُلْجُلُ[٢٠٦]

فقد كان من المتوقع أن يكون ما قبلهما من القصيدة مقدمة لغرض آخر، على عادة الشعراء حين يبدؤون بالغزل، ولكن ذلك لم يكن؛ لأن القصيدة ليس لها غرض، وإنما هي كلام يلفَّق من أبيات لا يجمع بينها إلا الوزن والقافية.

٤- ذكر ما لا يعرف هؤلاء الشعراء، وما يخالف المعروف من حياتهم وتاريخهم، كقول أوس:

فإنْ يهْوَ أقوامٌ ردايَ فإنما
يقيني الإلهُ ما وقَى وأصادف[٢٠٧]

فهذا مصنوع في العصر الإسلامي، ولم يكن أوس يتوكل على الله، ولا يعتقد فيه هذه العقيدة، وما يقول هذا إلا مسلم، ولا يخفى -بعْد- ما في البيت من الركاكة، فإن الفعل (أصادف) ليس قبله ما يصلح لأن يعطف عليه، وفي الشعر المنسوب إليه نظائر لهذا، كالبيت:

(٢٠٠) طفيل الغنوي، ديوانه، ٥٤.
(٢٠١) طفيل الغنوي، ديوانه، ٥٥.
(٢٠٢) طفيل الغنوي، ديوانه، ٥٨.
(٢٠٣) طفيل الغنوي، ديوانه، ٥٩.
(٢٠٤) أوس بن حجر، ديوانه، ٦٤.
(٢٠٥) أوس بن حجر، ديوانه، ٩٤.
(٢٠٦) أوس بن حجر، ديوانه، ٩٨.
(٢٠٧) أوس بن حجر، ديوانه، ٦٤.

فأشْرَطَ فيها نفسَه وهو مُعْصِمٌ
وألْقى بأسبابٍ له وتوَكَّلا[٢٠٨]

فإلقاء الأسباب والتوكل ما يقوله إلا مسلم، هذا إلى أن أوسا لم يُرْوَ عنه ما رُوِي عن زهير من الورع، بغض النظر عن صحة ذلك. ومنه:

لا تأمنوا آراءَه وظنونَه
إن العيونَ لها من الأَمْدادِ
وتعوَّذوا بالله من أقلامه
إن السيوف لها من الحسَّاد[٢٠٩]

فهذ لا يعرفه أوس ولا غيره من الجاهليين، والبيتان لابن نباتة السعدي، يقولهما في الوزير المهلبي[٢١٠]. ومنه:

ولو كنت في رَيمانَ تحرسُ بابَه
أراجيلُ أُحبوشٍ وأغضفُ آلِفُ
إذن لأتتني حيثُ كنتُ منيتي
يخُبُّ بها هادٍ لإثريَ قائفُ[٢١١]

فهذا -إلى ركاكة البيتين- معنى قول الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [سورة النساء، آية ٧٨]. وقد نُسب البيتان إلى ثعلبة بن عمرو العبدي[٢١٢]، وإلى أبي الطمحان القيني[٢١٣]، وربما لا يكونان لواحد منهما ولا لأوس، فإنهم جاهليون كلهم. وقوله:

أودَى ربيعُ الصعاليكِ الأُلى انتجعوا
وكلُّ ما فوقَها من صالحٍ مُودِي[٢١٤]

فهذا معنى قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الرحمن، آية ٢٦]. وقوله:

أطعنا ربَّنا وعصاهُ قومٌ
فذُقنا طعمَ طاعتِنا وذاقوا[٢١٥]

وقوله:

وذلك من جمْعِي وباللهِ نِلتُه[٢١٦]

وقوله:

وقتلى كمثْلِ جُذوعِ النخيلِ
تغَشَّاهمُ مُسْبِلٌ منْهَمِرْ[٢١٧]

فهذا من قول الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة، آية ٧]. وقوله:

عليه كمصباح العزيز يَشُبُّه
لفِصْحٍ ويحشوه الذُّبالَ المفتَّلا[٢١٨]

فأوس لا يعرف العزيز، ولا يعرف الفصح، ولا المصابيح التي تشب له، فهو أعرابي نجدي، وإنما يعرف هذا من راكن النصارى، بالإضافة إلى ما في البيت من الحذو على الأبيات المنسوبة إلى امرئ القيس:

يضيء الفراشَ وجهُها لضجيعها
كمصباحِ زيت في قناديل ذُبَّالِ
نظرتُ إليها والنجومُ كأنها
مصابيحُ رهبانٍ تُشبُّ لقُفَّال[٢١٩]

وقول طفيل:

إذا استقبلتْه الشمسُ صدَّ بوجهه
كما صدَّ عن نار المهوِّلِ حالفُ[٢٢٠]

فنار المهول يدعي الشرَّاح أنها كانت باليمن، ولم تكن في أرض طفيل، ولعله ما كان يعرفها، فتشبيهه بما لا يعرف بعيد، وهو من أقدم الشعراء، كما يدعي الأخباريون، ولم تكن المعاني في زمانه تدوولت؛ فيذكرها على سبيل التقليد. ومن هذا قوله:

ترعى منابتَ وَسْمِيٍّ أطاعَ له
بالجزْعِ حيث عصى أصحابَه الفيلُ[٢٢١]

"أي: حيث أقام بالتعمير على أميال من مكة"[٢٢٢]، وليس هذا الموضع من بلاد غني ولا قريبا منها، ولا كان معروفا بكثرة الظباء، كحاسم وتوضح، وليست له خصوصية؛ فيذكره غيرُ أهله، ولكنه هو الذي تُبلَغ به

(٢٠٨) أوس بن حجر، ديوانه، ٨٧.
(٢٠٩) أوس بن حجر، ديوانه، ٢٨.
(٢١٠) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المكتبة الشاملة، ١/ ٢٩٥.
(٢١١) أوس بن حجر، ديوانه، ٧٤.
(٢١٢) المفضل الضبي، المفضليات، ٢٨٣.
(٢١٣) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ١١/ ١٢٦.
(٢١٤) أوس بن حجر، ديوانه، ٢٥.
(٢١٥) أوس بن حجر، ديوانه، ٧٩.
(٢١٦) أوس بن حجر، ديوانه، ٩٠.
(٢١٧) أوس بن حجر، ديوانه، ٣٠.
(٢١٨) أوس بن حجر، ديوانه، ٨٤.
(٢١٩) امرؤ القيس، ديوانه، ٢٩ و٣١.
(٢٢٠) طفيل الغنوي، ديوانه، ٦٩.
(٢٢١) طفيل الغنوي، ديوانه، ٧٦.
(٢٢٢) طفيل الغنوي، ديوانه، ٩٨.

القافية. ومن هذا القصيدة الخامسة والعشرون في ديوان كعب بن زهير[٢٢٣]، فإنها في فتح مكة وغزوة الطائف وحنين، وهي تفخر ببلاء مزينة، ولم يُسْلم كعب إلا بعد رجوع النبي -صلى الله عليه وسلم- من غزوة الطائف[٢٢٤]، وقد نسب ابن سلام والأصفهاني بعضها إلى أخيه، بجير[٢٢٥]، وكان بجير ممن شهد مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فتح مكة وحنينا والطائف[٢٢٦]. ومما يدخل في هذا سرد أسماء كرام الخيل ونسبة الفرس المفتخر به إليها جميعا، كالغراب، ومُذْهَب، ومكتوم، وأعوج، والوجيه، ولاحق[٢٢٧]، وليس هذا من عادة الشعراء الأولين، وإنما عادتهم أن ينسبوا الخيل والإبل إلى واحد من فحولها العتيقة، ويكتفوا بذلك؛ لأنه يدل على ما يراد من الكناية عن عتق المنسوب، ولا يسردون أسماء عتاق الفحول؛ لأن ذلك من قبيل سرد المترادفات. وهو مما يفعل الأخباريون والرواة. وإذا جاز أن يصح ما نسب من ذلك إلى طفيل الغنوي لأن بعض ما ذكر من الخيل منسوب إلى غني[٢٢٨]، فبعيد أن ينسب الحطيئة خيله التي يفخر بها إلى خيل غني، وهو عبسي.

٥-النمطية: وأعني بها أن تكون مجموعة من قصائد الشاعر مبنية على صورة واحدة تتكرر على وجه لا يختلف. ويظهر هذا أكثر شيء في الشعر المحمول على كعب بن زهير، حتى قال محققه: "سنلمح في ديوانه شعرا متشابها في كثير من قصائده، وهي خصائص نلمسها في نزوعه الدائم إلى وصف الناقة والصحراء وما فيها من طرق وحيوانات ومشاهد تتكرر هنا وهناك، يقلّبها كعب في صياغات متعددة، حصرت خياله، أو استولت عليه بيئة لم يستطع التفلت منها، فظل يرسف في تقريرية قلما تركت الخيال يبتكر ويتفتق عن معان جديدة، وصور ذهنية مبتكرة"[٢٢٩]. والذي ذهب به هذا المذهب في تفسير ما رأى هو تسليمه بصحته، ولو نظر نظرة أخرى لبان له أن هذا لا يكون إلا في الشعر المصنوع، وهذا التكرار، إلى ما فيه من الركاكة والتلفيق، ليس له غرض، لا مديح، ولا فخر، ولا هجاء، وإنما هو وقوف على الأطلال، فانصراف عنها على ناقة، تُسبَغ عليها صفة الناقة النمطية في مقدمة القصيدة العربية القديمة، وهو أمر غير معهود في الشعر الصحيح. ويرِدُ مثل هذا في الشعر المحمول على الحطيئة، كما يُرى في القصيدتين الخامسة والعشرين، والسابعة والعشرين، ففي الأولى يبدأ بالغزل، وفي الثانية يبدأ بالوقوف على الأطلال، ثم ينصرف عنهما إلى وصف الناقة، على الوجه الذي يرد في الشعر المحمول على كعب.

٦- اللحن: ويرد في أشعار بعض هؤلاء لحن، من غير المتوقع أن يقع فيه الجاهليون، بالإضافة إلى ما في الأبيات التي يقع فيها من الركاكة، كالبيت المنسوب إلى أوس:

كأنَّ جديدَ الدارِ يُبليك عنهمُ
تقيُّ اليمينِ بعدَ عهدِك حالفُ[٢٣٠]

"حالف" فاعل "يبليك"، و"تقي" صفة له، لكنه قدم الصفة على الموصوف، كما يفعل العجم. بالإضافة إلى أن "تقي اليمين" عبارة إسلامية، لا جاهلية. وقول طفيل:

تبصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائن
تحمَّلن أمثالَ النعاج عقائلُهْ[٢٣١]

فالضمير في "عقائله" عائد على "ظعائن"، وهي مؤنث، لا يصح أن يعاد عليه ضمير مذكر. ومن اللحن البيت المنسوب إلى كعب بن زهير:

فمرَّ على نحره والذراعِ
ولم يكُ ذاكَ له الفِعْلُ دينا[٢٣٢]

أراد: ولم يك ذاك الفعل دينا له، أي عادة، ففصل بين اسم الإشارة والمشار إليه، وهو غير صحيح.

(٢٢٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣-٤/ ٥٠٣.
(٢٢٤) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١١٠، والأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ١٥/ ١٤٣، وانظر: ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ هـ، ١/ ٢٦٩.
(٢٢٥) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ٩٩، وابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الشاملة، ١/ ١٠٣.
(٢٢٦) طفيل الغنوي، ديوانه، ٣١ و ٥٨ وما بعدها، والحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٣٤.
(٢٢٧) انظر: ابن الكلبي، هشام بن محمد، أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٦ م، ٢٢.
(٢٢٨) كعب بن زهير، ديوانه، ٣٣ (المقدمة).
(٢٢٩) أوس بن حجر، ديوانه، ٦٣.
(٢٣٠) طفيل الغنوي، ديوانه، ١١٢.
(٢٣١) كعب بن زهير، ديوانه، ١٥٥
(٢٣٢) ابن خير، أبو بكر محمد الإشبيلي، فهرسة ابن خير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣٥١.

دواوين عبيد الشعر

١- ديوان طفيل: تنسب رواية شعر طفيل إلى ابن دريد، عن أبي حاتم السجستاني، عن الأصمعي، وبهذه الرواية كان مشهورا في الأندلس(٢٣٣)، وله رواية أخرى بصنعة ثعلب(٢٣٤)، وشرح لابن السكيت(٢٣٥). والديوان الذي نعتمد عليه هنا هو الذي ينتهي سنده إلى الأصمعي، ويشتمل على تسع قصائد، ونتف ومقطوعات جمعها محققه من بطون الكتب. وما يهمنا هو ما في أصل الديوان؛ لأن القطع والنتف لا يتضح منها مذهب الشاعر، ولا يمكن الجزم بأنها له أو لغيره، إلا بدراسة طويلة، لا يترتب عليها شيء من أمر هذا البحث. وما يصح من القصائد التسع تسعة عشر بيتا من القصيدة الرابعة، يبدو أنها ليست مصنوعة، هي الأبيات من ٩ - ٢٧، وسوف نفرض أنها له؛ لأنها نسبت إليه، ولم نطلع على من نسبها إلى غيره، أما سائر الديوان فمصنوع، وفيه من الركاكة والتلفيق كل ما قد رأينا، وقد بصُر بذلك بعض الباحثين(٢٣٦). ومما يصح له من الملحق الأبيات التائية الثلاثة التي تمثل بها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يوم السقيفة(٢٣٧)، وفيه قطع ونتف أخرى ربما كانت صحيحة، لكنها ليست بجيدة، ولا في وصف الخيل، التي ادُّعي أنه كان أوصف الجاهليين لها، وليس فيها ما يستحق به أن يدعى محبِّرا، ولا ما يصدِّق ما ادُّعِيَ من أن زهيرا تأثره.

٢- ديوان أوس: أكثر ما في ديوان أوس لا يصح، كالقصيدة الحائية التي روى ابن سلام عن يونس أنهم كانوا ينسبونها إلى عبيد بن الأبرص، وكان على ذلك إجماعهم حتى قدم المفضل، فصرفها إلى أوس(٢٣٨)، وإن روى الرياشي، عن الأصمعي: "تميم تروي هذه القصيدة الحائية لعبيد، وذلك غلط، ومن الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويها لتشابههما"(٢٣٩). وهو رأي ذهب إليه طه حسين أيضا: أنهما قصيدتان، إحداهما لأوس، والأخرى كان الكوفيون يرون أنها لعبيد(٢٤٠). غير أن بعض ما نسب طه منها إلى أوس عده ابن سلام وغيره من رواة البصرة لعَبيد، كالبيتين اللذين وصف فيهما السحاب. وما ينبغي أن يؤخذ بغير قول ابن سلام؛ فإنه أوثق من الكوفيين الذين لا يعول على رواية أكثرهم، فكيف إذا كان ما يقول مما أجمع عليه البصريون؟ وقد ورد بيت منها في "الوساطة"(٢٤١) منسوبٌ إلى عامر الثقفي، وهذا مما يشكك في أمرها، ويجعل من الخير أن تُتجنَّب، بغضِّ النظر عمن هي له، لأننا ما نُدخل في هذه الدراسة إلا ما يغلب على الظن أنه لأوس، فهو الذي تقوم به الحجة. ومما لا يصح منه أيضا: ٢، ٤، ٥، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٨، ٢٠، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٧، ٣٨. وقد أخرجنا من هذا الإحصاء ما كان بيتا وبيتين؛ لأنه ليس في وسعنا أن نتبين حقيقته، وهو: ٣، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٣، ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٧، ٣٦، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢. والباقي بعد هذا من الديوان قليل، وفيه قصائد وقطع بعض أبياتها ليس له، كالقصائد: ٢١، و ٢٦، و ٣٥، و٤٨. وإذا صح هذا، فينبغي ألا يعول على تلك الأقوال التي بالغت في إطراء أوس، كقول ابن الكلبي: "وتميم إلى الآن مقيمة على تقديم أوس، ومنهم من يقول بتقديم عدي"(٢٤٢)؛ فإن الإطراء في التراث العربي قد يبذل لمن لا يستحقه، وقد تكون له غاية غير التي تُعلَن. وأوس لا يستحق ما قيل فيه ولا قريبا منه، إن كان شعره كالذي وصل إلينا. وليس في وسعنا أن نفرض أن ما ذهب منه أجود مما بقي؛ لأن ما يستحسن منه في كتب الأدب الباقية لا يختلف عما في ديوانه هذا، وبعضه مما يمكن الجزم بأنه مصنوع. وقد ذكر ابن قتيبة أنه كان "عاقلا في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وهو من أوصفهم للحمر والسلاح، ولا سيما القوس، وسبق إلى دقيق المعاني،

(٢٣٣) ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ١١١.
(٢٣٤) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ٢/ ٢/ ١٨١.
(٢٣٥) انظر: بلاشير، ريجس، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق دار الفكر، وبيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٢٩٦.
(٢٣٦) طفيل الغنوي، ديوانه، ١٣٠.
(٢٣٧) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ٩٢.
(٢٣٨) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ١٠/ ٦.
(٢٣٩) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٧٣.
(٢٤٠) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ١٨٦.
(٢٤١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ١٠/ ٦.
(٢٤٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ١٩٨.

وإلى أمثال كثيرة"[٢٤٣]، والباقي من شعره الذي قد يكون صحيحا ليس فيه وصف لمكارم الأخلاق، ولا ما يدل على عقل، أما الحمر فليس لها ذكر فيه، وإنما وصف بقر الوحش في القصيدتين الأولى والحادية والعشرين، ووصف السلاح في القصيدة الخامسة والثلاثين، وكثير من أبياتها -في الأقل- مصنوع. وإنما وُصِف الحمر في القصيدة الثلاثين وحدها، ووُصِف السلاح أيضا في القصيدة السابعة والثلاثين، وهما مصنوعتان. وإذا صح أن هاتين القصيدتين هما اللتان عنى ابن قتيبة، فمعنى ذلك أن الذين أثنوا عليه كانوا يثنون عليه بهذا الشعر المصنوع، وهذا مما يدعو إلى التحفظ في قبول أحكام الأولين، وثنائهم على الشعراء.

٣- ديوان زهير: روى الأصمعي من أشعار زهير خمس عشرة، ما بين قصيدة وقطعة، هي: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٥، ٣٨، ٣٩، ٤٣ من ديوانه المطبوع بشرح ثعلب. ولكن بعضها لا يصح، كالقصيدة الكافية[٢٤٤]، فالذي يصح منها -فيما يبدو- هو الأبيات السبعة الأخيرة في هجاء الحارث بن ورقاء، وهي لا تحتاج إلى المقدمة التي يبدو أنها رُكِّبت عليها تركيبا. ويشكك في صحة القصيدة الخامسة والعشرين ما فيها من البذاء غير المعهود في شعر زهير. والثامنة، والعاشرة، والثانية عشرة، يبدو أنها غير صحيحة، والثالثة عشرة ضعيفة، ويبدو أنها ليست له، والثامنة والثلاثون لقراد بن حنش[٢٤٥]. فما يغلب على الظن أنه له ثماني قصائد وسبعة أبيات من التاسعة، أما ما روى غير الأصمعي، فلن نلتفت إليه؛ لأننا ما نثق به، وهو يختلف عما نرى أنه له حقا. ويضاف إلى ما لا يصح من الشعر المنسوب إليه أبيات من القصائد الصحيحة، كهذا البيت من المعلقة:

فتغلل لكمْ ما لا تُغلُّ لأهلِها
قرًى بالعراق من قَفِيزٍ ودِرْهَمِ

فليس من المتوقع أن يكون زهير على علم بما تغلُّ قرى العراق من قفيز ودرهم، وهو أعرابي نجدي، وإنما يقول هذا أهل الإسلام الذين اطلعوا على خراج العراق وما تغل قراه. ولا أطمئن إلى أبيات الحكمة كلها، من قوله: (سئمت تكاليف الحياة) إلى آخر القصيدة؛ فلم أجد بينها وبين ما قبلها مناسبة تسوّغ ذكرها، ولا بين أكثرها علاقة تسوغ سردها على الوجه الذي وردت به في القصيدة، وإنما هي حكم منثورة في موضوعات شتى ليس لها جامع، وجمْعها على هذا الوجه لا نظير له في الباقي من شعر زهير، وفيها -إلى ذلك- ما لا يقوله إلا مسلم، كهذين البيتين:

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في نفوسكم
ليخفى، ومهما يكتمِ اللهُ يعلمِ
يؤخَّرْ فيوضعْ في كتاب فيُدَّخرْ
ليومِ الحسابِ، أو يُعَجَّل فيُنقَمِ

فما أظن زهيرا يعرف الحساب، إن صح أنه يؤمن بيومه، أو يعرف تدوين الأعمال في كتاب، وإنما يقول هذا من كان مسلما، وإن قال الأصمعي إنه قارب قوما من يهود، "فسمع بذكر المعاد"، فمن ثم قال "فلا تكتمن الله"[٢٤٦]، وهو بعيد، فلم يكن لزهير علاقة باليهود، ولا بغيرهم من أهل الكتاب، فقد كان يقيم بالحاجر، وهو موغل في البادية، وأقرب اليهود إليه يهود المدينة، وإذا لم يرد في شعر الذين كانوا يساكنونهم من أهل المدينة ووادي القرى ما يدل على البعث والحساب، فبعيد أن يرد في كلام من لا يجمعه وإياهم جامع، وإنما هذا شيء يسوَّغ به ما لا يتوقع أن يرِد في شعر زهير. وكذلك البيت:

ومن هاب أسبابَ المنايا ينلْنَهُ
وإن يرْقَ أسبابَ السماءِ بسلَّمِ

فهذا قريب من معنى الآية: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾، كما أن فيه قربا من التعبير القرآني: ﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [سورة غافر، الآيتان ٢٦ و٢٧]. ومما يرجح عندي أن أبيات الحكمة ليست من القصيدة ما ورد في بعض المراجع مزيدا

(٢٤٣) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٢٧.
(٢٤٤) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ٢/ ٧٣٣.
(٢٤٥) الأصمعي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٦١.
(٢٤٦) انظر: المبرد، محمد بن يزيد الثمالي، الفاضل، تحقيق عبد العزيز الميمني، د. م، ١٩٥٥ م، ٦ (الهامش)، والزوزني، شرح المعلقات السبع، ٨٩، والقرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م، ١١٠.

على ما في الديوان[٢٤٧]، فإن هذا يدل على أن بعض الرواة تعمد أن يزيد في القصيدة ما ليس منها، وما أورد ثعلب من هذه الزيادة هو ما صح عنده، وإن لم يكن صحيحا. ومما أضيف إليها وليس منها البيت الأخير (ومن لا يزل يستحمل الناسَ نفسَه)، فقد قال بعض الرواة إنه مزيد، وليس من القصيدة[٢٤٨].

وشك طه حسين في القصيدة الهمزية أو أكثرها، لضعفٍ يراه فيها، واصطلاحات فقهية أحسها القدماء، فقاربوا بينها وبين رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء[٢٤٩]. وهو شك في محله؛ فإن فيها من الاضطراب ما يكون في الشعر المصنوع، فهي تنتقل من المعنى بغير نظام، وتعود إليه من غير حاجة، وليس فيها -إلى ذلك- إلا ما في الشعر الجاهلي، ويظهر هذا أكثر شيء في الأبيات الثلاثة عشر الأولى منها. ومن دواعي الشك فيها كثرة التشبيهات على وجه يخالف ما يصح من شعر زهير، ويشبه ما ينسب إلى امرئ القيس، وكثرة التقسيم والتكرار في الأبيات ٣٨ - ٤٦. ويبدو أن واحدا وثلاثين بيتا منها لا تصح، هي الأولى، وكذلك الأبيات التي تصف الخمر وشرب زهير لها، فقد كان ممن حرموا الخمر والأزلام على أنفسهم[٢٥٠]، فمن ثم خلا منها شعره غير هذه الأبيات. ومما يدل على كراهيته لها أنه مَدح هرم بن سنان بعدم إتلاف ماله فيها:

أخي ثقةٍ لا تُهْلِكُ الخمرُ مالَه
ولكنَّه قد يهلكُ المالَ نائلُهْ[٢٥١]

وما كان ليتمدَّح بما ينزه عنه غيرَه. أما الأبيات التي أُعجب بها بعض النقاد:

تنازعها المها شَبَهًا ودرُّ النحورِ
وشاكهتْ فيها الظباءُ...

فمما يشكك في صحتها التفصيل غير المعهود في شعر الجاهليين، مع أن كل الذي صنع قائلها أنه ركَّبها من تشبيهات معهودة، على وجه غير معهود. هذا إلى ما فيها من الفضول، نحو: من أدماء مرتعها الخلاء، فإن الظباء لا تكون إلا في الخلاء، وهي والمهاة التي لم يذكر مسكنها سواء في ذلك. ومن الفضول إضافة الدر إلى النحور، وليست لها خصوصية تقتضي ذكرها، وصفاؤها لا يتغير بتغير المكان الذي توضع فيه. من أجل هذا ما أطمئن إلى القصيدة، وأرى أنها إن صح شيء منها، فهو بضعة أبيات من الهجاء، ليس إلا.

٤- ديوان كعب بن زهير: ليس في ديوان كعب ما يمكن أن يجزم بصحته، غير "بانت سعاد"، والقطعة الهائية[٢٥٢]، التي روى منها ابن قتيبة ثمانية أبيات[٢٥٣]، وقطعة يائية من أربعة أبيات[٢٥٤]، وما عدا ذلك فجله مصنوع، وقد يكون في غير المصنوع ما هو له، لكن ليس في وسعنا أن نجزم بذلك. وهو بعيد من شعر زهير والحطيئة في إيجازه، وكثرة استعاراته، وإن وافق أباه في بعض المعاني والألفاظ. فمما يغلب على الظن أنه لا يصح القصيدة الأولى في الديوان[٢٥٥]، فإنها في بعاث، وهو موضع بناحية المدينة[٢٥٦]، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج في الجاهلية، لم تشهدها مزينة، وكانت حليفةً للأوس[٢٥٧]. على أن كعبا وأهل بيته كانوا في عداد بني عبد الله بن غطفان، "فيهم يعرفون، وإليهم يُنسَبون"[٢٥٨]، وذهب بعض أهل العلم من غطفان إلى أنهم منهم صلبية، وليسوا من مزينة[٢٥٩]. وكانت دارهم بنجد، بغضِّ النظر عن أصلهم، ولم يكونوا من أهل المدينة، هذا إلى ما في القصيدة من الضعف. والقصيدة السابعة[٢٦٠]، وهي الحائية التي منها الأبيات الشهيرة:

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسَّح بالأركان من هو ماسحُ

(٢٤٧) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٣٧، والأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ٢٥١.
(٢٤٨) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٨٥.
(٢٤٩) ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة،د. ت، ٢٣٨.
(٢٥٠) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١١٣.
(٢٥١) كعب بن زهير، ديوانه، ١٦٥.
(٢٥٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ١٥١.
(٢٥٣) كعب بن زهير، ديوانه، ١٦٥.
(٢٥٤) كعب بن زهير، ديوانه، ٤١.
(٢٥٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٥٣٥.
(٢٥٦) جاد المولى، محمد وآخران، أيام العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية، د. ت، ٧٦.
(٢٥٧) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٠٦.
(٢٥٨) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٠٩ وما بعدها.
(٢٥٩) كعب بن زهير، ديوانه، ٥١.
(٢٦٠) انظر تخريجها في: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٦٧ (الهامش).

وهي لابنه عقبة بن كعب، ومنهم من نسبها إلى كثير(٢٦١). والقصيدة الثانية عشرة(٢٦٢)، فإنها طويلة (٣٣ بيتا)، وهي في "السيرة النبوية"(٢٦٣)، ثلاثة عشر بيتا، الصحيح منها بعضها فقط. وقد شك فيها كلها طه حسين(٢٦٤). والثامنة عشرة(٢٦٥)، وهي في مدح علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وفيها من المعاني ما لا يقوله إلا المتأخرون. والثانية والثلاثون(٢٦٦) منحولة كلها ما عدا الأبيات الأربعة الأخيرة (فمن للقوافي شانها من يحوكها...)، وهي -غير الأبيات الأربعة- متهافتة، وفيها من التلفيق ما قد رأينا، ولا صلة لها بالأبيات الصحيحة، فهي في الغزل والخمر، ووصف الناقة والذئب والغراب، ولم ترد في شيء من المصادر القديمة التي يوثق بها. وشك طه حسين فيما في وصف الناقة من "بانت سعاد"(٢٦٧).

ومن الخير لنا أن نتنكب شعر كعب كله في هذه الدراسة، ما دامت هذه حاله؛ فإن ما ثبت لزهير يمكن أن يثبت لكعب، وإذا ثبت أنه لم يكن من عبيد الشعر، على جودة شعره، فلن يكون منهم كعب؛ لأن شعره دون شعره. هذا إلى أن ما نطمئن إلى صحته من شعره يغلب على الظن أنه لم ينقح، فالقطعتان الواوية والبائية من القِصَر بحيث لا تحتاجان إلى تنقيح، و"بانت سعاد" إما مرتجلة، وإما مُعدَّة في المدة التي ذكرنا، فهي إذن من الشعر المطبوع، وإذا كانت هي أمثل ما قال كعب، فما كان الذي هو أدنى منها ليُقضى في تنقيحه ما لم يقض في تنقيحها.

٥- ديوان الحطيئة: ليس في شعر الحطيئة ما يمكن أن يوثق به ثقة كاملة سوى قصائد قليلة، هي البائية(٢٦٨)، والرائيات الثلاث: "عفا مسحلان"(٢٦٩)، "ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ"(٢٧٠)، "شاقتك أظعان لليلى"(٢٧١)، والسينية(٢٧٢)، والدالية "ألا طرقتنا بعدما هجعوا هند"(٢٧٣)، واللاميتان: "أرى العير تُحدى بين قنٍّ وضارج"(٢٧٤)، "نأتك أمامة إلا سؤالا"(٢٧٥)، وما عدا هذا فأكثره ضعيف، وفيه كل ما قد رأينا من علامات الصناعة. وقد عد طه حسين شعره كله منحولا إلا السينية والدالية(٢٧٦).

ومن الموضوعية، في دراسة كهذه، أن نتنكب كل شعر رأينا فيه أدنى داع من دواعي الشك، وأن نقتصر على ما نثق بصحته؛ لأن نتيجة تبنى على مقدمات غير يقينية لا يمكن أن تكون أمثل منها. وأكثر ما أُخذ على عبيد الشعر كان في الذي نشك في صحته، ولو فرضت صحته ما كان إلا دليلا أقوى من كل دليل على ما نرى من عدم صحة ما نُسبوا إليه من طول التنقيح والتحكيك، والتكلف، لما فيه من التهافت والتلفيق. وإن كانت صحته ربما جاز أن تُحمَل على محمل آخر، هو أن ضعفه دليل على أن غيره كان ينال من التنقيح والتحكيك ما لم يكن ينال. وليس الأمر كذلك، فما نفينا صحته هو من الركاكة والتهافت بحيث لا يمكن أن يكون إلا مصنوعا، ولم ننف صحته لأنه غير جيد فقط، فثم فرق بين الصحيح غير الجيد، والمنحول الذي يصنعه من ليس بشاعر. وفيما أوردنا من الأمثلة ما لا نحتاج معه إلى مزيد من البيان. ثم إن هذا الذي نرى أنه أمثل ما نسب إليهم يتفاوت، ولا يسلم مما نسب إلى المطبوعين من العيوب.

وسوف تنصبُّ دراستنا على ما يصح لزهير والحطيئة دون سائر الشعراء؛ لأن في شعرهما من التميز ما ليس في شعر جاهلي، وإذا ثبت أنه مطبوع، كان الذي هو دونه أولى بالطبع وأغنى عن طول التنقيح. ويدلُّ شعر زهير والحطيئة على أنهما لا يختلفان عن غيرهما من الجاهليين، من حيث الطبع والصنعة، ففيه كلُّ ما أُخذ على غيرهما، من الضرورة المستقبحة، والحشو، وخطأ المعاني، وضعف

(٢٦١) كعب بن زهير، ديوانه، ٥٨.
(٢٦٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٣-٤/ ٥١٤.
(٢٦٣) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٩١.
(٢٦٤) كعب بن زهير، ديوانه، ٧٨.
(٢٦٥) كعب بن زهير، ديوانه، ١١٧.
(٢٦٦) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ١٢٧.
(٢٦٧) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٥.
(٢٦٨) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ١٩.
(٢٦٩) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٢٤٧.
(٢٧٠) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٥٣.
(٢٧١) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٤٤.
(٢٧٢) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٦٣.
(٢٧٣) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٢٢٩.
(٢٧٤) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، ٢٤٧.
(٢٧٥) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٩٦.
(٢٧٦) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١١٣.

البناء، والتكرار، وعدم تحاشي ما سُبقا إليه من الألفاظ والمعاني. وإذا كان قد تأتى لهما من الإجادة والتوفيق ما لم يتأت لغيرهما، فإنما مرد ذلك إلى الطبع والموهبة، وقوة الحوافز، وليس إلى تنقيح وتحكيك زائدين على ما كان يفعل غيرهما؛ فإن التنقيح يعين على تبين النقص وإصلاحه، لكنه لا يستلزم إبداعا ولا تميزا.

زهير

فمما وقع في شعر زهير من القصور الدالّ على عدم طول التنقيح:

١- الحشو والفضول: ونعني بهما إيراد ما بالمعنى غنى عنه من المفردات التي تجلب لإتمام الوزن، أو يُتبلَّغ بها إلى القافية، كقوله:

وذي نسبٍ ناءٍ بعيدٍ وصلتَه
بمالٍ وما يدري بأنك واصلُهْ[٢٧٧]

فالنائي والبعيد مترادفان، وكون الموصول به مالا من المتعين في هذا البيت؛ فذكره فضول. وقوله:

وكلُّ محبٍّ أعقبَ النأيُ قلبَه
سلوَّ فؤادٍ، غيرَ لبِّك ما يسلو[٢٧٨]

فاللب والفؤاد مترادفان، وذكرهما ثلاث مرات من الفضول، وكان يغنيه أن يقول: وكل محب أعقب النأي قلبه سلوًّا، غير لبك ما يسلو. وشبيه بهذا قوله: "فلأيا عرفت الدار بعد توهم"، "فلما عرفت الدار قلت لربعها"[٢٧٩]، فليس تكرار الدار مما يُحمَد، وهو مُؤْذِن بالخضوع لمقتضى الوزن أكثر من انسياقه مع ما يقتضي المعنى. وكذلك قوله: "إلى كلأ مستوبَل متوخَّم"[٢٨٠]، فمستوبل ومتوخم مترادفان. وقوله:

فأقسمتُ جَهْدًا بالمنازلِ من منًى
وما سُحِفَتْ فيه المقادمُ والقَمْلُ[٢٨١]

فـ"القمل" مجاز، يراد به الشَّعَر؛ لأنه محلُّه[٢٨٢]، والمقادم هي النواصي، وهي بعض الرأس، وذكر حلقها يغني عن ذكر حلق سائره، ولكن "القمل" هو الذي تقام به القافية.

ولو كان زهير ينقح كالذي يُدَّعَى له، لوجد مندوحة عن لفظ سمج، هو في غنى عنه. وقد انتقد طه حسين إيراده الكلمة، لا من حيث هي مستكرهة من أجل القافية، وإنما من حيث ما تدل عليه من القذارة المنافية للذوق المتحضر[٢٨٣]، ولم يفطن إلى دلالة ذكرها على خلاف ما ادعى هو وغيره من طول تنقيح زهير. ومن الفضول قوله:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثِهمْ
طِوالَ الرماحِ لا قصارٌ ولا عُزْلُ[٢٨٤]

فطول الرماح كناية عن طول القامات، وهو يغني عن "لا قصار"، وذكر الرماح يغني عن "ولا عزل"؛ لأن الرماح كناية عن عدة الحرب كلها، ومن طار إلى الحرب متسلحا كان من الفضول أن يقال إنه لم يكن أعزل، ولو اقتصر على "طوال الرماح" لكان أبلغ؛ لما فيه من الجمع بين الكناية عن تمام العدة، وطول القامات في لفظ واحد. وقوله:

إذا السنةُ الشَّهباءُ بالناس أجْحَفَتْ
ونالَ كرامَ المالِ في السنةِ الأكْلُ[٢٨٥]

فالسنة الثانية من الحشو الذي يقام به الوزن، والأُولى تغني عنها. وقوله:

وفيهمْ مقاماتٌ حسانٌ وجوهُها
وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ
وإن جئتَهم ألفيتَ حولَ بيوتِهم
مجالسَ قد يُشفَى بأحلامِها الجهلُ[٢٨٦]

فالمقامات، إذا أريد بها المجالس، مرادفة للأندية والمجالس، وذكر الثلاثة، وهي مترادفة، من الفضول، وإن كانت جمعَ مَقامة، أي: الذي يقوم فيتكلم في الحض على المعروف[٢٨٧]، كان الفضول في الجمع بين الأندية والمجالس، وهما مترادفان. وقوله:

وأخلفتْكَ ابنةُ البكريِّ ما وعدتْ
فأصبح الحبلُ منها واهيًا خَلَقَا[٢٨٨]

فـ"ابنة البكري"، بعد قوله: "وعُلِّقَ القلب من أسماء

(٢٧٧) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٨٤.
(٢٧٨) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٨ وما بعدها.
(٢٧٩) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٣١.
(٢٨٠) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٨٥.
(٢٨١) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٨٥.
(٢٨٢) حسين، طه، حديث الأربعاء، ٩٩.
(٢٨٣) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٨٦.
(٢٨٤) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٩٢.
(٢٨٥) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٩٣.
(٢٨٦) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٩٤.
(٢٨٧) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٣٩.
(٢٨٨) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ٩/ ١٤٤.

ما عُلِّقا" من الحشو، فإن الذهن لا ينصرف إلا إلى "أسماء"، ونسبتها إلى بكر ليست مما يزيدها؛ لأنها مما درج على ألسنة الشعراء. ومن الحشو: "واهيا خلقا"، فهما مترادفان. وقوله:

بجيدِ مُغزِلةٍ أدماءَ خاذلةٍ
من الظباءِ تراعي شادنًا خَرِقَا

فأكثر هذا البيت فضول، فإن "من الظباء" بعد "مغزلة" و"خاذلة" وقبل "تراعي شادنا" فضول؛ فالمغزلة هي الظبية ذات الغزال، وهذا يفهم من "خاذلة"، و"تراعي شادنا"؛ إذ الخاذلة هي: المقيمة على ولدها لا تتبع الظباء، والشادن: ولدها الذي قد شدن، أي تحرك ولم يقْوَ بعْدُ[٢٨٩]، وهو عكس الخرق، أي الذي "لا يقدر أن يتحرك ولا يدري كيف يأخذ من ضعفه وصغره"[٢٩٠]. وكان يغنيه عن كل ما قال: بجيد أدماء خاذلة تراعي خرقا. و"سُحُقًا" في قوله: "تَسْقِي جنة سحقا"[٢٩١] من الفضول، "ولم يقصد إلى معنى، وإنما ذكرها للقافية"[٢٩٢]. وكذلك قوله: "رائدا قلقا"[٢٩٣]، فإن الرائد هو الذي يذهب ويجيء، وهو معنى "قلقا" أيضا. وقوله:

أغرُّ أبيضُ فيَّاضٌ يفكِّكُ عن
أيدي العُفَاةِ وعن أعناقها الرِّبَقَا[٢٩٤]

فالجمع بين الأيدي والأعناق من الفضول، والاقتصار على التفكيك أبلغ؛ لأنه أعم وأوجز، فإن كان لا بدَّ ذاكرا ما يُفَكُّ فتكفيه "الأعناق"؛ لأن الفك عنها يغني عن الفك عما دونها. وقوله: "وليس مانع ذي قربى ولا نسب"[٢٩٥]، فالقربى والنسب واحد. و"الحبْس" و"الأَصْر"، في قوله: "عام الحبْس والأصْر"[٢٩٦]، مترادفان.

٢- التناقض: كقوله:

وكلُّ محبٍّ أعقبَ النأيُ لبَّه
سُلوَّ فؤادٍ، غيرَ لبِّكَ ما يسْلُو[٢٩٧]

(٢٨٩) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٤٩.
(٢٩٠) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٤٢.
(٢٩١) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٤٢ (الهامش).
(٢٩٢) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٤٢ (الهامش).
(٢٩٣) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٤٩.
(٢٩٤) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٤٢.
(٢٩٥) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٧٧.
(٢٩٦) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٨٤.
(٢٩٧) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٧٨.

بعد قوله:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو

وقوله في هرم:

أنْ نِعْمَ مُعترَكُ الجياعِ إذا
خَبَّ السفيرُ، وسابئُ الخمْرِ[٢٩٨]

وهو يمدحه في بيت آخر بأنه:

أخو ثقةٍ، لا تهلكُ الخمرُ مالَه
ولكنَّه قدْ يُهْلِكُ المالَ نائلُهْ

ومنه قوله الشهير:

قفْ بالديار التي لم يعْفُها القِدَمُ
بلى وغيَّرها الأرواحُ والدِّيَمُ

ادعى أن الديار غيَّرتها الأرواح والديم بعد أن قال إنها لم يعفها القدم[٢٩٩]، ولكن القاضي الجرجاني قال إن بعضهم اعتذر له بأنه أراد أن يدل "على تمكُّن الشوق منه، وغلبة الحب عليه، وليُرِيَ أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه، وأنه مشغول عن تقويم خطابه"[٣٠٠].

٤- خطأ المعاني: كقوله:

يخرجْنَ من شرَباتٍ ماؤُها طَحِلٌ
على الجذوعِ، يخفْن الغمَّ والغَرَقا[٣٠١]

فالضفادع لا تخاف "الغم ولا الغرق، وإنما ذلك لأنها تبيض في الشطوط"[٣٠٢].

٥- الضرورة: ومما وقع فيه من اللحن ضرورةً قوله:

تجْدهم على ما خيَّلتْ هم إزاءَها

فإن الفعل "تجد" لم يتقدمه ما يجزمه، إلا (إذا)، وهي لا تجزم إلا في الضرورة[٣٠٣]. ومن اللحن قوله: "لا قصارٌ ولا عزلُ"، ف"قصار" و"عزل" معطوفان على "طوالَ الرماح"، وهو حال، فحق المعطوف عليه أن ينصب. ورفعُ صفة المجرور، في قوله:

يحشُّونها بالمشرفيَّة والقَنا

(٢٩٨) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١١٦.
(٢٩٩) المرزباني، الموشح، ٤٥. معنى العبارة واضح، ولكن في ألفاظها خللا، فيما يبدو، لم يهتد المحقق إلى إصلاحه.
(٣٠٠) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ٤٤٢.
(٣٠١) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٤٤.
(٣٠٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ١٥٠، الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ٣٧، القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٠.
(٣٠٣) ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٣، ١٩٧٢م، ١٢٧.

وفتيانِ صدقٍ، لا ضعافٌ ولا نكلُ

فـ"ضعاف" و"نكل" صفتان لـ"فتيان"، وهو مضاف إليه. ولن نلتفت إلى ما يقول النحويون من كونه مرفوعا على القطع، فإن ذلك "من المعاذير المتمحلة" التي كانوا يلتمسون للجاهليين إعظاما لهم، وكلفا بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد فيهم، وأَلِفَتْه النفس منهم(٣٠٤).

ومن الضرورة تسمية الشيء بغير اسمه، كقوله: "كأحمر عاد"، وإنما هو أحمر ثمود(٣٠٥)، ولكن عادا هي التي يستقيم بها الوزن. وهوخطأ وقع فيه غيره ممن لا يعرفون بتنقيح، كالأعشى، والشماخ(٣٠٦)، وهو دليل آخر على أنه لم يكن يولي شعره من العناية والتعاهد أكثر مما كان المطبوعون يولون شعرهم. هذا إلى أن زهيرا كان يخرج من الغرض إلى غيره كيفما اتفق، كما فعل في المعلقة مثلا، فإنه بينما هو في الغزل ووصف نزول الأظعان واستقرارهن:

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُه

وضعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيِّمِ(٣٠٧)

هجم على الغرض الرئيس، فقال:

سَعَى سَاعِيا غَيْظِ بنِ مرَّةَ بعْدَما

تبزَّل ما بيْنَ العَشيرةِ بالدَّمِ(٣٠٨)

وهي الطريقة التي يتبع في قصائده كلها. وهذا مباين للتجويد والتنقيح، وملائم للطبع الذي ترسل فيه النفس على السجية، ثم لا يُتدخَّل فيما تأتي به، مع أن بعض معاصريه الذين لم يوصفوا بتنقيح، ولا عبودية للشعر، كان ربما أحسن التخلص من المقدمة الغزلية إلى وصف الناقة، ومن وصف الناقة إلى الغرض الرئيس، كلبيد، وعنترة في معلقتيهما(٣٠٩). وهو أمر ما يعجز عنه من يتلوَّم على إصلاح شعره حولا.

وأكثر المآخذ المذكورة هاهنا كان في قصيدتين، اللامية (صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو)، والقافية (إن الخليط أجد البين فانفرقا) وهما من أجلِّ مدائح زهير وأطولها، ولو كان ينقح شعره ذلك التنقيح الذي ادُّعيَ له، ما وقع فيهما ما قد رأينا. وإذا لم تُنقَّح هاتان القصيدتان، ويُتلوَّمْ على إصلاحهما، فغيرهما أغنى عن التنقيح والتلوم.

الحطيئة

بالغ بعض الأولين في الثناء على الحطيئة، وسلامة شعره من أكثر ما يؤخذ على الشعراء(٣١٠)، غير أن ما يؤخذ عليه ليس بتلك القلة، إذا قورن بقلة شعره، على جودة شعره وتميزه. ومما يؤخذ عليه:

١- السرقة: وهي عنده نوعان: سرقة النفس، وسوف نسميها التكرار، وسرقة الغير.

أ- التكرار: فالحطيئة يكرر معانيه كثيرا بألفاظ متقاربة، كقوله:

ومنعتَ وُفْرًا جُمِّعتْ

فيها مذمَّمةٌ خَناجرْ(٣١١)

وقال في قصيدة أخرى:

وابعثْ يَسارًا إلى وُفْرٍ مذمَّمةٍ

واحْدِجْ إليه بذي عَرْكَينِ قِنْعاسِ(٣١٢)

وقال:

وهمُ سقوني المحضَ إذْ

قلِصتْ عن الماءِ المشافرْ(٣١٣)

وقال:

قروْا جارَكَ العَيْمانَ لما جفوتَه

وقلَّصَ من بَرْدِ الشتاءِ مشافرُهْ(٣١٤)

وقال:

أولئكَ قومٌ إن بنوا أحسنوا البِنا

وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقَدُوا شدُّوا(٣١٥)

وقال:

قومٌ إذا عقَدُوا عقْدًا لجارهمُ

شدُّوا العِناجَ وشدُّوا فوْقَه الكَرَبا(٣١٦)

وقال:

(٣٠٤) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ١٠.
(٣٠٥) المرزباني، الموشح، ٥٧، القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ١٣.
(٣٠٦) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ٢٤١.
(٣٠٧) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٢٢.
(٣٠٨) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ٢٣.
(٣٠٩) انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ٢٧٥ و ٢٨٨ و ٤٣٤ وما بعدها.
(٣١٠) الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ٤٤ و ٤٦.
(٣١١) الحطيئة، ديوانه، ٣٤.
(٣١٢) الحطيئة، ديوانه، ٥٠.
(٣١٣) الحطيئة، ديوانه، ٣٧.
(٣١٤) الحطيئة، ديوانه، ٣١.
(٣١٥) الحطيئة، ديوانه، ٤١.
(٣١٦) الحطيئة، ديوانه، ١٥.

ما كان ذنبُ بَغيضٍ أن رأى رجلا
ذا فاقةٍ عاش في مستوعِرٍ شاسِ[٣١٧]

وقال:

ما كان ذنبُ بغيضٍ لا أبالكمُ
في بائسٍ جاءَ يحدو أينُقا شُسُبا[٣١٨]

ما كان ذنبُكَ في جارٍ جعلتَ له
عَيْشًا، وقد كان ذاق الموتَ أوكَرَبا[٣١٩]

وقال:

همُ لاحموني بعْد جَهدٍ وفاقةٍ
كما لاحَمَ العظمَ الكسيرَ جبائرُهْ[٣٢٠]

وقال:

حتى وعيتُ كوعْيِ عظْـ
ـم الساقِ لاحمَه الجبائرْ[٣٢١]

وقال:

ما كان ذنبيَ أن فلَّتْ معاولَكمْ
من آلِ لأْيٍ صفاةٌ أصلُها راسي[٣٢٢]

وقال:

لهم سَورةٌ في المجدِ لو تُرتَدَى بها
بَراطيلُ جوَّابٍ نبتْ ومناقرُهْ[٣٢٣]

فإن الصَّفا العاديَّ لن تستطيعَه؛
فأقصرْ ولم يبلغْ من الشر آخرُهْ[٣٢٤]

وقال:

أخرجْتَ جارَهمُ من قَعْرِ مظلمةٍ
لو لم تُغِثْهُ ثوَى في قعْرِها حِقَبَا[٣٢٥]

وقال:

غيَّبتَ كاسبَهم في قَعرِ مُظلِمةٍ
فاغفرْ، عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ![٣٢٦]

ويدور أكثر ما نرى أنه صحيح من شعره على معنى واحد، هو مدح بني قريع[٣٢٧]، ومقارنة ما فعلوا بما فعل الزبرقان، وأنهم سبقوه وفضَلوه، وأن بغيضا لا ذنب له أن قصَّر الزبرقان فسدَّ مسدَّه. وهذا دليل على أنه لا يتكلف، ولا يتطلب أمثل مما يجيئه عفوا، ولو معادا مكرورا.

ب- السرقة: يقع الحطيئة في السرقة التي يبدو فيها بعض ما يقول استنساخا لما قال غيره، حتى ليوردُ الأسماء على الوجه الذي يوردها غيره، كما يُرى في قصيدته الرائية:

عفا مُسْحَلان من سلمى فحامِرُهْ
تَمشَّى به ظِلمانُه وجآذرُهْ

فمجيء "مسحلان وحامر" متواليين في البيت مثل مجيئهما متواليين في بيت النابغة:

وإن كنتُ أرْعى مسحلانَ فَحامِرًا[٣٢٨]

وتمشِّي الظلمان والجآذر في ديار سليمى هو التأبُّد الذي ذكر غيره من الشعراء، كزهير، ولبيد، في معلقتيهما:

بها العين والآرام يمشين خِلْفةً
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[٣٢٩]

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبَّد غولها فرجامها

وعلا فروعُ الأيهُقانِ وأطْفلتْ
بالجَلْهتينِ ظِباؤُها ونَعامُها

والعِينُ ساكنةٌ على أطلائها
عوذًا تأجَّلُ بالفضاء بِهامُها[٣٣٠]

وقوله:

بمستأسِدِ القُرْيانِ حُوٍّ تلاعُه
فنُوَّارُه ميلٌ إلى الشمسِ زاهرُهْ[٣٣١]

من قول زهير:

وغيثٍ من الوَسْميِّ حُوٍّ تِلاعه
أجابتْ روابيه النِّجاءَ هواطلُهْ

فقال: شياهٌ راتعاتٌ بقَفْرةٍ
بمستأسد القريان حوٍّ مسائلهْ[٣٣٢]

وما قال في وصف النؤي وحفْره:

(٣١٧) الحطيئة، ديوانه، ٤٨.
(٣١٨) الحطيئة، ديوانه، ١٧.
(٣١٩) الحطيئة، ديوانه، ١٨.
(٣٢٠) الحطيئة، ديوانه، ٣٢.
(٣٢١) الحطيئة، ديوانه، ٦١.
(٣٢٢) الحطيئة، ديوانه، ١٠٩.
(٣٢٣) الحطيئة، ديوانه، ٢١.
(٣٢٤) الحطيئة، ديوانه، ٢٨.
(٣٢٥) الحطيئة، ديوانه، ١٨.
(٣٢٦) الحطيئة، ديوانه، ١٩٢.
(٣٢٧) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٠٤.
(٣٢٨) النابغة الذبياني، ديوانه، ١٣٣.
(٣٢٩) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٧.
(٣٣٠) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ٣٢١ و ٤٢٥.
(٣٣١) الحطيئة، ديوانه، ٢٠.
(٣٣٢) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٠٣ و ١٠٥.

خلا النؤيَ بالعلياءِ لم يعْفُه البِلى
إذا لم تأوِّبْه الجَنوبُ تباكرُهْ
رأتْ رائحًا جَوْنًا فقامت غريرةً
بمِسْحاتها قبلَ الظلامِ تُبادِرهْ
فما فرغتْ حتى أتى الماءُ دونَها
وسُدَّتْ نواحيه ورُقِّع دابرهْ[٣٣٣]

مأخوذ من قول النابغة الذبياني:

يا دارَ ميةَ بالعلياء فالسَّندِ
أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ
خلَّت سبيلَ أتيٍّ كان يحبِسُهُ
ورفَّعتْه إلى السَّجْفينِ فالنَّضَدِ[٣٣٤]

وقوله:

الواهب المائةِ الصفايا
فوقَها وبرٌ مُظاهرْ[٣٣٥]

من قول النابغة:

الواهب المائة المِعْكاء زيَّنها
سَعْدانُ توضحَ في أوبارها اللِّبدُ[٣٣٦]

وقوله:

قومٌ إذا عقدوا عقدًا لجارهمُ
شدُّوا العِناجَ وشدوا فوقَه الكَربا[٣٣٧]

مأخوذ من قول أبي دواد الإيادي:

إذا ما عقدنا له ذمةً
شددنا العِناجَ وعقْدَ الكربْ[٣٣٨]

وقد رأينا أن هذا المعنى يتكرر في شعر الحطيئة، بعد أن أخذه من غيره. ومنه قوله:

إذ تستبيكَ بمصقولٍ عوارضُه
حِمشِ اللِّثاتِ تَرى في غَرْبه شَنَبا[٣٣٩]

فإن عبارة "إذ تستبك" ترد في شعر الجاهليين، كقول عنترة:

إذ تستبيكَ بذي غُروبٍ واضحٍ
عذبٍ مقبَّلُه شهيِّ المطعمِ[٣٤٠]

ووردت "مصقول عوارضه" في قول الأعشى:

غرَّاءُ فرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها
تمْشي الهُوَيْنى كما يمشي الوَجِلُ[٣٤١]

والرضا بالمبتذَل والدارج الجاهز خلاف ما تقتضي الصنعة والتكلف. وهذا يدل على أن الثقافة التي تتحكم في الحطيئة حين يقول الشعر هي الثقافة التي تتحكم في سائر الجاهليين، فيكون في شعرهم من التكرار ما قد رأينا. كما يدل تكراره ما يقول على أنه يرضى بما يأتيه عفوا، فإن تميزَ كان تميُّزه عن طبع لا تعمُّل فيه ولا تكلُّف. والمهم من دلالة السرقة بنوعيها في شعر الحطيئة أن الذي يكتفي بالجاهز من المعاني والألفاظ، ويقتصر بعضُ عمله على إعادة صياغة الجاهز ليلائم البناء العروضي لقصيدة جديدة، ليس في حاجة إلى تنقيح وتحكيك، إذ ما ينقَّح ويحكَّك إلا المخترَع، أما المعاد إعادة لا تميُّزَ فيها ولا إضافة، فلا معنى لأن يحكَّك؛ لأن الذي يستعيده راض به على الحالة التي ألفاه عليها، إذن لاخترع ما هو أرضى له، وتنكب غيره. وقد غفل طه حسين عن هذا، على تنبهه إلى أن بعض "عبيد الشعر" كان يستعيد شعر بعض، لكنه حمل ذلك على وحدة المذهب الفني[٣٤٢]، وهو رأي غير دقيق.

٢- الضرورة: ومن الضرورة قوله:

فلما خشيتُ الهَونَ والعَيرُ ممسكٌ
على رَغمِه ما أمسكَ الحبلَ حافرُهْ[٣٤٣]

قلبَ الإعراب ضرورةً، وحقه أن يكون: ما أمسك الحبلُ حافرَه، وهو من عيوب الشعر[٣٤٤]. ووقع فيه مرة أخرى، في بيتين نسبهما إليه المرزباني، هما:

فلو أني شهدتُ أبا معاذٍ
غداةَ غدا بمهجتِه يفوقُ
فديتُ بنفسِه نفسي ومالي

(٣٣٣) الحطيئة، ديوانه، ٢١.
(٣٣٤) النابغة الذبياني، ديوانه، ٢ و ٤.
(٣٣٥) الحطيئة، ديوانه، ٦٢.
(٣٣٦) النابغة الذبياني، ديوانه، ١٦.
(٣٣٧) الحطيئة، ديوانه، ١٥.
(٣٣٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٢٣٤.
(٣٣٩) الحطيئة، ديوانه، ٦.
(٣٤٠) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ١٣٩.
(٣٤١) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، د. م، ١٩٥٠ م، ٥٥.
(٣٤٢) حسين، طه، حديث الأربعاء، ١٢٥ - ١٢٧.
(٣٤٣) الحطيئة، ديوانه، ٢٤.
(٣٤٤) المرزباني، الموشح، ١١٣.

وما آلوكَ إلا ما أُطيقُ[٣٤٥]

أي: فديت نفسَه بنفسي. ومن الضرورة استعارة المشافر للشفاه، في بيتيه السابقين: (قروا جارك العيمان)، (وهمُ سقوني المحض)، فلو وجد عنها مندوحة ما أتاها، "وكل ما جرى هذا المجرى من الاستعارة فقبيح لا عذر فيه"[٣٤٦]. وقد عدَّ المرزباني البيت الأول "من الأبيات المستكرهة الألفاظ، القلقة القوافي، الرديئة النسج، فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها أو قوافيها وألفاظها ومعانيها"[٣٤٧]. وإنّما يقع في الضرورة من لا ينقح؛ إذ ما من ضرورة إلا يمكن توقيها[٣٤٨].

٣- الفضول: كقوله:

ألا حبذا هندٌ وأرض بها هندُ

وهندٌ أتى من دونها النأي والبعْدُ

فالنأي والبعد مترادفان، وهذا مما ذمه به المرزباني أيضا[٣٤٩]. وقوله:

قالت أمامةُ: لا تجزعْ! فقلت لها:

إن العزاءَ وإن الصبرَ قد غُلِبا!

فالعزاء والصبر مترادفان[٣٥٠].

٤- إيقاع اللفظ في غير موقعه، كقوله:

رأتْ رائحا جَوْنًا فقامت غريرةً

بِمِسْحاتِها قبلَ الظلامِ تبادرُهْ

"أوقع الجافي الجلفُ هذه اللفظة (مسحاة) في غير موقعها، وبخَسها حقها حين جعلها في غير مكانها حقا، لأن المساحي لا تصلح للغرائر"[٣٥١]. وقد وجد الحطيئة (المسحاة) في بيت النابغة:

ولبَّده ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

وهو يصف الأطلال، ولكنه لم يجعل صاحبته هي التي تصلح النؤي بنفسها، وإنما جعل ذلك إلى الوليدة، أي الخادمة، فأوقعه الحطيئة على صاحبته، فجعلها تعمل بنفسها ولا تجد من يكفيها العمل، ولو كان يتلوَّم وينقح ما وقع في هذا.

٥- ترك التصريع: كما في القصيدة السينية:

واللهِ ما معشرٌ لاموا امرأً جُنُبًا

منْ آلِ لأْيِ بن شمَّاسٍ بأكْياسِ

والبائية:

طافتْ أمامةُ بالرُّكْبانِ آونةً

يا حسْنَه مِن قَوامٍ ما ومُنْتَقبَا

وترك التصريع دليل على عدم التكلف، والرضا بالعفو.

٦- ترك التخلص من المقدمات المعهودة إلى الأغراض الرئيسة: وهو في هذا شبيه بزهير، فمن دأْبه أن يخرج من المقدمة إلى الغرض الرئيس من غير تمهيد، ودلالة هذا في شعره كدلالتها في شعر زهير.

٧- تفاوت الشعر: فليس شعر الحطيئة -سواء في الجودة، فالقصيدة البائية -مثلا- عادية، ويندر فيها التعبير المعجب، والمعنى الجيد، وإنما هي بين تعبير متداول، وآخر مكرور أو مسروق، أو عادي لا تميز فيه. وتفاوت الشعر دليل آخر على الطبع؛ إذ مقتضى التنقيح أن يكون في غاية ما يستطيع الشاعر من الكمال، لمكان الصنعة والتكلف، كما ظن الأصمعي بشعره وشعر زهير. وهذا التفاوت موجود في شعرهما، كما هو موجود في شعر غيرهما.

هذه بعض المآخذ التي تؤخذ على شعر زهير والحطيئة لم نعتمد أن نستقرئها استقراء دقيقا، وإنما اكتفينا بأبرزها، مما نبه عليه الأقدمون، وتبين لنا من مراجعة شعرهما مراجعة سريعة.

وإذا ميز العادي من شعر زهير والحطيئة من الجيد البارع، فربما ألفي أكثره عاديا، فلامية زهير:

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلُهْ

وعُرِّي أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ

من عيون المدائح، وهي خمسة وأربعون بيتا، لكن المميز منها لا يزيد على اثنين وعشرين بيتا، أما سائرها فعادي، ليس فيه تعبير معجب، أو معنى مخترع، ولا يختلف عن الكلام الذي لا تُلتمس له غاية وراء الإبلاغ، كهذه الأبيات مثلا:

فأصبحن ما يعرفن إلا خليقتي

(٣٤٥) المرزباني، الموشح، ١١٣ وما بعدها.

(٣٤٦) المرزباني، الموشح، ٨١.

(٣٤٧) المرزباني، الموشح، ١٢٣.

(٣٤٨) انظر: عبد اللطيف، محمد حماسة، لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ٩٥ وما بعدها.

(٣٤٩) المرزباني، المرزباني، الموشح، ١٢٤.

(٣٥٠) ابن الأثير، المثل السائر، ٣/ ٣٨.

(٣٥١) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر، د. ت، ٦/ ٢٠٧.

وإلا شبابَ الرأسِ والشيبُ شاملهْ

لمن طللٌ كالوحيِ عافٍ منازلُهْ
عفا الرسُّ منه فالرُّسَيسُ فعاقلهْ
ففُفٌّ فصاراتٌ فأكنافُ منْعِجٍ
فشرقيُّ سلمى حوضُه فأجاولُهْ
فهضْبٌ، فرَقْدٌ، فالطَّوِيُّ فنادِقٌ،
فوادي القَنانِ حَزْنُه فمداخلُهْ
فبينا نبغّي الصيد جاءَ غلامُنا
يدِبُّ ويخفي شخصَه ويضائلُهْ
فقال: شياهٌ راتعاتٌ بقفرةٍ
بمستأسدِ القُرْيانِ حوٍّ مسائلهْ
وقد خرَّم الطرَّادُ عنه جِحاشَه
فلم يبْقَ إلا نفسُه وحلائلهْ

والشعر العادي لا يحتاج إلى تنقيح وطول تلوُّم، إن كان الجيد يحتاج إلى ذلك؛ ولا سيما الأبيات التي هي تعداد للأمكنة التي فيها أطلال صاحبته، فلا اختراع فيها ولا تميز، ولا أسلوب يستعمل في غير اللغة العادية، وما في بعضها من الصور إما مبتذل، كتشبيه الطلل بالوحي (الكتابة)، وإما وصفي مباشر، ليس فيه ما هو غريب أو طريف، كالصورة التي في الأبيات الثلاثة الأخيرة. ويقال مثل ذلك في دالية الحطيئة، فهي خمسة عشر بيتا، سبعة منها ليس فيها ما يقتضي جهدا ولا فكرا سوى الوزن، كهذه الأبيات:

ألا طرقتْنا بعدما هجدوا هندُ
وقد سِرْن غورًا واستبانَ لنا نجدُ
ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ
وهندٌ أتى من دونها النأيُ والبعدُ
وإن التي نكَّبتُها عن معاشرٍ
عليَّ غضابٍ أنْ صددتُ كما صدُّوا
فإن الشقيَّ من تعادي صدورُهم
وذو الجَدِّ من لانوا إليه ومن ودُّوا
فإن كانت النعماءُ فيهم جزوا بها
وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا

وبعض الأبيات قد يكون عاديا، غير عبارة من البيت، ولا تكون أيضا بذلك التميز الذي يحوج إلى تلوم وطول أناة وتفكر، كقول الحطيئة:

أتت آلَ شمَّاسِ بْنِ لأْيٍ، وإنما
أتاهمْ بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ[٣٥٢]

فـ"الحسب العد" هي أمثل ما في البيت؛ لما فيها من تشبيه حسب آل شماس، وفعالهم التي ينهض بها الخلف بعد السلف، بالماء الذي لا ينقطع، أما سائر البيت فعادي. وغني عن القول أن زهيرا ما كان ليمضي حولا في نظم اثنين وعشرين بيتا وتنقيحها، ولا الحطيئة أربعةَ أشهر في نظم ثمانية أبيات. وهذه حال شعرهما كله، وحال شعر غيرهما، كما قال الصولي: "كان الشعراء قبل أبي تمام يبدعون في البيت والبيتين من القصيدة، فيُعتدُّ بذلك لهم من أجلِّ الإحسان"[٣٥٣].

والصنعة اللفظية التي يمكن القول بأن تطلُّبها ربما أحوج إلى مزيد من القيام على الشعر لا أثر لها في شعر زهير والحطيئة، إلا ما يرد فيه من الاستعارة، والكناية، والتشبيه، ولم تكن الاستعارة والكناية في شعرهما بتلك الكثرة التي تحمل على الظن أنها كانت من تحرٍّ وتطلُّب متعمَّدين، وهما، وإن كانتا في شعرهما أكثر منهما في شعر غيرهما، أثر من موهبتهما، وليست من تكلف ولا من طول تنقيح، فما أكثر من يتكلف ويتصنع ثم لا يكون في وسعه أن يجاوز مقدرته الطبيعية. وفي الحياة العادية من تكثر في كلامه أساليب، كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والتعريض، والتلميح، والجناس، تأتيه عفوا، وتكون مع ذلك في غاية الحسن، كأنما يُلهمها إلهاما، فيُعرَف بها، وتكون خصيصة من خصائص كلامه، وعنصرا من عناصر شخصيته عند معارفه، على حين أن غيره لا يكاد يهتدي إلى شيء منها، مهما تكلف، فإن اهتدى إليه لم يكن في حسن ما يأتي ذلك ولا قريبا منه، كما يروى عن ذي الرمة أنه قال: "إذا قلتُ "كأنه"، ثم لم أجد مخرجا فقطع الله لساني"[٣٥٤]، وكان -إلى ذلك- من أحسن الشعراء تشبيها[٣٥٥]، ولم يكن معدودا في عبيد الشعر، ولا مذكورا

(٣٥٢) الحطيئة، ديوانه، ٦٤.
(٣٥٣) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أخبار أبي تمام، تحقيق خليل عساكر وآخرين، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، د. ت، ٣٨.
(٣٥٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/ ١٠٩.
(٣٥٥) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ٢/ ٥٤٩، الأصفهاني، لأغاني، ١٦/ ١٠٩.

بطول تنقيح. أما التشبيه فكان أشيع الأساليب البيانية في الشعر الجاهلي[٣٥٦]، ووجوده في شعر زهير والحطيئة ليست له دلالة تختلف عن دلالته في شعر سائر الجاهليين.

وينبغي أن ينظر في إحسان زهير من جانب آخر، هو أنه نبت في أهل بيتٍ شعراء[٣٥٧]، وكانت عشيرته شاعرة، ففي خبر وفاة خاله بشامة بن الغدير أنه قال له: "وقد علمت العرب أن حصاتَها وعينَ مائها في الشعر هذا الحي من غطفان"[٣٥٨]، وهو خبر ما نعول عليه في ذاته، وإنما نعول على دلالته التي نظن أنها صحيحة، فزهير نشأ في بيئة شاعرة، فوجد الطريق إلى الإبداع لاحبا، والمثال الذي يحذو عليه قائما، ولم يكن كالذي يسلك طريقا لم يسبق إليه، فهو يسير على غير هدى. وهذا عون على أن يكون له من تميز اللغة الشعرية ما لم يكن لغيره.

مناقشة

سنقف الآن عند آراء القدماء والمحدثين في عبيد الشعر لنناقشها مناقشة مفصلة، بعد أن قدَّمنا من الأدلة ما قد تكون فيه كفاية لنقضها مجملةً. فأقول: إن الإحسان ليس قرينَ التنقيح ولا مشروطا به، فقد كان حميد الأرقط "يشذِّب الرجز وينقحّه وينقّيه"[٣٥٩]، فلم يسلكه ذلك في الفحول، ولا الشعراء المجيدين، وتدل أخبار ذي الرمة وشعره على أنه كان يتخير وينقّح، فلم يُنجِه ذلك مما أُخذ على غيره ممن لا ينقحون ولا يتخيرون، فقال أبو عمرو بن العلاء إن شعره أبعار غزلان ونقط عروس[٣٦٠]، وقال الأصمعي: "لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره، فكان ذلك خيرا له"[٣٦١]. والجيد الذي يأتي المطبوعين عفوا، قد يغلب على زهير والحطيئة، أو يكون في شعرهما أكثر منه في شعر غيرهما، على قدر ما أوتيا من الموهبة. وقد قال الجاحظ في مقارنته بين خطباء السلف والأعراب إنه لم يجد في خطبهم "ألفاظا مسخوطة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعا رديئا، ولا قولا مستكرها، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين، وفي خطب البلديين المتكلفين، ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان نتاجَ التحبير والتفكير"[٣٦٢]. فمدار الأمر -إذن- على الموهبة، لا على الصنعة والتكلف. وما ذهب إليه الأصمعي من نعت زهير والحطيئة وأشباههما بعبيد الشعر إنما كان تفسيرا لما أرى في شعرهما من الإحسان الذي لم يتأتَّ لبعض شعراء الجاهلية؛ فمن ثم خلا ما قال من تحديد مدة التنقيح؛ لأن تحديدها لا يتأتى من غير معاصرة، أو رواية عمن أدركهما، ولم يعاصرهما الأصمعي، ولا روى عمن أدركهما. وما يقول بعض النقاد من أن تكلف الشاعر المجيد يُلْمَح "في جودة السبك، والصلات المحكمة بين الجمل، وبين الصور والإحساسات"[٣٦٣]، ما ينبغي أن يعوَّل عليه في الاحتجاج لما ذهب إليه الأصمعي، إلا أن يُعْرَف الشاعر بالتكلف، فإحكامُ الصلات، وجودة السبك وحدهما ليس لزاما أن يكونا أثرا للتكلف وطول التنقيح. وقد رأينا أن إحسان زهير والحطيئة لم يكن إحسانا مطلقا، كما ادعى الأصمعي، وإنما كان إحسانا في أبيات من القصائد، تقلُّ أو تكثر، وإنما قدِّما بأن إحسانهما كان أكثر من إحسان غيرهما وأجود، كما قال ابن قتيبة: "ولا أحسب أحدا من أهل التمييز والنظر نظر بعين العدل، وترَكَ طريقَ التقليد يستطيع أن يقدِّم أحدا إلا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره"[٣٦٤].

والمفاضلة بين نتاج الأدباء بما يفعلون في طور الإنتاج، والطريقة التي يُخرجونه بها، هل كان ينثال انثيالا، ويأتي سهوا رهوا، أو كان يأتي على عكس ذلك، ليس بصحيح، لأن ذلك أمر نفسي يتعلق بذات الأديب، لا بقيمة الأدب، حتى لو حُمِل كلام الأصمعي على أن المراد من تفضيل النابغة ورؤبة على زهير والحطيئة أن الإحسان بالطبع، على ما يكون في بعضه من تقصير، أدل على الموهبة من الإحسان الذي يتأتى من الصنعة والتكلف، على نحو ما قال الجاحظ في خطابة العرب وخطابة الفرس: "كل كلام

(٣٥٦) انظر: الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٢٠٨.
(٣٥٧) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ١٥٠
(٣٥٨) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ١٥٠.
(٣٥٩) الأصمعي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٥٤.
(٣٦٠) المرزباني، الموشح، ٢٢٧.
(٣٦١) المرزباني، الموشح، ٢٤١.
(٣٦٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ٩.
(٣٦٣) مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، ٤١.
(٣٦٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٨٢.

للفرس، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم، وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام،"[٣٦٥]، فإن هذا -إن صح- يدل على أن العرب أذكى من الفرس، وأحدُّ أذهانا، وأقدر على الكلام، لكنه لا يدل على أن خطابة العرب أجود من خطابة الفرس، على كل حال، وينبغي أن يكون الذي يُقوَّم هو الأدب، لا الأديب. ولو اقتصر الأصمعي على تفضيل المحسن بالطبع، على المحسن بالصنعة، ولم يتجاوز ذلك إلى المفاضلة بين نتاجهما لكان كلامه مقبولا، ولو أنه، إذ تجاوز الشاعر إلى الشعر، آثر الشعر المطبوع بما فيه من علامات الإحسان، على المتكلَّف بما فيه من علامات التكلف، على الوجه الذي فعل ابن قتيبة، لكان فعله عين الصواب. والطبع استعداد نفسي، لا ينجي من نقص، ولا يعصم من ضعف، والعبرة بالنتاج، لا بالاستعداد وحده. هذا إلى أن في إيثار الذي هو أدنى؛ لأنه خُلِّي على الصورة التي ورد بها عفوا، على الذي هو خير؛ لأنه تُصرِّف فيه بما يجبر نقصه، غرابة، كالحكم بالتكلف على المرء لأنه أجاد في كل ما قال! وهو مذهب تفرَّد به الأصمعي دون "جميع الرواة والشعراء"[٣٦٦]. ولعله كان مدفوعا بالانحياز للعرب وثقافتهم، وإيثارهم على من سواهم، كما كان مدفوعا به مَنْ آثر "عمود الشعر" على طريقة المولدين. وكان ينبغي أن تميز المواقف الثقافية، من المواقف الفنية.

وكان فيما قال الجاحظ تعميم وتناقض، يتبينان في طرد التنقيح في طِوال المدائح على شعراء العرب كافة، وعدم قصْر ذلك على عبيد الشعر، وجعْله عبودية الشعر صادقة على كل "من جوَّد شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر حتى يُخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة"[٣٦٧]، لكنه لما أن أراد التمثيل لم يجد غير زهير والحطيئة، إلا ما ذكر من أبيات سويد بن كراع[٣٦٨]، كأنه في هذا تابع للأصمعي الذي لم يذكر من عبيد الشعر سوى الحطيئة وزهير، وإن لم يحصر العبودية فيهما. وطرْد ما لا يصدق إلا على شاعرين على شعراء العربية كافة من التعميم، وإذا كان لبعض التعميم مسوغات، كأن تكون القضية الممثل لها من قبيل العادة التي يسوغ أن يستدل بما يقول فيها فرد على اطرادها في مجتمعه، فتعميم ما يكون من قبيل الخصوصيات التي لا تصدق إلا على أصحابها، ليس كذلك. ومن الحق أن معيار العبودية إذا كان هو ما قال الجاحظ، فما من شاعر إلا كان ينقح، ويتعاهد، ويحرص على أن تكون أبيات قصيدته كلها مستوية في الجودة، إلا الذين اضطرهم بعض المقامات إلى أن يرتجلوا، والذين قالوا ما لا يحتاج إلى تنقيح، لقصره، وبساطة مناسبته.

أما التناقض، فيظهر في مخالفة ما قال في التنقيح لقولته الشهيرة: "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر، ولا استعانة،... فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا...، وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر"[٣٦٩]. فهذا مناقض لما وصف به الشعراء، ولا سيما عبيد الشعر، من التلوم على إصلاح الكلام وتنقيحه، حتى ليمضي أحدهم في ذلك حولا كريتا. صحيح أنه فرَّق بين الشعر والخطابة: "ولم نرهم -مع ذلك- يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتدارا عليه، وثقةً بحسن عادة الله عندهم فيه"[٣٧٠]، لكن تفريقه اعتباطي، ومخالف لما روَى من تنقيح العرب وتجويدهم للخطب، كقول البعيث: "إني والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا، وما أريد أن أخطب يوم حفل إلا بالبائت المحكَّك"[٣٧١]، وقول عبد الله بن وهب الراسبي: "ما أنا والرأي الفطير، والكلام

(٣٦٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣/ ٢٨.
(٣٦٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٣.
(٣٦٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٣.
(٣٦٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٢.
(٣٦٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣/ ٢٨.
(٣٧٠) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٤.
(٣٧١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٠٤.

القضيب؟!"[٣٧٢]. وهذا يطابق ما قال الشعراء، كسويد بن كراع:

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما
أصادي بها سِرْبًا من الوَحْشِ نُزَّعا
أكالئها حتى أعرِّس بعدما
يكونُ سُحَيرًا أو بُعَيْدَ فأهْجَعَا[٣٧٣]

وقول عدي بن الرقاع:

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينها
حتى أقوِّم ميلَها وسِنادَها
نظر المثقِّف في كعوب قناته
حتى يُقِيمَ ثقافُه مُنآدَها[٣٧٤]

فسويد وعدي ينقحان شعرهما ليلا كما يفعل البعيث وعبد الله بن وهب، والمدة التي يقضيان في تنقيحه هي التي يقضي هذان في تنقيح خطبهما، كما يبدو من توافقهم على: "البائت"، و"أبيت"، و"قد بتُّ". وتخصيص الجاحظ للشعر بالتنقيح دون الخطابة يخالف قوله: "وإنما هو أن يصرف وهْمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام..."[٣٧٥]، والرجز شعر، وانثياله على الرجاز كانثيال الخطب على الخطباء. هذا إلى أن مكانة الخطيب في الجاهلية وشرفه، وعظم المقامات التي كان يقوم فيها، وجلل الأحداث التي يخطب فيها، تقتضي أن يكون التنقيح وتوقِّي الخطأ في الخطابة أشد منهما في الشعر، كما يفهم -مثلا- من قول عَبَدةَ بن الطبيب:

ومقامِ خصْمٍ قائمٍ ظَلِفاتُه
مَن زلَّ طارَ له ثناءٌ أشنعُ
أصدرتُهمْ فيه أقوِّم دَرْأَهمْ
عَضَّ الثقافِ وهمْ ظِماءٌ جُوَّعُ[٣٧٦]

ويصدِّقه قول عبد الملك بن مروان وقد قيل له: "عجِل عليك الشيب يا أمير المؤمنين! قال: وكيف لا يعجل علي، وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين؟!"[٣٧٧]، وقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: "ما يتصعَّدني كلامٌ كما تتصعَّدني خطبةُ النكاح"[٣٧٨]. وهذا ما قرره الجاحظ أيضا: "وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور، ميَّثوه في صدروهم، وقيَّدوه على أنفسهم، فإذا قوَّمه الثقاف وأُدخل الكير، وقام على الخلاص، أبرزوه محكَّكا منقَّحا، ومصفًّى من الأدناس مهذبا"[٣٧٩]، وما الخطبة إلا خُطَّة يراها الخطيب، تبين عن عقله وتدبيره، يعرضها مقرونة بما أوتي من أسباب الإقناع، فمن ثم كانت إلى التنقيح أحوج من الشعر الذي ليست له غاية وراء "التخييل"[٣٨٠]، أي التأثير.

وتنقيح القصيدة حولا مجرَّما أو قريبا منه لم يرو عن أحد من الرواة، ولا ورد في شعر العرب، سوى العبارة التي قال الجاحظ إن نوح بن جرير نسبها إلى الحطيئة: "خير الشعر الحولي المنقح"[٣٨١]، ولم يذكر سندها، ونوح لم يعاصر الحطيئة. وهذا القول بعينه مروي في الخبر الذي نسب إلى مروان بن أبي حفصة[٣٨٢]. ومما يشكك في نسبة هذا القول إلى الحطيئة أن شعر العرب ليست فيه قصيدة روي من طريق يوثق به أنها نظمت في حول، سوى ما قال الجاحظ في حوليات زهير، وهو قول لم يسنده، ولا ذكر مصدره، وإنما استنتجه، فيما يبدو، من بيت سويد بن كراع الآتي. أما ما يروى من أن علقمة الفحل أنشد قريشا قصيدته "هل ما علمت وما استودعت مكتوم"، فقالوا له: "هذه سمط الدهر"، ثم عاد إليهم من العام المقبل، فأنشدهم قصيدته الأخرى: "طحا بك قلب في الحسان طروب"، فقالوا له: "هاتان سمطا الدهر"[٣٨٣]، فليس فيه ما يدل على أنه استغرق عاما في نظمهما، وإنما أنشدهم إحدى القصيدتين في موسم، ثم أنشدهم الأخرى في الموسم الذي يليه، بغض النظر عن صحة الخبر وعدمها. ثم إن بعض التسميات التي ذكر الجاحظ ليس فيها ما يدل على التنقيح، كـ"السموط، والمقلَّدات"، فكل

(٣٧٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٠٥.
(٣٧٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٢، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٧٩.
(٣٧٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٧٩.
(٣٧٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣/ ٢٨.
(٣٧٦) المفضل الضبي، المفضليات، ١٤٨.
(٣٧٧) المفضل الضبي، المفضليات، ١/ ١٣٥، وابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/ ٢٧٥.
(٣٧٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ١٣٤.
(٣٧٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٤.
(٣٨٠) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦ م، ٨١ و٨٥.
(٣٨١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٠٤.
(٣٨٢) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٥.
(٣٨٣) الأصفهاني، الأغاني، ٢١/ ١١٢.

ما تدل عليه هو تشبيه جياد القصائد بالقلائد والسموط، في النفاسة، وقد قال أبو زيد القرشي إن المعلقات كانت "تسميها العرب السموط"(٣٨٤)، ولم تخصِّص بها معلقة زهير، ولا دلت تسميتهم لها -إن صح الخبر فرضا- على أنها كانت تُنقَّح أو تُنظَم في حول، وفيها ما تروي الأخبار أنه مرتجل، كمعلقة عمرو بن كلثوم. وليست هذه التسميات إلا كتسمية بعض القصائد الجاهلية "المجمهرات"، و"المنْتَقَيَات"، و"المذهَّبات"(٣٨٥). وما يقال من أن زهيرا قال سبع قصائد في سبعة أعوام لم يبق من شعره ما يصدقه؛ فأطول الصحيح منه ثلاث قصائد، كلها دون الخمسين بيتا، تليها قصيدتان، إحداهما ثلاثة وثلاثون، والأخرى ثلاثة وعشرون، فهذه خمس، وما نظن أن شاعرا متوسطا يمضي عاما في نظم أقل من خمسين بيتا، فكيف بشاعر كزهير؟! وإذا كان الباقي من شعر زهير والحطيئة هو أمثل ما قالا، وليس فيه ما نظم في حول، فمن غير المتوقع أن ينظما ما هو دونه في حول.

أما تنقيح مروان بن أبي حفصة، وإن كان مروان أمويا، فغير صحيح، فقد رواه الأصفهاني من طريقين، الأولى عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي، عن عمر بن شبة، عن خلاد الأرقط(٣٨٦)، وفيها أنه كان يقول القصيدة في حول، على الوجه المتقدم. والثانية هي: "وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي، قال حدثنا عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، قال: أبو دلف هاشم بن محمد: وحدثني الرياشي عن الأصمعي"(٣٨٧)، ولم يرد فيها ذكر للتنقيح. وسياق الخبر صريح في أن مروان جاء حلقة يونس بن حبيب مستشيرا في شعر قاله: "فإن كان جيدا أظهرته، وإن كان رديئا سترته"(٣٨٨)، كما يفعل المبتدئون، حين يكون أحدهم غير واثق بما يقول، لحداثته، وقلة بصره بالشعر، فيعرضه مسترشدا. وهذا يخالف ما تدعي الرواية الأولى من طويل التنقيح، الذي لا يفعله إلا من استقامت له طريقة، وانقاد نهج، فليس في حاجة إلى أن يستشير. والخبر بروايتيه مصنوع، فمروان ولد عام ١٠٥ هـ، ولم يَرِد بغدادَ إلا في خلافة المهدي عام ١٥٩ هـ(٣٨٩)، وهو ابن أربعة وخمسين عاما، وما كان مبتدئا؛ فيستشير، وكان قبل ذلك منقطعا إلى معن بن زائدة يمدحه، فيطرب لمديحه، فيعطيه عليه ما لم يُعطَ شاعر(٣٩٠)، ومعن عربي أعرابي، يفقه من الشعر ما لا يفقه يونس وخلف الأحمر، وهو -إلى ذلك- شاعر، فما كان مروان ليعرض شعره على أحد، وقد استحسنه معن، ونال به فوق ما يرجو الشعراء، إن كان مروان لا يعي قيمة شعره، مع أنه هو وسلفه عرب النشأة، يعون من اللغة والشعر كل ما يعي غيرهم من العرب الأقحاح، وهنالك روايات تذهب إلى أنهم عرب صليبة(٣٩١). فلما مات معن، رثاه بمراث هزت أعيان عصره، فأعطوه ما كان يؤمل من معن، لو كان حيا(٣٩٢). وما كان مروان يرجو من شعره منزلة فوق التي نال، ولا عطاء أجزل من الذي أصاب، ولا جدَّ في حياته ما ينزع ثقته بنفسه وبشعره؛ فيستشير يونس وخلفا. دعك مما نُسب إلى الأصمعي من أن مروان "كان مولدا، ولم يكن له علم باللغة"(٣٩٣)، وما نُسب إلى يزيد المهلبي: "ليست لأهل اليمامة فصاحة، ولا لأشعارهم سهولة"(٣٩٤)؛ فلسنا ندري هل قاله الأصمعي ويزيد المهلبي؛ فقد نشأ مروان باليمامة ولسان أهلها لم يتغير، كما نشأ بها غيره من فحول الشعراء، كجرير، فلم ينل ذلك من شعرهم ولا سليقتهم. ولكن مروان كان ناصبيا(٣٩٥)، وقد كلَّفه نصْبُه حياتَه(٣٩٦)، وتبعه بعد مماته،

(٣٨٤) القرشي، جمهرة أشعار العرب، ٨٠.
(٣٨٥) القرشي، جمهرة أشعار العرب، ٨٠.
(٣٨٦) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٣٩.
(٣٨٧) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٣٩.
(٣٨٨) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٤٠.

(٣٨٩) فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، بيروت، ط٤، دار العلم للملايين، ١٩٨١ م، ٢/ ١٣١.
(٣٩٠) ابن المعتز، عبد الله، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٥ هـ - ١٩٥٦ م، ٥١، وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، ٥/ ١٩٠.
(٣٩١) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٣٥.
(٣٩٢) انظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٥ وما بعدها و٥١ وما بعدها، وابن خلكان، ٥/ ١٩٠ و ٢٤٧ و ٢٤٩.
(٣٩٣) ابن المزرع، يموت، الأمالي، المكتبة الشاملة، ٦، والمرزباني، الموشح، ٣١٦، والأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٤٠، وانظر: ابن المزرع، يموت، الأمالي، ٦.
(٣٩٤) المرزباني، الموشح، ٣١٦.
(٣٩٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٦.
(٣٩٦) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٤٦.

فحشد له الأصفهاني والمرزباني -وكانا شيعيين[٣٩٧] - ما استطاعا من الأخبار التي ألصقت به كل منقصة، من البخل، والسرقة، والتكلف، والجهل[٣٩٨]، على طريقة الأصفهاني في الاقتصار على ذكر أسوأ ما يعلم فيمن يخالفه. ولما كان إحسان مروان كالمتفق عليه نسب إليه هو والمرزباني ما نسبا؛ ليكون إحسانه عن غير طبع، وإنما عن تكلف وصناعة، وهو غض منه، مع أن ابن المعتز، وهو أقرب إليه من الأصفهاني والمرزباني، لم يزد على أن قال إنه "من المجيدين المحْكِمين"[٣٩٩]، ولم ينسبه إلى شيء مما قالا. وقد روى الأصفهاني من أخباره ما يناقض ما نَسب إليه: روى أنه دخل على هارون الرشيد فأخرجه، فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل عليه، فأنشده قصيدة من ستين أو سبعين بيتا، فأعطاه عليها بعدد أبياتها، ستين أو سبعين ألفا، استحسانا لها، فكان ذلك بعْدُ رسمه عند بني العباس حتى مات[٤٠٠]، وقول ستين أو سبعين بيتا في أيام، بالجودة التي يلمح إليها الخبر، بعيد من طول التنقيح. ومثل هذا دخوله على معن بن زائدة، لما قدم من اليمن مادحا ومهنئنا[٤٠١]، وتهنئته للهادي ورثاؤه لأبيه المهدي في وقت[٤٠٢]، فهذه مناسبات عارضة، ليس فيها ما يُنْظِر، وإذا قال فيها فأجاد بغير ذلك التنقيح، فهو في غنى عنه في كل قصيدة أخرى. ولو فرض أنه كان ينقح شعره ويحككه، ولم يكن مطبوعا[٤٠٣]، كما قال محمد بن داود، فإنما كان ينقح التنقيح الذي يأتيه سائر الشعراء، وإنما زيدت المدة بعد محمد بن داود كما زيدت مدة تنقيح زهير والحطيئة بعد الأصمعي.

أما بيت سويد بن كراع:

وجشَّمني خوفُ بن عفانَ ردَّها
فثقَّفتُها حولاً حَريدًا مربَّعا[٤٠٤]

(٣٩٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤/ ٣٥٤.
(٣٩٨) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٤٧ وما بعدها و٤٠ وما بعدها، والمرزباني، الموشح، ٣١٦ وما بعدها.
(٣٩٩) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٥.
(٤٠٠) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٤٢.
(٤٠١) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٤٤.
(٤٠٢) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ٤٥.
(٤٠٣) المرزباني، الموشح، ٣١٦.
(٤٠٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٢، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٧٩.

فمبالغة لا أخت لها، فيما أعلم، وهي تخالف سياق البيت ومناسبة القصيدة: فقد كان سويد هجا قوما، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان، فهرب منه، ثم آمنه على ألا يعاود، فقال القصيدة في ذلك[٤٠٥]. ورواية أبي عمرو الشيباني للبيت هي:

فجشمني خوفُ ابنِ عفَّان ردَّها
ورِعْيَتَها صيفًا جديدًا ومَرْبَعا[٤٠٦]

أي كلَّفني خوفُ ابن عفان أن أكتمها، وأن أرعاها حولا جديدا (على سبيل المبالغة)، أتدبَّرها؛ لأسقط منها ما أخشى أن يؤاخذني به. ولا تثقيف ثَمَّ ولا تنقيح؛ لأن المناسبة لا تقتضيهما، وإنما هو ردٌّ وكتمان، وتخليص مما يخالف ما عاهد عليه سعيدا، وهو ما صرح به في قوله:

إذا خفتُ أن تُروَى عليَّ رددتها
وراءَ التراقي خشيةً أن تَطلَّعا[٤٠٧]

وهذا هو الذي منعه أن يزيد فيها ما كان يشتهي أن يزيد:

وقد كان في نفسي عليها زيادةٌ
فلم أرَ إلا أن أطيعَ وأسْمَعا[٤٠٨]

ولم تكن القصيدة في المديح، وإنما كانت في الهجاء، كما هو صريح في قوله:

تقول ابنةُ العوفيِّ ليلى: ألا ترى
إلى ابنِ كُراعٍ لا يزال مفزَّعا
مخافةُ هذينِ الأميرين سَهَّدت
رقادي وغشَّتني بياضا تفرَّعا
على غير جُرْمٍ غيرَ أنْ جارَ ظالمٌ
عليَّ، فجهَّزت القصيد المفزَّعا
وقد هابني الأقوام لما رميتهم
بفاقرةٍ إن همَّ أن يتشجَّعا

فجشَّمني خوفُ ابن عفانَ ردَّها
ورِعْيتَها صيفا جديدا ومَرْبَعا[٤٠٩]

(٤٠٥) الأصفهاني، الأغاني، ١١/ ١٢٣.
(٤٠٦) الأصفهاني، الأغاني، ١١/ ١٢٣.
(٤٠٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢/ ٦١٩.
(٤٠٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٣.
(٤٠٩) الأصفهاني، الأغاني، ١١/ ١٢٣.

ولو أرادها للهجاء لم يُعدَّها حولا؛ لأن الهجاء يقتضي التعجيل؛ لأنه أبدا ردٌّ على مثير لا يُنْظِر، يقتضي المبادرة انتقاما أو تنفيسا عن شعور، لا ينفس عنه إلا القول. وشبيه بما قال سويد في هذه القصيدة قوله في بيتين آخرين:

أعددت للحرب التي أُعنَى بها
قوافيًا لم أعْيَ باجتلابها
حتى إذا أَذْلَلتُ من صِعابِها
واستوسقتْ لي صِحْتُ في أعقابِها[٤١٠]

فهو يعدُّ القوافي لحرب أعدائه، ولكنه لا يجد مشقة في إعدادها (لم أعي باجتلابها)، وهو ما كان يفخر به غيره من الشعراء. هذا إلى أن سويدا ذكر ما يفعل بشعره، كما ذكر المدة التي يقضيها في إعداده:

أبيت بأبواب القوافي كأنما
أصادي بها سربا من الوحش نزَّعا
أكالؤها حتى أعرِّس بعدما
يكون سحيرا، أو بعيدَ، فأهجعا[٤١١]

وهي المدة التي ذكر غيره من شعراء العرب وخطبائهم أنهم يعدون فيها ما يقولون.

والشعراء الذين ذكروا التنقيح، كسويد، وعدي بن الرقاع، وذي الرمة، ليس فيهم من عُدَّ في عبيد الشعر، أما عبيد الشعر فليس في شعرهم ما يدل على التنقيح، سوى بيت كعب بن زهير:

كفيتُك، لا تلْقى من الناسِ واحدًا
تنخَّلَ منها مثلَ ما نتنخَّلُ
يثقفها حتى تلين متونها
فيقصُر عنها كلُّ ما يُتمثَّل[٤١٢]

وهو لا يختلف عن "تثقيف" عدي بن الرقاع الذي لا يزيد على التقويم. وهذا دليل آخر يضاف إلى ما تقدم من الأدلة على أن عبيد الشعر ما كان تنقيحهم يختلف عن تنقيح المطبوعين.

وقد بالغ طه حسين في وصف عبيد الشعر بأنهم كانوا أصحاب مذهب، وليس بينهم من التشابه إلا ما بين شعراء الجاهلية من التوافي على المعاني والألفاظ، وأخذ المتأخر من المتقدم، وهو أثر من آثار البساطة، والأمية، ووحدة الثقافة، ورواية الشعر، كما قال أحمد بن أبي طاهر: "كلام العرب ملتبس بعضه ببعض، وآخذ أواخره من أوائله، والمبتدَع منه والمخترَع قليل، إذا تصفحتَه وامتحنته، والمحترِس المتحفِّظ المطبوع بلاغةً وشعرا، من المتقدمين والمتأخرين، لا يسلم أن يكون كلامه آخذا من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس، وتخلَّل طريقَ الكلام، وباعد في المعنى، وأقرب في اللفظ، وأفلت من شباك التداخل... وقد رأينا الأعرابي أعْرَم لا يقرأ ولا يكتب، ولا يروي ولا يحفظ، ولا يتمثل ولا يحذو، ولا يكاد كلامه يخرج عن كلام من قبله، ولا يسلك إلا طريقة قد ذُلِّلت له"[٤١٣]، وهو ما يقرره دارسو الأدب الجاهلي في العصر الحديث[٤١٤].

وما بين زهير والحطيئة من التوافق الفني ليس لزاما أن يكون سببه تأثر الحطيئة زهيرا، وتقليده إياه، وروايته شعره، فإن رواية الشعر وحدها لا تستوجب ذلك، فقد كان كعب راوية لأبيه، وأشد من الحطيئة ملازمة له، ولم يكن بينهما -مع ذلك- من الشبه ما بين زهير والحطيئة. ومن مقتضيات المساكنة منذ الصبا التوافق في اللغة، والاشتراك في الأفكار والصور، إذ تتسرب تلك إلى العقل الباطن دون شعور، حين يكون الصبي في طور اكتساب اللغة، ومع ذلك كانت الاستعارة والإيجاز والمعاني الخفية التي كان زهير يتهدى إليها قليلة في شعر كعب، بخلافها في شعر الحطيئة. أما أخذ الحطيئة من زهير، فلا يختلف عن أخذه من غيره، وقد رأينا أخذه من النابغة، وأبي دواد الإيادي، ولم يكن راوية لواحد منهما، ولا تلميذا له، وإنما كان يروي من شعرهما ما يروي من شعر غيرهما.

أما الحسِّية في شعر أوس[٤١٥]، فظاهرة في شعر الجاهلية كله[٤١٦]، وهي أثر من آثار البيئة والثقافة، وليست بمذهب لبعض الشعراء دون بعض، ولا بسنَّة سنَّها بعضهم دون بعض. وقد صرح طه حسين بأن ما دعاه مذهب عبيد

(٤١٠) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٢٦.
(٤١١) الأصفهاني، الأغاني، ١١/ ١٢٣.
(٤١٢) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٠٤ وما بعدها.
(٤١٣) الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق جعفر الكتاني، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩ م، ٢/ ٢٨.
(٤١٤) الجبوري،الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، ١٩٠، وضيف، شوقي، العصر الجاهلي، ٢٢١.
(٤١٥) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٢٧١.
(٤١٦) ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، ٢٢٠ وما بعدها، والجبوري، الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، ٢٠٨.

الشعر هو مذهب الجاهليين كافة: "وليس من شك في أن تلاميذ هذه المدرسة أكثر مما ذكرنا، فهناك شعراء آخرون، منهم التميمي، والقيسي، قد أخذوا عن أوس وأصحابه وساروا سيرتهم، ولكننا نكتفي بمن ذكرنا (أوس، وزهير، وكعب، والحطيئة، والنابغة)، فهم الزعماء، وهم ليسوا زعماء هذه المدرسة وحدها، بل هم فيما يظهر زعماء الشعر المضري الجاهلي كله"(٤١٧). وهذ الرأي يبطل ما ادعى لبعضهم من الخصائص الفنية، ويجعل ما قالوا هو ما قال غيرهم، وما وصفهم به مشاعا في شعر الجاهليين كافة.

وينبغي أن نتحدث هنا عن أستاذية أوس وطفيل لزهير، فإنها مما تابع فيه طه حسين ومن تبعه بعضَ الأولين. فما يصح من شعر أوس لا يقارن بشعر زهير، وليس فيه ما يمكن أن يكون ملهِما له، أو يُدَّعى من أجله أنه أستاذه، إن صح أنه ربيبه، وروى شعره، فأكبر الظن أن زهيرا كان يروي شعر غير أوس، ولا سيما خاله بشامة بن الغدير، وكان منقطعا إليه، معجبا به، وعنه ورث الشعر، كما يدعي الرواة(٤١٨)، ولم يُرْوَ -مع ذلك- أنه اقتدى به، أو كان موافقا له في مذهبه، وإن كانت إحدى القطع التي أورد له ابن سلام فيها عبارات توافق عبارات من شعره وشعر كعب، هي:

إن الخليط أجدَّ البين فابتكروا
لنيةٍ، ثم ما عاجوا وما انتظروا
ما زلتُ أرْمُقهمْ في الآلِ مُرْتفِقًا
حتى تقطَّعَ دون الجيرةِ البصرُ(٤١٩)

ويقول زهير:

إن الخليط أجد البينُ فانفرقا
وعُلِّق القلبُ من أسماءَ ما عُلِّقا
ما زلت أرمُقهمْ حتى إذا هبطتْ
أيدي الركابِ بهم من راكسٍ فِلَقَا(٤٢٠)

وقال بشامة:

كأنَّ أوْبَ ذراعيها إذا انحدرتْ
وأحْرَزَ الظلَّ في أعدائه الشجرُ
أوبُ ذراعيْ لَجوجٍ جاد واحدُها
حتى إذا ما انتهى أوْدَى به القَدَرُ(٤٢١)

ويقول كعب:

كأنَّ أوْبَ ذراعيها وقد عرِقتْ
وقد تلفَّع بالقُورِ العساقيلُ
شدَّ النهارِ- ذارعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ
قامتْ فجاوبها نُكْدٌ مثاكيلُ(٤٢٢)

غير أنني في شك من صحة القطعة المنسوبة إلى بشامة؛ لما فيها من الضعف، ولأن العبارة التي في البيت الأخير "أودى به القدر" مما لا يعرفه الجاهليون، فيما أرى. وما أرى هذا التوافق إلا من صنع الوضاعين الذين يحذون ما يصنعون على ما يحفظون. على أنها لو صحت ما كان أخذ زهير وكعب من بشامة إلا كأخذ سائر الجاهليين بعضهم من بعض.

وما يصح لأوس غير جدير بأن يسلكه في الفحول، فضلا أن يحله في الطبقة الثانية منهم، أو يلحقه بالطبقة الأولى، كما يرى ابن سلام وغيره(٤٢٣). ومن المؤسف أن ما أورد ابن سلام من شعره سقط من مخطوطة الكتاب، ولو لم يسقط لأمكن أن يُعرف هل ما قدَّمه به هو من هذا الشعر الذي في ديوانه، أو أمثل منه. أما ما أورد ابن قتيبة من شعره، فأمثله ما قال في وصف القوس(٤٢٤)، وسائره إما عادي، لا ينزله الطبقة الثانية، وإما مصنوع. أما ما استُحسن من شعره، فقليل، كالعينية، وهي ثلاثة عشر بيتا، خمسة منها تنسب إلى غيره(٤٢٥)، وإنما أعجب الأصمعي بمطلعها، فقال إنه لم يسمع قط ابتداء مرثية أحسن منه(٤٢٦). ولعل الذي أعجب بعضَهم منها هو معانيها، أي ما نسب إلى المرثي من العقل وكريم الخلال، لا طريقة التعبير عنه، وليس فيها ما يشبه الجيد من شعر زهير والحطيئة أو يدانيه. وغير بعيد أن يكون مردُّ الثناء على شعر أوس، وهذه حاله، إلى إيهام صحة المصنوع

(٤١٧) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ٣٠٧.
(٤١٨) الأصفهاني، الأغاني ٩/ ١٤٩ وما بعدها.
(٤١٩) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ٢/ ٧٢٠ وما بعدها.
(٤٢٠) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى،، ٤١.
(٤٢١) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ٢/ ٧٢٢.
(٤٢٢) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٣ - ٤/ ٥٠٨ وما بعدها.
(٤٢٣) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ٩٧.
(٤٢٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٢٠٠.
(٤٢٥) أوس بن حجر، ديوانه، ١٣٤ وما بعدها.
(٤٢٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٢٠٢.

منه، وما به من الغريب الذي يعجب بعض الرواة. ومما يستحق التوقف أن أبا حاتم السجستاني سأل الأصمعي عن كثير من فحول الجاهلية ومشهوريها من الشعراء، ولم يسأله عن أوس، ولا عرض له الأصمعي بذكر، مع أنه عرض لمن هو دونه في الشهرة، إلا عبارة، ربما كانت سقطت من الكتاب، هي قوله: "أوس بن حجر أشعر من زهير، ولكن النابغة طأطأ منه"(٤٢٧). لكن العجب من ثناء القدامى على أوس يزول إذا قورن الباقي من شعره بالباقي من شعر طفيل، والثناء عليه بالثناء عليه، فقد زعموا أن طفيلا كان يسمى "المحبر" لحسن شعره(٤٢٨)، وأن معاوية كان يقول: "دعوا لي طفيلا؛ فإن شعره أشبه بشعر الأولين من زهير"(٤٢٩)، وقال الأصمعي إنه فحل، وإنه "في بعض شعره أشعر من امرئ القيس"(٤٣٠)، وسماه "طفيل الخيل"، وقال إنه "غاية في النعت"(٤٣١). بيد أن الديوان المنسوب إليه لا يصح منه سوى ما قد رأينا، ولو فرضت صحته ما كان إلا كلاما غثا، لا يستحق به أن يعد في الشعراء، فضلا عن أن يعد في الفحول، ويُسبَغ عليه هذا الثناء كله. وكان من الممكن أن يُحمَل ذلك الثناء على أن بعض شعره ضاع، وإنما أُحِلَّ تلك المنزلة ببعض ذلك الضائع، لا بهذا الباقي، لكن هذا الاحتمال يرفعه أن ابن سلام لم يذكر طفيلا مرة واحدة، ولم يعدّه في الفحول ولا غير الفحول، مع أنه عد فيهم من ليس بفحل، ومن لا يعرف له سوى بيت واحد (عَبيد بن الأبرص)، والمقلّين، ومن لا يعرف له سوى القصيدة والقصيدتين(٤٣٢)، والقدامى الذين لا يكاد يعرف عنهم شيئا، كقراد بن حنش(٤٣٣). ولو كان طفيل من الإجادة وذيوع الصيت بما قال الأصمعي، ما أعرض عنه ابن سلام. أما ما في كتاب الأصمعي من الثناء عليه، فمما يشكك في صحة الكتاب أو بعضه. ومما يريب من كتاب الأصمعي هذا العبارةُ المنسوبة إلى معاوية: "طفيل أشبه بالأولين من زهير"، ونسبت إلى الأصمعي في موضع آخر(٤٣٤)، فقد كان طفيل -كما تزعم أخباره- أقدم فحل في قيس، ولم يكن قبله شاعر كبير؛ فيشبَّه به، ولا كان للشعر قبل طفيل حال هي أمثل من حاله بعده، في الجاهلية، فمَن الأولون، الذين شُبِّه شعره بشعرهم؟ وإذا كان ما في ديوانه، ما صح منه وما لم يصح، ليس بذاك، فكيف يقدَّم على زهير؟!

أما ما قال ابن رشيق من أن زهيرا كان راوية أوس وطفيل(٤٣٥)، فلعل معوَّله على العبارة التي وردت في صدر ديوان طفيل(٤٣٦): "أخذ كل الشعراء من طفيل، حتى زهير والنابغة"، وهي عبارة ربما كان مبناها على ما قد رأينا في الشعر المنسوب إليه من التلفيق من أشعار زهير والنابغة، وإنما قُلِب الأمر ليغطَّى به على ذلك التلفيق. وإذا صح أن البيت:

بساهمِ الوجه لم تُقْطَعْ أباجلُه
يُصان وهو ليوم الرَّوع مبذول(٤٣٧)

لطفيل، وأن زهيرا تأثر به أو أخذ منه، فكل ما أخذ منه هو عبارة "لم تقطع أباجله"، ومثل هذا لا يقتضي تلمذة ولا رواية. فما بين أوس وزهير -إذن- لا يعدو التوافق في أشعار ملفقة لأوس من شعر زهير، أما ما عدا ذلك فليس بين الرجلين شبه يذكر، فإن أخص خصائص زهير ما قال الذين فضلوه على سائر طبقته: "أحصفهم شعرا، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق،... وأكثرهم أمثالا (استعارات)"(٤٣٨). وليس في الباقي من شعر أوس شيء من ذلك، وهما -إلى ذلك- متباينان في الأغراض: جلُّ شعر زهير في المديح والغزل، ويقلُّ فيه الهجاء، وجل الصحيح من شعر أوس في الهجاء، والوصف، والرثاء، ويتسم هجاؤه بالصراحة والبذاء، ويتسم ما قد يصح من هجاء زهير بالعفة. واختلاف الأغراض ينفي احتمال التأثر في المعاني الجزئية،

(٤٢٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٢٠١، والموشح، ٥٩.
(٤٢٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٤٤٤.
(٤٢٩) الأصمعي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٣٣.
(٤٣٠) الأصمعي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٣٣.
(٤٣١) الأصمعي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٣٤.
(٤٣٢) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٣٨ وما بعدها و ١٥٥.
(٤٣٣) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ٧٣٣.
(٤٣٤) المرزباني، الموشح، ٥٩.
(٤٣٥) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ٣٦٣.
(٤٣٦) طفيل الغنوي، ديوانه، ٢١.
(٤٣٧) طفيل الغنوي، ديوانه، ٨١.
(٤٣٨) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١/ ٦٤.

مع أن التأثر بها لا يعني وحدة المذهب.

أما ما تابع فيه طه رواية الأصفهاني من كون كثيِّر روى عن جميل، عن هدبة، عن الحطيئة، عن زهير عن أوس، فإن الذي روى هذا هو محمد بن العباس اليزيدي، عن محمد بن الحسن الأحول، عن "راوية من الكوفيين"(٤٣٩)، فالراوية مجهول، وهو كوفي، وجل رواة الكوفة غير ثقات(٤٤٠)، فكيف إذا كان الذي يروي منهم مجهولا؟ وأهم من هذا أن رواية هدبة عن الحطيئة أمر مستبعد، فقد كان الحطيئة عبسيا نجديا، وهدبة عذري، من وادي القرى، ولم يؤثر أنه أقام بنجد، ولا أن الحطيئة أقام بوادي القرى، فما يُتوقَّع أن يروي من شعره إلا كما يروي من شعر غيره. ويقال مثل ذلك في رواية كثيِّر عن جميل، فقد كان كثير من مَرِّ الظَّهْران (وادي فاطمة)، وجميل من وادي القرى. هذا إلى أن ابن قتيبة وابن سلام لم يذكرا شيئا من أمر هدبة وجميل وكثير وروايتهم عن الحطيئة، ولا رواية بعضهم عن بعض. ولم يكن هدبة وجميل وكثير معروفين بتنقيح الشعر؛ فينسبا إلى مذهب زهير، أو يدَّعى أنهما رويا عنه. "وما وصلنا من شعر هدبة يغلب عليه الارتجال والبديهة"(٤٤١)، وليس فيه أثر لطول التنقيح، ولا نسبه إليه أحد ممن ترجمه، فروايته عن الحطيئة، إن صحت، لم تترك في شعره أثرا من مذهبه. وكان كثير محمَّقا(٤٤٢)، وقد أخذت عليه مآخذ كثيرة(٤٤٣)، تجعله بعيدا عن الصنعة وعبادة الشعر، وأُخِذ على جميل ما أخذ على غيره من الشعراء، وإن لم يكن بكثرة ما أخذ على كثير(٤٤٤). وورود صورة بيانية مميزة في شعر شاعر، لا ينفي عنه الطبع، ولا يعني أنه من المتكلفين، فما أكثر الصور البيانية الرائعة التي ترد في شعر المطبوعين عفوا. وأما لزوم اللام المشددة في قصيدته الشهيرة، فلم يكن عن قصد، والدليل على ذلك أنه جاء في القصيدة بيتان سالمان من اللام، هما:

وما أنصفتْ، أما النساءَ فبغَّضتْ
إلينا، وأمَّا بالنوالِ فضنَّتِ

فواعجبًا للقلبِ كيفَ اعترافُه،
وللنفس لما وُطِّنت فاطمأنَّت؟!(٤٤٥)

والنون التي قبل التاء في البيتين قريبة من مخرج اللام، قريبة من صفاتها، وقربها منها دليل على أنه لم يكن يتكلف لزوم ما لا يلزم، إذن لفطن لما في البيتين، فغيَّرهما حتى يوافقا سائر القصيدة.

ويتسم ما كتب شوقي ضيف بتسويغ ما هو مقرر عنده وعند غيره سلفا، بناء على ما روت كتب الأخبار عن عبيد الشعر. وقد أوقعه هذا في بعض التناقض، وعدم التحقيق، وصرَفه عن حقيقة بعض ما يبحث، فذهب يتلمس ما يقيم به الحجة على ما هو مقرر عنده، وإن لم تكن فيه حجة، لأنه مبني على ما لا يصح، فقد قال -مثلا- إن القصائد الجاهلية التي حكم بأنها قائمة على الصنعة والتكلف كانت تتحد في أنغامها وأساليبها وتراكيبها ومعانيها وصورها وأخيلتها، وإنْ سبق شاعر إلى المعنى تداوله سائر الشعراء(٤٤٦). ولم يفطن إلى أن صحة هذا تعني أن الشاعر كان بعيدا عن الصناعة والتكلف؛ لأن أقصى ما يكلفه قولُ القصيدة أنْ يعيد نظم ما سُبق إليه، وهو أمر لم يفطن إليه طه حسين قبله. وإذا صح هذا فإن ما ادَّعى من تعطيل حرية الشاعر الجاهلي إلى حد ما؛ إذ كان يخضع لعادات تتناول ما يقول وكيف يقوله، ومن أن الشعر الجاهلي ليس تعبيرَ الطبيعة والطبع، بل هو تعبير الصنعة والتكلف(٤٤٧) -لا معنى له، فليس في الشعر الجاهلي ما كان يُفرَض على الشاعر، وآية ذلك أن مقدمات القصائد لم تكن واحدة، وكان بينها من التباين ما بين شخصيات الشعراء، والمعاني والصور ليس فيها ما كان مفروضا، ولكنه توافق الذوق والثقافة الذي أدى إلى استحسان إيقاع واحد. وكان يكتفي بالمثال من شعر الشاعر، يعممه على شعره كله، ويجعله معبرا عن مذهب فني خاص به، ويغض الطرف عما يشاكله من شعر غيره.

(٤٣٩) الأصفهاني، الأغاني، ٢١/ ١٧٧.
(٤٤٠) أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٩٤هـ-٢٩٧٤م، ١١٧ و١١٩.
(٤٤١) الجبوري، يحيى، شعر هدبة بن خشرم العذري، ط٢، الكويت، دار القلم، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ٢٦ (المقدمة).
(٤٤٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٤٩٤.
(٤٤٣) انظر: المرزباني، الموشح، ١٩٤ - ٢١٠.
(٤٤٤) المرزباني، الموشح، ٢٥٨ وما بعدها، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٤٣٤.
(٤٤٥) كثير عزة، ديوانه، ٥٤ و ٥٧.
(٤٤٦) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، ١٩.
(٤٤٧) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، ١٩ وما بعدها.

وهو -إلى ذلك- يستشهد بالشعر المصنوع، كالقصيدة الدالية المنسوبة إلى زهير[٤٤٨]، وقد أثنى عليها ووصفها بما ليس فيها؛ لأن فيها دليلا على ما يريد؛ ولأن طه حسين من قبله ألمح إليها، وجعلها معرضا من معارض تأثر زهير بأوس[٤٤٩]. أما ألقاب القصائد التي استدل بها على طول التنقيح، فلا دليل فيها، وكذلك ما استدل به من ألقاب الشعراء، ليس فيه ما يدل على تنقيح ولا صناعة، ولا رُوي عن بعض أصحابه ما فَهم شوقي ضيف من لقبه، فالهلهلة -مثلا- تدل على ضعف الشعر، وضعفه ليس أثرا لتنقيحه، وإنما لقب المثقب مثقبا لقوله:

أرَيْنَ محاسنا وكَنَنَّ أخرى
وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ للعيونِ[٤٥٠]

ولقِّب علقمة "الفحلَ" تمييزا له من "رجل آخر يقال له علقمة الخصي"[٤٥١]، على أن فحولة علقمة لو كان المراد منها فحولة الشعر ما كانت دليلا على أنه كان من المنقحين، فإن من وُصِفوا بالفحولة لم ينسب إلى التنقيح منهم إلا عبيد الشعر. وأما المرقش فإنما لقب مرقشا لأن وجهه كان منقَّطًا[٤٥٢]، ولُقِّب الأفوه بهذا اللقب لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان[٤٥٣]، وقيل إن طفيلا لقب محبرا لقوله:

سَماوته أسمالُ بُرْدٍ محبَّرٍ
وسائرُه من أتحميٍّ معصَّبِ[٤٥٤]

ولو فرض أن تسميته محبرا كانت من حسن شعره، ما دل ذلك على طول تنقيح ولا تكلف، فإن التحبير هو التحسين، كما في حديث أبي موسى الأشعري: "لحبَّرتُه لك تحبيرا"، أي حسَّنته[٤٥٥]. ولا يدل كَيْسُ النمر بن تولب على أنه كان ينقح شعره؛ فلا تلازم بين الكيس وطول التنقيح. أما المنخل والمتنخل فلم يرو أنهما كانا ينقحان، ومن المعروف أن المنخل اليشكري مثلا كان شاعرا مقلا[٤٥٦]، ولم يرو من شعره ما يدل على شاعرية متميزة. وإذا فرض أنهما لقبا هذين اللقبين لتنخلهما الشعر، فقد ذكر الشعراء أنهم كانوا يتنخلون الشعر، من غير أن يدل ذلك على ما أراد شوقي ضيف من التكلف والصناعة. ثم إن الباقي من شعر بعض هؤلاء في غاية الركاكة، وجله مصنوع، كالمنسوب إلى المرقش.

وقواعد اللغة وتراكيبها وعروضها أنظمة يلقَّنُها المرء عن غير وعي، ويستعملها عن غير وعي، بخلاف التنقيح، فهو تخير واع من إمكانات تتيحها اللغة، بعضها أمثل من بعض، لكونه أدقَّ وأشدَّ مطابقة لحال المعاني في النفوس. وما في قواعد اللغة من صعوبة وتعقُّدٍ لا يشعر به أهلها، وإنما يشعر به غيرهم. وقد خرج شوقي في هذا الموضوع عن التنقيح الذي يعني اصطفاء تعبير على آخر، إلى نظام العربية الصرفي والعروضي، وهما موضوعان مختلفان.

ومردُّ غرابة الألفاظ وأُنْسها إلى الغرض لا إلى غيره، فمعلوم أن المستحب في لغة المديح أن تكون جزلة، "نقية، غير مبتذلة سوقية"[٤٥٧]، أما وصف الإبل فكثيرا ما يكون غريبا، وهذا حكم عام في الشعر القديم كله، وليس خاصا بزهير، ويمكن أن يقارن ما قال لبيد في وصف الأطلال والناقة، في معلقته، بما قال في الفخر، وما قال طرفة فيهما بما قال في الفخر والحكمة، ليُرى مصداق ذلك. وليس في شعر زهير ما يدل على تعمُّد وبحث، وإنما هنالك موضوعات غير مألوفة كثيرا عند أهل الحاضرة، وما يعبِّر عنها من المفردات غير مألوف ولا مأنوس، وموضوعات معهودة مألوفة؛ لأنها صفات يتمدَّح بها الشاعر أو يَمدح بها، ولغتها التي تعبر عنها مألوفة معهودة مثلها. وغرابة اللغة وأنسها نسبيان، وأهل الجاهلية تستوي عندهم ألفاظ لغتهم كلها، وهي كلها مألوفة عندهم مأنوسة، وإنما تختلف عند أهل الحاضرة الإسلامية.

وما قال شوقي في تفصيل صور زهير، واختلافها عن صور امرئ القيس "المتراكمة" فيه تعميم، ولم يذكر له من

(٤٤٨) ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، ٣٢٢.
(٤٤٩) حسين، طه، في العصر الجاهلي، ٢٨٠.
(٤٥٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٣٨٣، والإربلي، سعد بن إبراهيم بن الحسن، المذاكرة في ألقاب الشعراء، المكتبة الشاملة، ١.
(٤٥١) الآمدي، المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء، تحقيق ف. كرنكو، ط١، مكتبة القدسي، ١٥٢، والإربلي، المذاكرة في ألقاب الشعراء، ٥.
(٤٥٢) الإربلي، المذاكرة في ألقاب الشعراء، ١.
(٤٥٣) الإربلي، المذاكرة في ألقاب الشعراء، ٤.
(٤٥٤) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٩/ ٣٣٧.
(٤٥٥) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، ١/ ٣٢٧.
(٤٥٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٨/ ١٥٣.
(٤٥٧) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢/ ١٢٨.

شعر زهير سوى مثالين، لهما نظائر في الشعر المنسوب إلى امرئ القيس، نحو:

له أيْطَلا ظبْيٍ وساقا نعامةٍ
وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتْفُلِ

مع أن بعض ما ذكر من الأبيات التي فيها هذه الصور ربما لا يكون لزهير حقا، كالأبيات: "تنازعها المها"، كما قد رأينا.

وأما ما ذهب إليه بروكلمان في تفسير تعدد روايات القصائد، فغير دقيق، فإن اختلاف روايات القصيدة له أسباب معلومة، هي الرواية الشفهية، وما ينتابها من النسيان، وما يتبعه من التغيير والتبديل.

يمكن القول، بعد هذا، بأن من سموا عبيد الشعر لم يكونوا عبيدا للشعر، فلم يصح من أخبارهم ما يدل على ذلك، ولا ورد في أشعارهم ما يدل عليه، وإنما كانت أشعارهم كأشعار سائر الجاهليين المطبوعين، فيها ما فيها من الجودة، وبها كل ما بها من القصور، وأُخذ عليهم كل ما أخذ على المطبوعين. وما ظهر في أشعار بعضهم من التميز مرده إلى الموهبة والطبع، لا إلى التكلف وطول التنقيح؛ فإن هذين لا يستوجبان إحسانا ولا إجادة، وعدمهما لا يستوجب ضعفا ولا قصورا. أما ما يدعي مؤرخو الأدب من أن عبيد الشعر كانوا يمثلون مذهبا فنيا له سمات وخصائص مشتركة فلا يصح، ولا يصح ما احتجوا به لذلك، فلم يكن بينهم من التماثل والتوافق إلا ما كان بين شعراء الجاهلية كافة، مما سببُه الجهل، والبداوة، ووحدة البيئة الثقافية، ورواية بعضهم أشعار بعض. هذا إلى أن طبيعة حياة العرب في الجاهلية، وطبيعة المناسبات التي كانت تقال فيها هذه الأشعار ما كانت تسمح بشيء من ذلك التنقيح المزعوم، فضلا عن أن المروي من أشعارهم يدل على أنهم كانوا يفخرون بالارتجال، ويعدونه دليل تبريز واقتدار. وليس في الذين صرحوا في أشعارهم بأنهم كانوا ينقحون من كان معدودا في عبيد الشعر، ولا كان تنقيحهم يتجاوز إصلاح ما اختل من الوزن والقافية، ولا ذكروا أن مدة تنقيحهم تزيد على ليلة، ينجزون فيها ما يريدون قوله نظما وتنقيحا، كما كان يفعل بعض الخطباء. وقد ثبت أن بعض جياد قصائد "عبيد الشعر" قيلت في مناسبات لا تُنْظِر، فكانت أمثل ما قالوا، وإذا جاد المرتجَل وما في حكمه، فليس من المتوقع أن يحتاج ما هو دونه إلى ما لم يحتج إليه ذلك من طول التنقيح. والتنقيح الذي ننفيه هاهنا هو التنقيح الذي يدوم حولا أو أشهرا، على الوجه الذي يرد في الأخبار المروية عن "عبيد الشعر"، وليس التنقيح العادي الذي يعني إعادة النظر في الشعر بعد نظمه، أو في أثناء نظمه، من أجل تنقيته مما يقع فيه من الضعف والخلل، فليس هذا مما ينكر، بل هو فعل طبيعي في كل عمل يعمله الإنسان، لما فطر عليه من حب الكمال، والشعور بالنقص والضعف بالفطرة.

قائمة المراجع

١. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر: المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء، تحقيق ف. كرنكو، ط١، مكتبة القدسي، د. ت.
٢. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م.
٣. ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، المكتبة الشاملة.
٤. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الشاملة.
٥. ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب، المكتبة الشاملة.
٦. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
٧. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٧ م.

٨. أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٧٥ هـ- ١٩٥٥م.
٩. الإربلي، سعد بن إبراهيم بن الحسن، المذاكرة في ألقاب الشعراء، المكتبة الشاملة.
١٠. الأصبهاني، الحسين بن عبد الله، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٨ م.
١١. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ط. الساسي.
١٢. الأصمعي، عبد الملك بن قريب الباهلي، سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، تحقيق محمد عودة سلامة أبو جرى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
١٣. الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، د. م، ١٩٥٠ م.
١٤. امرؤ القيس، ديوانه، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤ م.
١٥. الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق بركات يوسف هبود، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٦. أوس بن حجر، ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٧. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣ م.
١٨. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ م، وج٢ القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت، وج٩، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، والرياض، مكتبة الرفاعي، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
١٩. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق، دار الفكر، وبيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٠. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المكتبة الشاملة.
٢١. ثعلب، أحمد بن يحيى، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٢٢. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٥، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٢٣. جاد المولى، محمد أحمد وآخران، أيام العرب في الجاهلية، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية، د.ت.
٢٤. الجبوري، يحيى: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٢٥. الجبوري، يحيى: شعر هدبة بن خشرم العذري، ط٢، الكويت، دار القلم، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.
٢٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
٢٧. الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، تكملة إصلاح ما تغلط به العامة، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، المجمع العلمي العربي، د. ت.
٢٨. - الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق جعفر الكتاني، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩ م.
٢٩. ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.
٣٠. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ هـ.
٣١. حسين، طه: حديث الأربعاء، ط٢، بيروت، دار

الكتاب اللبناني، ١٩٧٤ م.
٣٢. حسين، طه: في الأدب الجاهلي، القاهرة، ط١٨، دار المعارف، ٢٠٠٥ م.
٣٣. الحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، صنعة يعقوب بن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، القاهرة، ط١، مكتبة الخانجي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٣٥. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
٣٦. ابن خير، أبو بكر محمد الإشبيلي، فهرسة ابن خير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٧. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د. م، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م.
٣٨. الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، بيروت، دار صادر، د.ت.
٣٩. سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٤٠. ابن سلام، محمد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
٤١. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٤٢. الصباغ، محمد لطفي، فن الوصف عند مدرسة عبيد الشعر، ط١، بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م.
٤٣. صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس، تونس، الجامعة التونسية، ١٩٨١ م.
٤٤. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أخبار أبي تمام، تحقيق خليل عساكر وآخرين، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
٤٥. ضيف، شوقي: العصر الجاهلي، ط٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦ م.
٤٦. ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط١٠، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨ م.
٤٧. - طراد، مجيد، ديوان كثير عزة، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٤٨. طفيل الغنوي، ديوانه، تحقيق إحسان فلاح أوغلي، ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧ م.
٤٩. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المكتبة الشاملة.
٥٠. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر، د. ت.
٥١. عبد اللطيف، محمد حماسة، لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.
٥٢. العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد القصيم، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٥٣. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، كتاب الخيل، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٨ هـ.
٥٤. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٥٥. فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٥٦. القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، بيروت، دار القلم،

د. ت.
٥٧. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٥٨. القرشي، أبوزيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، بيروت، دار بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
٥٩. القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦ م.
٦٠. القزاز القيرواني، محمد بن جعفر، ضرائر الشعر، تحقيق زغلول سلام ومحمد مصطفى هداره، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٣ م.
٦١. كعب بن زهير، ديوانه، بصنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، شرح ودراسة مفيد قميحه، ط١، دار الشواف، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٦٢. ابن الكلبي، هشام بن محمد، أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٦ م.
٦٣. المبرد، محمد بن يزيد الثمالي، الفاضل، تحقيق عبد العزيز الميمني، د. م، ١٩٥٥م.
٦٤. محمد، السيد إبراهيم، قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، ط١، دمشق وبيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٦٥. المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الفكر، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
٦٦. ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
٦٧. المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٦، د. م، د. ت.
٦٨. ابن مقبل، تميم، ديوانه، تحقيق عزة حسن، بيروت وحلب، دار الشرق العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٦٩. مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، دار نهضة مصر، د. م.
٧٠. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت.
٧١. النابغة الذبياني، ديوانه، صنعة يعقوب بن السكيت، تحقيق شكري فيصل، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٧٢. ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، د. ت.
٧٣. هدارة، محمد مصطفى، مشكلة السرقات في النقد العربي: دراسة تحليلية مقارنة، ط٣، دمشق وبيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٧٤. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
٧٥. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢ م.
٧٦. ويليك، رينيه وأوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، بيروت، المؤسسة العربي للدراسات، ١٩٨٧ م.
٧٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

Abeedushear Were They Slaves of Poetry?

M. S. Al-Ghawth
Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Taibah University, K.S.A.

Abstract

This research studied and refuted the claim that some pre-Islamic poets used to revise their poetry and polish it for a long time. It has been clearly noted that this claim was attributed to Al-Asma'i. Those who came after him expanded the claim to the extent that they narrated that some of those poets used to compose and revise a poem in one year. The modern critics have accepted the claim without questioning it، though it was exaggerated and lacked verification. They claimed that those poets were representing a school in poetry which had a distinguished doctrine. The characteristics of this school، as they claimed، are manifested in length of time، taking poetry as a career، not composing poetry thoughtlessly، and a tendency to follow the sensory imaging.

The research pointed out that the life of the primitive peoples، pre-Islamic Arabs are included، was based on simplicity and on lack of affectation. Their poetic occasions did not require all that time to revise their poetry. The poetry of the poetry slaves was not different from those who were talented poets by nature. Both kinds of poetry were subject to criticism and defects. Thus، taking so much time revising poetry without being perfect does not make sense.

The perfection of the poetry slaves goes back to the fact that they were talented poets by nature. Taking so much time in writing poetry does not necessarily mean perfection. The artistic relationship among the slaves of the poetry was not different from the relationship among all other poets. They affected one another in terms of some artistic pictures، meaning and expressions. This impact was merely due to nomadism، illiteracy and the unity of the cultural environment. As for the sensory imaging، it was a characteristic of the pre-Islamic poetry in general.

Keywords: Poetry slaves، School of poetry slaves، Revision، Affectation، Talent and Career، Pre-Islamic Poetry، Zuhair bin Abi Salma، Ka'b ibn Zuhair، Alahutaiah، Aws ibn Hujr.

Contents

Page

Without: its Provisions and its Significance in the Hadith An Empirical Study in the Six Books
Y. M. Hakami 01-19

Islamic Conflict Crusader In the Battle of Tiles (Square Blood) 513AH/1119AD
A. M. Al-Harbi 20-33

English Constitution Privacy of His Building and Data Achkalyate Customary
A. S. Al-Jizani 34-47

Isotopes Suyuti the Disposal and Grammatical Rules Jurisprudential Analytical Study
G. H. Bashandi 48-72

The Level of Commitment of Jazan University Students (K.S.A) for Practicing Traffic Education as it Appears in Saudi Traffic Rule and its Implemented Regulation from Their Viewpoints.
A. Y. Arishi - W. A. Al-Tall 73-99

Abeedushear Were They Slaves of Poetry?
M. S. Al-Ghawth 100-145

Journal of Jazan University
Human Sciences Branch

A Refereed Scientific Periodical
Vol.2, No.1, December 2012 (Muharram 1434 H)

General Supervisor

Prof. Mohammed A. Haiza

Deputy Supervisor

Prof. Mohammed A. Rubiya

Editor-in-Chief

Prof. Abdallah Y. Basahy

Managing Editor

Mr. Ibrahim A. Masmali

Editorial Board

Prof. Ali M. Arishi

Prof. Ali A. Al-Kamli

Prof. Sultan H. Al-Hazmi

Prof. Yahya M. Hakami

Dr. Mohammed H. Abu-Rasain

Correspondence

Address correspondence to an appropriate Division Editor as follows:

Journal of Jazan University
4421- Arrawabi
Unit No. 8
Jazan 82822-6561
Kingdom of Saudi Arabia
E-Mail: jju@jazanu.edu.sa

© 2012 (1434 H) Jazan University

All rights are reserved to the *Journal of Jazan University*. No part of the journal may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission from the Editor-in-Chief.

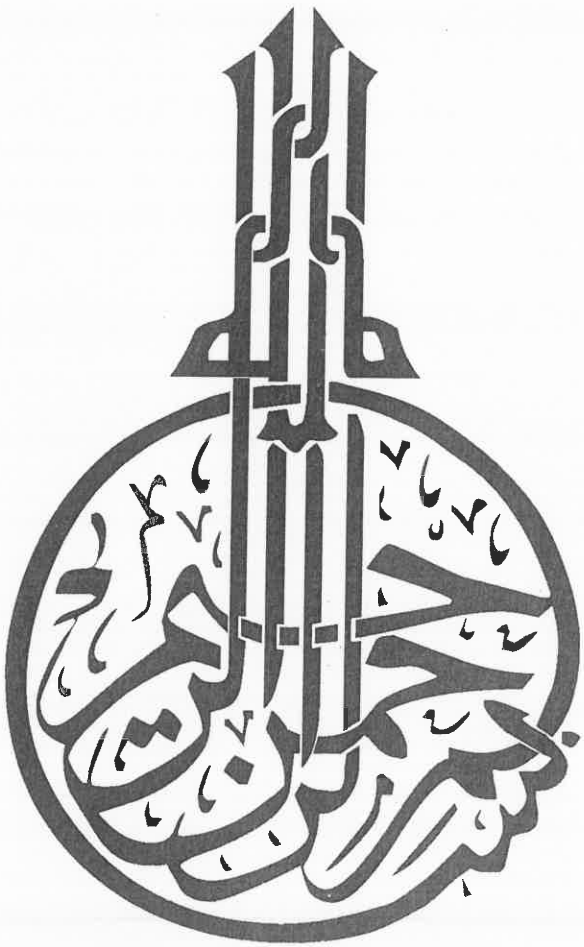

IN THE NAME OF ALLAH,
MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
Jazan University

JOURNAL OF JAZAN UNIVERSITY

A Refereed Scientific Periodical

Vol.2, No.1, December 2012 (Muharram 1434 H)

No. of deposit: 228/1433 Administration of Academic Publishing and Press in Jazan University No: 810006 ISSN:1658-6050

Publication Rules

The University of Jazan provides an opportunity for scholars to publish their scholarly work on research. The editorial board will consider manuscripts from all fields of knowledge. Manuscripts submitted in either Arabic or English, and if the due accepted for publication, may not be published elsewhere, without permission of the Editor-in-Chief. The journal issues one volume per year. The types of manuscript classification used by the Editorial Board run as follows:

1. **Article:**

An author's original work contributing new knowledge to the field in which research was conducted.

2. **Review Article:**

A critical synthesis of the current literature in a particular filed, or a synthesis of the literature in a particular field during an explicit period of time.

3. **Brief Article:**

A short article (note) with the characteristics of an article.

4. **Book Reviews**
5. **Forum:**

Letters to the editor, comments, responses, preliminary results or findings, and miscellany.

General Instructions

1. Submission of manuscripts:

Original manuscripts should be typewritten (one side only), using an A4 size paper, double spaced along with 3 copies. All pages are to be numbered consecutively, including tables and graphs. Tables, other illustrations, and references should be presented on separate sheets with their proper text position indicated.

2. Abstracts:

Manuscripts for articles, review articles, and brief articles require both Arabic and English abstracts, using no more than 200 words, in single column (13cm wide), for each version.

3. Tables and other illustrations:

Tables, charts, figures, and plates should fit the journal's page size (12.5 com x 18cm). All inner drawings must be presented on high quality. Tracing paper is necessary, using black Indian ink as well. Photographs may be submitted, but on glossy print paper in either black or color.

4. Abbreviations and Units:

A4 sizes and quantities should be expressed according to international standards. Standardized abbreviation should only be used. The names of periodicals should be abbreviated in accordance with the words of scientific periodicals .

5. Title Page:

Should contain the title, name of the authors, name and address of the institution, where the work was carried out. The title should be brief and use strong keywords. Scientific names of organism should be clearly stated and should be typed italic.

6. Text:

The organization of the manuscript should be as follows: Introduction, materials, results, discussion, and references. Results and discussions can be combined in one section. Acknowledgement (if needed) should be brief and added before the reference sections.

7. References:

Citation of the references (within the text) should be indicated by author. Date, style, and references should be listed in an alphabetical order and conform to the following examples:

Periodical citations in the text are to be enclosed in one line brackets, e.g.(6).

Periodical references are to be presented in the following form:

References number in line brackets ( ), author's name followed by a given name and/or initials, the title of an article or periodical (italicized), volume number, year of publication (in parentheses) and pages e.g.

Basahy, A.Y. (1992). Protein and Amino Acid contents in seeds of some soybean cultivate (Glycin Max 1) Arab Gulf J. Sci. Res. 11(2), 221-228.

Book Citation

Book references should include the following:

Reference number ( ), author's surname followed by a given name and/or title of the book (italicized), place of publication, publisher, and year of publication.

Example:

Lehman. H. C. (1953) . Age and Achievement. Princeton: Princeton University Press.

8. Content Notes:

Content notes are to be presented on separate sheets. They will be printed below a solid line separating the content notes from the text.

9. The manuscripts and forum items submitted to the journal for publication contain the author's conclusions and opinions, and if published they do no bear a conclusion or opinion of the Editorial Board.

10. Authors will be provided with 20 reprints free of charge, along with two issues of the journal. Additional copies could be purchased, if ordered when the proofs are returned. Price will be shown on the order form.

Correspondence:

All correspondence should be addressed to:
The Editor-in-Chief
Journal of Jazan University
4421, Arrawabi, Unit No. 8, Jazan 82822-6561
Kingdom of Saudi Arabia
Tel: +96673343020
E-Mail: jju@jazanu.edu.sa

Kingdom Of Saudi Arabia
Ministry Of Higher Education
Jazan University

JAZAN UNIVERSITY

JOURNAL OF
JAZAN UNIVERSITY

Human Sciences Branch

Periodic Referred Scientific

ISSN 1658-6050

Vol.2 No.1 December2012 (Muharram1434H)